

صلاح

حيوات في جهد الرسول ﷺ

بقلم

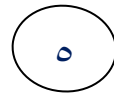
محمد علي محمد إمام

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

موسوعة جهد المستورات

سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة



البريد الإلكتروني : emam2030@gmail.com

ت : ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشؤون الفنية

إمام / محمد على محمد

صلاح البيوت في جهد الرسول الجزء الثاني

بقلم / محمد على محمد إمام ... ميت غمر

الطبعة الثانية

عدد الصفحات (٥٢٣)

المقاس (١٨ × ٢١ سم)

١ (الأسرة في الإسلام

رقم الإيداع : (٧٠٦٣)

تاريخ الإيداع : ٢٠١٣ / ٣ / ١٤

الترقيم الدولي : ٦-٠٤٩٧ - ٩٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

البريد الإلكتروني : emam2030@gmail.com

ت : ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

ت : ٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده.. ونصلي ونسلم علي خير خلقه
وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد:
أخي الحبيب الداعي إلي الله: وها نحن نواصل سلسلة المنتقى من كلام أهل
التبليغ والدعوة.. مع الجزء الخامس من السلسلة:

صلاح البيوت

في جهد الرسول صلي الله عليه وسلم

الجزء الثاني

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعا بهذه السلسلة الدعوية المباركة وجميع المسلمين
أجمعين.

أخوكم

محمد علي محمد إمام

نماذج من أدب أولاد الصحابة

• سمرة بن جندب رضي الله عنه :

قال: لقد كنت علي عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسن مني، وقد صليت وراء رسول الله ﷺ علي امرأة ماتت في نفاسها، فقام عليها رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها". رواه مسلم (١).

انظر إلي هذا الأدب الجم عند الأولاد الصغار تجاه الكبار.. ياليت الشباب يعقلون ذلك، ويتأدبون أمام الكبار.

• عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) :

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ ! فقال عمر إنه من حيث علمتم ! فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني يوماً . إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٢)

فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك، تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا. قال: فما تقول:

(١) صحيح مسلم - شرح النووي ٣٢/١.

(٢) سورة النصر - الآية ١.

قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

وذلك علامة : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (١)

فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول. رواه البخاري . (٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي في آخر الليل ، فقامت وراءه فأخذني ، فأقامني حذاءه . بجواره . فلما أقبل علي صلواته انخست (٣) فلما انصرفت قال : " مالك أقمك حذائي فتخنس " ؟ قلت: ما ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك، وأنت رسول الله، فأعجبه، فدعا الله أن يزيدني فهماً وعلماً . (٤)

انظر إلي فهمه وأدبه، وهو ما يزال صغيراً في ذلك الوقت دون العاشرة أو أزيد بقليل.

• عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

كان يجلس في مجلس من مجالس النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقه وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله قال : فقال : " هي النخلة "

(٢) سورة النصر - الآية ٣ .

(٣) رياض الصالحين . باب الحث علي الازيد من الخير في أواخر العمر ص ٩٥ .

(٤) أي : رجعت إلي الورا .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک ٥٣٤/٣ .

قال : فذكرت ذلك لعمر ، قال لأن تكون قلت هي النخلة أحب إليّ من كذا وكذا .
رواه مسلم

وفي رواية ثانية لمسلم أيضا : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " يوماً لأصحابه أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن " فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البوادي ، قال ابن عمر : وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها فإذا أسنان القوم، فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ : " هي النخلة " .

وفي رواية ثالثة لمسلم أيضا:

قال ابن عمر فوق في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا .
(١)



الهمة العالية

لشباب سلف الأمة

• الزبير بن العوام ﷺ :-

قال عروة : أسلم الزبير ابن ثمان سنين .. ونفحت نفحة من الشيطان، أن رسول الله ﷺ أخذ بأعلى مكة، فخرج الزبير وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة بيده السيف ، فمن رآه عجب ، وقال: الغلام معه السيف ، حتى أتى النبي ﷺ فقال : " مالك يا زبير ؟ " فأخبره، وقال : أتيت أضرب بسيف من أخذك . (١)

وهذا ابنه عبد الله بن الزبير "رضي الله عنهما " يأمره أبيه أن يبايع النبي ﷺ وهو في سن صغير ، ليغرس فيه الشجاعة وحب الدين ، ولعله يحظى بنظرة من رسول الله ﷺ ، فعن عروة عن أبيه قال : خرجت أسماء بنت أبي بكر ﷺ حين هاجرت إلي رسول ﷺ وهي حامل بعبد الله بن الزبير فنفسته فأتت به النبي ﷺ ليحنكه ، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره وأتى بتمره فمصها ثم مضغها ثم وضعها في فيه ، فحنكه بها ، فكان أول شيء دخل بطنه ريق النبي ﷺ قالت : ثم مسح رسول الله ﷺ وسماه عبد الله ، ثم جاء بعد وهو ابن سبع سنين أو ابن ثمان سنين ليبايع النبي ﷺ أمره الزبير بذلك فتبسم النبي ﷺ حين رآه مقبلاً وبايعه

(١) سير أعلام النبلاء ٤١/١ .

وكان أول من ولد في الإسلام بالمدينة مقدم رسول الله ﷺ وكانت اليهود تقول قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد ذكر ، فكبر أصحاب رسول الله ﷺ حين ولد عبد الله . (١)

وانظروا إلي رجاحة عقله وهو ما يزال صغيراً ، فقد أتى النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله ، اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد ، يقول : فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلي الدم فحسوته ، فلما رجعت إلي النبي ﷺ قال : : " ما صنعت يا عبد الله ؟ " قال : جعلته في مكان ظننت أنه خاف عن الناس ، قال : " فلعلك شربته " ، قلت : نعم ، قال : " ومن أمرك أن تشرب الدم، ويل لك من الناس ، وويل للناس منك " . رواه الحاكم . (٢)

فأبوه الزبير بن العوام (حواري رسول الله ﷺ ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) ، وجدته أبو بكر الصديق ، وجدته صفية عمة النبي ﷺ ، وخالته أم المؤمنين عائشة (الصديقة بنت الصديق) .. فمن في وسط هؤلاء كيف يكون حاله ؟

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٥٤٨./٣

(٢) في مستدرکه ٥٥٤/٣ .

• علي بن أبي طالب ﷺ :-

أسلم وهو ابن ثمان سنين.. ونام علي فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ليؤدي عنه الأمانات، وهو ابن ثمان عشر سنة قال له رسول الله ﷺ: " نم علي فراشي وتسجى بردي هذا الحضرمي، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ".

هذه الشجاعة بسبب التربية علي الإيمان واليقين في بيت النبوة علي يد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها .

• أسامة بن زيد ﷺ حب رسول الله ﷺ وابن حبه:

استعمله النبي ﷺ علي جيش لغزو الروم بالشام وفي الجيش عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، في رجال من كبار المهاجرين والأنصار.

وكان عمره ثمان عشرة سنة.. وطعن في أمارته بعض الصحابة وكان أشدهم في ذلك قول عياش بن ربيعة ﷺ: يستعمل هذا الغلام علي المهاجرين الأولين، وبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب غضباً شديداً، وقد عصب علي رأسه بعصابة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ! ثم قال : " أما بعد: أيها الناس ! فما مقاله بلغتنى عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ فو الله ! لئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله ! إن كان لخليقا للإمارة ، وإن

كان أبيه من أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ ، وإنهما لمخيلان لكل خير ، فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم " وكان من آخر كلامه ﷺ " أنفذوا بعث أسامة.. وكان عمر إذا رآه بعد ذلك يقول: مرحباً بأميري .

وما ذلك إلا من آثار التربية فأبوه زيد وأمه أم أيمن " بركة الحبشية صاحبة الرسول ﷺ.

• زيد بن ثابت (رضي الله عنه) :

قدم رسول الله ﷺ المدينة وعمره إحدى عشرة سنة .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب بي إليه فأعجب بي، فقليل: " يا رسول الله ! هذا غلام من بنى النجار ، معه مما أنزله الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك رسول الله ﷺ فقال : " يا زيد تعلم كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي " فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم وأجيب عنه . رواه أحمد وأبو داود .

○ وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ .

○ وكان يكتب له الرسائل .

○ وكان يكتب لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) في خلافتهما.

○ وكان عمر يستخلفه علي المدينة إذا حج وكذلك عثمان.

○ وكان مع عمر حين قدم الشام .

○ وهو الذي تولى قسم غنائم اليرموك .

○ وكان علي بيت المال لعثمان (رضي الله عنه) .

- شهد أحد وما بعدها من مشاهد.. وقيل: أول مشاهده الخندق.
- وهو أحد فقهاء الصحابة.. وأعلم الصحابة بعلم المواريث قال ﷺ: " وأفرضهم زيد " . رواه الحاكم. (١).
- وكان من أفكه الناس في منزله .. وأوقرهم إذا جلس مع القوم .. كل هذه الفضائل مع صغر سنه حيث تربي في بيئة الإيمان . (٢)

• عمرو بن سلمة رضي الله عنه :

كان يوم قومه في الصلاة وهو ابن ست أو سبع سنين . . ونتركه ليحكى لنا كيف وصل إلي هذا المقام ، فعن عمرو بن سلمة قال كنا بماء ممر الناس ، يمر بنا الركبان ، نسألهم ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : أوحى إليه ، كذا ، فكنت أحفظ ذلك الكلام ، فكأنما يغري^(٣) في صدري ، وكانت العرب تَلَوُّمُ^(٤) بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة الفتح ، بادر كل قوم بإسلامهم ، ويادر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم ، قال جئتم والله من عند النبي حقا ، فقال : " صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنا ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني ، لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين

(١) ونص الحديث : عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقروهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا إن لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ٥٤٤/٣

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٩٥/١٢ .

(١) أي يلصق به كأنه ألصق بالغراء .

(٢) أي تنتظر .

أيديهم ، وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت ، تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطون عنا إست قارئكم ؟ فاشتروا ، فقطعوا لي قميصا ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . رواه البخاري (١) .

• عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال : يا غلام هل من لبن قال : قلت : نعم ولكني مؤتمن قال : فهل من شاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقا أبا بكر ثم قال للضرع : أقلص فقلص قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسول الله علمني من هذا القول قال : فمسح رأسي وقال : يرحمك الله فإنك عليم معلم .

وعن حماد بن سلمة عن عاصم بإسناده قال : فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة فاحتلب فيها فشرب وشرب أبو بكر وشربت قال : ثم أتيته بعد ذلك قلت : علمني من هذا القرآن قال : إنك غلام معلم قال : فأخذت من فيه سبعين سورة .

• عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) :

قال الزبير بن بكار : حدثني العتبي ، قال : إن أول ما استبين من عمر بن عبد العزيز حرصه علي العلم ورغبته في الأدب ، قال : إن أباه ولي مصر وهو حديثي السن يشك في بلوغه ، فأراد إخراجه معه ، فقال : يا أبة ! أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟ ترحلني إلي المدينة ، فأقعد إلي فقهاء أهلها ، وأتأدب بآدابهم ، فوجهه إلي

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الصلاة - باب الإمامة ١/٣٥٢ .

المدينة، فقع مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم ، ومازال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فخلطه بولده ، وقدمه علي كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدّها أخت الخلائف والخليفة زوجها

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلي يومنا هذا سواها (١) .

أبنائي الأعزاء: انظروا إلي فكر عمر وعقله، كيف فكر أن يذهب إلي مدينة الرسول ﷺ لينهل من علمائها، وهو في ذاك الحين ما زال صغيراً، وله تعلق بوالديه، وأبيه أمير، والي أين يذهب ؟ إنها مصر!! التي تهف إليها النفوس ، وكيف جالس الشيوخ وتجنب الصبيان .. إنها لهمة عالية ونفس تواقّة إلي المعالي !! .

• **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه :-

قال ابن عباس رضي الله عنه : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم " أي حفظت القرآن .. وكان دائما يجلس مع خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوجة الحبيب محمد ﷺ . (٢)

• **الإمام الشافعي (رحمه الله)** :

يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين . (١)

(١) البداية والنهاية ٣٤١/٩

(٢) رواه البخاري ٤٧٤٨/٤ .

من الذي رباه ؟ ؟ إنها أمه .

يقول: كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن لها ما تعطين للمعلم، وكان المعلم قد رضي عني أن أقوم إذا غاب وأخفف عنه. (٢).

• الإمام سفيان الثوري (رحمه الله):

قالت أم سفيان لسفيان: يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، يا بني إذا كتبت عشرة أحاديث، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنه لا يضررك ولا ينفكك .

ولد سنه سبعة وتسعين، وكان أبوه من ثقات المحدثين وطلب سفيان العلم وهو مراهق، وكان يتوقد ذكاء، صار إماماً منظوراً إليه وهو شاب. (٣).

• الإمام الأوزاعي (رحمه الله) :

كان يتيماً في حجر أمه، تنقله من بلد إلى بلد ليتعلم علم الدين.. حتى بلغ من العلم مبلغاً عظيماً.

• القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رحمه الله) :

ولد في خلافة عثمان.. نشأ بعد قتل أبيه في حجر عمته أم المؤمنين (عائشة (رضي الله عنها " فسمع منها ومن ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، وصالح بن خوات وفاطمة بنت قيس.. وطائفة.

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١ .

(٣) تاريخ الإسلام ٤/ ٥٥٢ .

قال عنه يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحداً بالمدينة نُفضله علي القاسم بن محمد.
وعن أبي الزناد قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد، وقال: ما رأيت فقيهاً أعلم من القاسم (١).

نال كل ذلك بالتربية علي الإيمان واليقين والعلم في الصغر حتى أصبح عالم المدينة .. وذلك برعاية عمته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) "

• الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله:

مات أبوه شاباً فوليته أمه، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة . (٢)

• الإمام أبو نعيم الأصبهاني :-

وهو صاحب كتاب حلية الأولياء .. وقد أعطاه العلماء إجازة في العلم وهو ابن ست سنوات.

• الإمام الصابوني المفسر المحدث:

كان عديم النظير، سيف السنة، ودامغ البدعة، حافظاً محدثاً، وجلس للوعظ وهو عنده من العمر تسع سنوات وحضره أئمة الوقت. (٣)

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/٣٠٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/١٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/٤٠.

• الإمام تقي الدين أبو عبد الله اليونيني الكنبلي :

مات أبوه ونشأ يتيماً مع والدته .. فأسلمته للمعلمين والمؤدبين . ثم حفظ القرآن .. ثم حفظ الجمع بين الصحيحين لحميدي . (١)

• الإمام ابن تيمية (رحمه الله) :

وهو عنده ثماني سنوات كان يمرغ رأسه في التراب أثناء السحر ويقول يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني.. هكذا وهو سنه صغير.
وما كتبت هؤلاء العمالقة إلا ليقندي بهم أبناءنا.. وتعلو همهم.

• الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) :

كان أول مجلس يتكلم فيه ابن الجوزي، علي المنبر يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشر سنة وكان يوماً مشهوداً حرز الجمع يومئذ خمسين ألف (٢).

• كافر الأخشيدي (رحمه الله) :

كان (كافر الأخشيدي)، العبدُ الذي حكمَ مصر في عهد المماليك، وصاحبٌ له، عبيدٍ أسودين مملوكين، هذا من قبل أن يُصبح ملكاً، فتمنى صاحبه مرةً أن يُباع لبطّاخ حتى يملأ بطنه بما شاء. وتمنى (كافر) أن يملك مصر، فمضت الأيام، وإذا

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٤٠.

(٢) البداية والنهاية - ١٢/٢٥٤.

بالأول يُباع لطبّاخ، وكافور يُباع لقائد، فأظهر كافور كفاءةً واقتداراً عاليين، فلما مات مولاة (سيّده الذي اشتراه)، قام مقامه.
وفي ذات يوم، مرّ كافورُ الملكُ بصاحبه المُباع لطبّاخ، فقال لمن معه: لقد قعدت بهذا همّته، فكان كما ترون، وطارت بي همّتي فأصبحتُ كما ترون! ولو جمعتني وإياه همّه واحدة لجمعنا عملٌ واحدٌ تحت سقّفِ هذا المطبخ!
ف قيل:

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه فكن طالباً في الناسِ أعلى المراتبِ

فأنا حيثُ أضعُ نفسي لا حيثُ يضعني الناس، فكلمّا ارتفعت بي همّتي نلتُ من المراتبِ أعلاها. قال الشاعر:

نفسُ عصامٍ سوّدت^(١) عصاماً وعلمته الكرّ والإقداما

كثيراً ما تكون الأمنيات التي تحملها النفوس الكبيرة سبباً لارتقاء المناصب العالية، فهم يجعلون من أمنياتهم أهدافاً ويسعون للوصول إليها.



(١) و(سوّدت) يعني جعلته سيّداً في قومه.

النبوغ

في بيت واحد ، من بيوت المسلمين نبغ ثلاثة إخوة في العلم :

- ١) نصر الدين بن الأثير.. عُرف بالأدب.. ومن كتبه (المثل السائر).
 - ٢) محمد مجد الدين بن الأثير.. ونبغ في علم الحديث.. ومن كتبه (النهاية في غريب الحديث، وجامع الأصول في أحاديث الرسول) .
 - ٣) علي عز الدين بن الأثير.. وقد نبغ في علم التاريخ.. وهو صاحب كتاب الكامل في التاريخ).
- وكان الله عز وجل حقق فيهم نية والديهم، فقد ظهرت نواياهم من خلال أسمائهم (نصر الدين .. مجد الدين .. عز الدين) .. هل فهمتم ؟



نصائح غالية في تربية الأبناء

من الآباء للأبناء

من وصايا

لقمان الحكيم للأبناء

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ
لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ *
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ
أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *
يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ

أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ
إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ
مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١﴾.

يا بني! ما ندمت على السكوت قط .

يا بني! اعتزل الشر يعتزلك، فإن الشر للشر خلق .

يا بني! عود لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً.

يا بني! اتخذ طاعة الله تجارة تأتيك الأرباح من غير تجارة.

يا بني! لا تكثر النوم والأكل، فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلساً من
الأعمال الصالحة .

يا بني! بئراً شربت منه، لا ترم فيه حجراً .

يا بني! عصفور في قدرك خير من ثور في قدر غيرك.

يا بني! شئيان إذا حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما دينك لمعادك، ودرهمك
لمعاشك.

يا بني! إنه لا أطيب من القلب واللسان إذا صلحا، ولا أخبث منهما إذا فسدا .

يا بني! لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها.

يا بني! لا تضحك مع عجب، ولا تسأل عما لا يعينك.

يا بني! إنه من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقل الخير يغنم، ومن لا يملك لسانه يندم .

يا بني! زاحم العلماء بركبتك، وأنصت لهم بأذنيك، فإن القلب يحيى بنور العلماء .

يا بني! إذا كنت في صلاة فاحفظ قلبك، وإذا كنت في مجلس الناس فاحفظ لسانك، وإذا كنت في بيوت الناس فاحفظ بصرك، وإذا كنت على الطعام فاحفظ معدتك .

يا بني! واثنان لاتذكرهما أبداً : إساءة الناس إليك وإحسانك للناس .

يا بني: كن في الشدة وقورا، وفي المكاره صبورا، وفي الرخاء شكورا، وفي الصلاة متخشعا، والي الصدق متسرعا، لاتهن من أطاع الله، ولا تكرم من عصي الله، ولا تدع ماليس لك، ولا تجحد ما عليك .

يا بني! لا تعترض بالباطل، ولا تستحي من الحق، ولا تقل ما لا تعلم، ولا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعظم، ولا تختل، ولا تفخر، ولا تضجر، ولا تقطع الرحم، ولا تبليين الجار، ولا تشمت بالمصائب، ولا تدع السر، ولا تغتب، ولا تحسد، ولا تبتز، ولا تهمز، وإن أسئ إليك فاغفر، وإن أحسن إليك فاشكر، وإن ابتليت فاصبر، واحذر الغير، انصح المؤمنين، وعد مرضاهم واشهد جنائزهم .

يا بني! ان الدنيا بحر عريض، وقد هلك فيه الأولون والآخرون فاجعل سفينتك تقوى الله، وعدتك التوكل علي الله، وزادك العلم الصالح في سبيل الله .

يا بني! لاتمارين حكيمًا، ولاتجادلن لجوجًا، ولاتعاشرن ظلوما، ولاتصاحبن متهما .

يابني! من قصر في الحجه خصم، ومن بالغ فيها أثم، فقل الحق ولو علي نفسك، ولا تبال من غضب .

يا بني! إياك والدين، فإنه ذل بالنهار، وهم بالليل .

يا بني! كان الناس قديما يراؤون بما يفعلون، فصاروا اليوم يراؤون بما لايفعلون .

يا بني ! إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه .
يا بني! كذب من قال: إن الشر يطفى الشر، فإن كان صادقا فليوقد نارا إلى جنب
نار فلينظر هل تطفى إحداهما الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفى الشر كما يطفى الماء
النار.

يا بني! لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.
يا بني! احذر الحسد فإنه يفسد الدين، ويضعف النفس، ويعقب الندم.
يا بني! أول الغضب جنون، وآخره ندم.
يا بني! الرفق رأس الحكمة.

يا بني! إياك وصاحب سوء فإنه كالسيف يحسن منظره، ويقبح أثره.
يا بني! لا تطلب العلم لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، أو ترائي به في
المجالس، ولا تدع العلم زهاده فيه ورغبة في الجهالة، فإذا رأيت قوما يذكرون الله
فاجلس معهم، فإن تك عالما ينفعك علمك وإن تك جاهلا ازداد علمك، ولعل الله أن
يطلع عليهم برحمة فيصيبك بها معهم.

يا بني! لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم.
يا بني! لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.
يا بني! لا تمارين حكيما، ولا تجادلن لجوجا، ولا تعشرن ظلوما، ولا تصاحبن متهما.
يا بني! إني قد ندمت على الكلام، ولم أندم على السكوت.

يا بني! إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا
فاحذره.

يا بني ! من كتم سره كان الخيار بيده.

يا بني! لا تكن حلوا فتبلع، ولا مرّا فتلفظ.

يا بني! لكل قوم كلب فلا تكن كلب أصحابك، قاله لابنه يعظه حين سافر.
يا بني! مثل المرأة الصالحة مثل التاج على رأس الملك، ومثل المرأة السوء كممثل
الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير.



من وصايا

نبي الله داود لابنه سليمان

عن يحيى بن أبي كثير (رحمه الله) أن نبي الله داود قال لابنه سليمان (ﷺ): يا بُني! لا تستقل عدواً واحداً، ولا تستكثر ألف صديق، ولا تستبدل بأخ قديم أخاً مستحدثاً ما استقام لك (١).

يابني! كن لليتيم كالأب الرحيم. واعلم أنك كما تزرع تحصد.
ومثل المرأة الصالحة لبعها كالمك المتوج بالتاج المخوص بالذهب، كلما رآها قرت بها عيناه، ومثل المرأة السوء لبعها (٢)، كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير.
واعلم أن خطبة الأحق في نادي قومه، كمثل المغني عند رأس الميت.
ولا تعدن أخاك شيئاً ثم لا تنجزه؛ فتورث بينك وبينه عداوة.
وتعوذ بالله من صاحب إن ذكرت الله لم يعنك، وإن نسيتك لم يذكرك، وهو:
الشیطان .

وانكر ما تكره أن يُذكر منك في نادي قومك، فلا تفعله إذا خلوت (٣).
يا بني! إنما يُستدل على تقوى الرجل بثلاثة أشياء: بحسن توكله على الله فيما أنابه، وبحسن رضاه فيما آتاه، وبحسن صبره فيما ابتلاه (٤).

(١) عيون الأخبار " للإمام ابن قتيبة ، و " العقد الفريد " لابن عبد ربه .

(٢) البغل: الزوج، والجمع: البغولة، والبغال، والبُغول. ويقال للمرأة أيضاً: بغل وبغلة، كزوج وزوجة.

(٣) أخرجه الإمام أبو القاسم الطبراني في " المعجم الكبير " بسندين، ورجال أحدهما رجال الصحيح. انظر

" مجمع الزوائد " للهيتمي (٤ / ١٠، ٢٧٤ / ٢٣٤

(٤) أخرجه الإمام البيهقي (رحمه الله) في كتاب الزهد الكبير ص ٩٦٦.

من وصايا

نبي الله سليمان بن داود لابنه

يا بني! إياك والنميمة؛ فإنها أحد من السيف.

وإياك وغضب الملك الظلوم؛ فإنه كملك الموت.

يا بني! إياك والمراء؛ فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان.

يا بني! خطيئة بني آدم فخرهم، والزنى عين الإثم.

يا بني! إن الأحلام تصدق قليلاً وتكذب؛ فلا يحزنك.

وعليك بكتاب الله فالزمه، وإياه فتأول.

يا بني! إياك وكثرة الغضب؛ فإن كثرة الغضب تسحق {تستخف} فؤاد الرجل

الحليم (١).

يا بني! عليك بالحبيب الأول؛ فإن الآخر لا يعدله (٢).

يا بني! لا تقطن أمراً حتى توامر مرشداً؛ فإنك إذا فعلت ذلك لم تحزن عليه (٣).

يا بني! إن أردت أن تغيب عدوك؛ فلا تبعد عصاك عن ابنك وأهلك (٤).

لا تكثر الغيرة على أهلك ولم تر منها سوءاً؛ فترمى بالشر من أجلك وإن كانت

منه بريئة.

(١) حلية الأولياء " لأبي نعيم. وأخرج الفقرة الأولى كل من: الإمام هناد بن السري في " الزهد " وابن

حبان في " روضة العقلاء .. وأخرج الفقرة الثالثة البيهقي في "شعب الإيمان".

(٢) الحلية لأبي نعيم، والروضة لابن حبان، وشعب الإيمان للبيهقي.

(٣) الحلية لأبي نعيم، وشعب الإيمان للبيهقي.

(٤) الحلية لأبي نعيم.

يا بني! عليك بخشية الله (ﷻ)؛ فإنها غلبت كل شيء. من عمل بالسوء فبنفسه بدأ.. إن من عيش السوء نقلاً من منزل إلى منزل (١).

وصية علي بن أبي طالب

لابن محمد بن الحنفية

يا بُنَيَّ! تفقه في الدين، وعود نفسك الصبر على المكروه، وكل نفسك في أمورك كلها إلى الله (ﷻ)، وأخلص المسألة لربك؛ فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة له.

واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار؛ فإنه يُسار به وإن كان لا يسير؛ فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك.

وإن كنت غير قابلٍ نصيحتي إياك، فاعلم علماً يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنت في سبيل من كان قبلك.

فأكرم نفسك عن كل دنية وإن سافتك إلى الرغائب؛ فإنك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضاً.

وإياك أن تُوجِفَ بك مطايا الطمع وتقول: متى ما أُحْرْتُ نَزَعْتُ؛ فإن هذا أهلك من هلك قبلك.

(١) المرجع السابق.

وأمسك عليك لسانك؛ فإن تلافيك ما فرط من صمتك أيسر عليك من إدراك ما فات من منطقتك.

واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء (١)؛ فحسن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور. والمرء أحفظ لسره، ولربما سعى فيما يضره. وإياك والاتكال على الأمانى؛ فإنها بضائع النوكى (٢)، وتثبط عن الآخرة والأولى.

ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح، فقارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبين منهم. ولا يغلبن عليك سوء الظن؛ فإنه لن يدع بينك وبين خليل صلحاء. أذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب. واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الأحمق شؤم، ومن الكرم منع الحرم. ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد.

امحض (٣) أخاك النصيحة، حسنةً كانت أو قبيحة. لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك واعلم يا بني! أن ما لك من دنياك إلا ما أصلحت به مثواك، فأنفق من خيرك، ولا تكن خازناً لغيرك، وإن جزعت على ما يفلت من يدك، فاجزع على ما لم يصل إليك.

(١) الوكاء: ما يشدُّ به رأس القرية ونحوها.

(٢) النوكى: جمع الأنوك، وهو الأحمق.

(٣) يقال: محض فلاناً النصح محضاً: إذا أخلصه إياه، وكل شيء أخلصته فقد محضته.

ربما أخطأ البصير قصده، وأبصر الأعمى رشده.
 ولم يهلك امرؤ اقتصد، ولم يفتقر من زهد.
 من انتمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه.
 رأس الدين اليقين، وتمام الإخلاص اجتناب المعاصي، وخير المقال ما صدقته
 الفعال.

سَلَّ عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.
 واحمل لصديقك عليك، واقبل عذر من اعتذر إليك.
 وأخر الشر ما استطعت، فإنك إن شئت تعجلته. لا يكن أخوك على قطيعتك
 أقوى منك على صلته، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان.
 لا تُمَلِّكَنَّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها؛ فإن المرأة ريحانة، وليست
 بِقَهْرْمَانَةٍ (١)؛ فإن ذلك أدوم لحالها، وأرعى لبالها.
 واغضض بصرها بسترِك، واكففها بحجابك.
 وأكرم الذين بهم تَصُول، وإذا تطاولت بهم تَطُول.
 أسأل الله (ﷻ) أن يُلهمك الشكر والرَّشَد، ويُقوِّيك على العمل بكل خير،
 ويصرف عنك كل محذور برحمته. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (٢).



(١) هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه.

(٢) العقد الفريد " لابن عبد ربه رحمه الله

وصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن

يا بني! إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل.. ولا تكن عبداً
غيرك وقد جعلك الله حرّاً؛ فإن اليسير من الله (ﷻ) أكرم وأعظم من الكثير من غيره،
وإن كان كلُّ منه كثيراً (١).

من وصايا الحسن بن علي لابنه

يا بني! إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.
وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال
حتى يمسك (٢).



(١) أدب الدنيا والدين " للإمام الماوردي .

(٢) الأمالي " لأبي علي القالي، و " جامع بيان العلم " لابن عبد البر، وهو عنده معلق، وفيه: " قال
الحسين بدل: "الحسن.

من وصايا

أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ

عن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: كان أنس (رضي الله عنه) يقول لبنيه: يا بنيّ قيدوا العلم بالكتابة (١).

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري - من ولد أنس بن مالك، عن أبيه، عن جده أنس (رضي الله عنه) قال: يا بنيّ! إياكم والسفلة، قالوا: وما السفلة؟ قال: الذي لا يخاف الله عز وجل. (٢).



(١) مقدمة سنن الإمام الدارمي، و"المعجم الكبير" للطبراني، و"المستدرک علی الصحیحین" للحاکم، و"جامع بیان العلم وفضله" لابن عبد البر. وقد رُوِيَ هذا الكلام مرفوعاً إلى النبي من طرق.

(٢) مقدمة سنن الإمام الدارمي، و"المعجم الكبير" للطبراني، و"المستدرک علی الصحیحین" للحاکم، و"جامع بیان العلم وفضله" لابن عبد البر. وقد رُوِيَ هذا الكلام مرفوعاً إلى النبي من طرق.

من وصايا

سعد بن أبي وقاص لابنه

يا بُنَيَّ! إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه: علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النظفة التي منها خُلِّقْتَ، والرحم التي منها قُدِّمْتَ، والغذاء الذي به عُذِّبْتَ؟! (١).

وقال له عند الموت: يا بني! إنك لن تلقَ أحدًا هو أنصح لك مني: إذا أردت أن تصلي فأحسن وضوءك، ثم صلِّ صلاة لا ترى أنك تصلي بعدها.. وإياك والطمع؛ فإنه فقر حاضر.. وعليك بالإياس؛ فإنه الغنى.. وإياك وما يُعْتَدَرُ إليه من العمل والقول، واعمل ما بدا لك (٢).

وصية معاذ بن جبل لابنه

عن معاوية بن قرّة (رضي الله عنه) قال: قال معاذ بن جبل (رضي الله عنه) لابنه: يا بني! إذا صليت فصلِّ صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدًا.. واعلم يا بني! أن المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدمها، وحسنة أخرها (٣).

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٢) المعجم الكبير " للطبراني، وقال الهيثمي في "المجمع": رجاله رجال الصحيح.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم.

من وصايا

العباس بن عبد المطلب لابنه

يا بني! إني أرى أمير المؤمنين يعني: عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يدنيك، ويقربك، ويختصك، ويخلو بك، ويشاورك دون ناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاحفظ عني ثلاثاً: اتق الله ولا تفشين له سرّاً .. ولا يجربن عليك كذباً .. ولا تغتابن عنده أحدًا.

قال عامر الشعبي (رحمه الله): فقلت لابن عباس (رضي الله عنه): يا أبا عباس! كل واحدة خير من ألف، فقال: نعم، ومن عشرة آلاف (١).

وقال له: يا بني! لا تعلم العلم لثلاث خصال: لا لترائي به.. ولا تماري به

وتباهي به.. ولا تدعه لثلاث خصال: رغبة في الجهالة.. وزهادة في العلم.. واستحياء من التعلم .



(١) فضائل الصحابة " للإمام أحمد، " والمعجم الكبير " للطبراني، و " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي.

وصية

عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) لابنه

عن الشعبي قال لما حضر عبدالله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال: يا عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، إني أوصيك بخمس خصال، فاحفظهن عني: أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل. ودع مطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر. ودع ما تعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به.

وإن استطعت ألا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس، فافعل.

وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع، كأنك لا تصلي بعدها.

وصية

عمير بن حبيب (رضي الله عنه) لابنه

عن أبي جعفر الخَطْمِي (رحمه الله) أن جده عمير بن حبيب - وكان بايع رسول الله - أوصى بنيه، فقال لهم: أي بني! إياكم ومخالطة السفهاء؛ فإن مجالستهم داء، وإنه من يَحْتُمُّ عن السفية يُسَرَّ بحلمه، ومن يُجِبُّه يندم، ومن لا يَقَرُّ بقليل ما يأتي به السفية؛ يَقَرُّ بالكثير، ومن يصبر على ما يكره، يُدرك ما يحب.

وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فَلْيُؤْطِنْ نَفْسَهُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى الْأَذَى، وَلْيُؤَقِّنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ (ﷻ)؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُؤَقِّنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ (ﷻ) لَا يَجِدُ مَسَّ الْأَذَى (١).

وصية عقبة بن عامر (رضي الله عنه) لابنه

لما حضرت عقبة الوفاة، قال لولده: يا بَنِي! إِنِّي أَنهَاطُكَ عَنْ ثَلَاثٍ، فَاحْتَفِظُوا بِهَا : لَا تَقْبَلُوا الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِلَّا مِنْ ثِقَةٍ، وَلَا تَدِينُوا وَلَوْ لَبِستَمِ الْعِبَاءِ، وَلَا تَكْتَبُوا شَعْرًا فَتَشْغَلُوا بِهِ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْقُرْآنِ (٢).

وصية عدي بن الخيار (رضي الله عنه) لابنه

لما احتضر عدي بن الخيار (رضي الله عنه) وهو من مسلمة الفتح، وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) يعظمونه، قال لابنه عبيد الله: وصية كعب الأحبار لابنه قال كعب الأحبار (رحمه الله) لابنه: يا بني! إن سرك أن يغبطك الصافون المسبحون، فحافظ على صلاة الضحى؛ فإنها صلاة الأوابين (٣)، وهم المسبحون (١).

(١) الزهد " للإمام أحمد، و"شعب الإيمان " للبيهقي، و"الأمالي" للقالى.

(٢) المعجم الكبير للإمام الطبرانى.

(٣) والأواب: هو المطيع. وقيل: هو: الرجاء إلى الله بالتوبة، يقال: آب إلى الله، إذا رجع عن ذنبه، فهو أواب مبالغة.

ووقت صلاة الضحى يبدأ بارتفاع الشمس قدر رمح إلى قبيل الزوال، لكن أفضل وقت تؤدي فيه عند اشتداد الحر.

وصية

زين العابدين علي بن الحسين لابنه

عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (رحمه الله) قال:

أوصاني أبي، فقال: لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق.

قلت: جعلتُ فداك يا أبت! من هؤلاء الخمسة؟.

قال: لا تصحبن فاسقًا؛ فإنه بائعك بأكلة فما دونها.

قلت: يطمع فيها ثم لا ينالها.

قلت: يا أبت! ومن الثاني؟.

قال: لا تصحبن البخيل؛ فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

قلت: يا أبت! ومن الثالث؟.

قال: لا تصحبن كذابًا؛ فإنه بمنزلة السراب، يبعد منك القريب، ويقرب منك

البعيد.

قلت: يا أبت! ومن الرابع؟.

قال: لا تصحبن أحمق؛ فإنه يريد أن ينفكك فيضرك.

(١) حلية الأولياء" لأبي نعيم. وقد جاء هذا الكلام مرفوعًا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١٢٢٤)، والحاكم في "مستدركه" (١/ ٣١٤) وصححه علي = = شرط مسلم، ووافقه الذهبي في "تلخيص المستدرک"، ورمز له السيوطي بالصحة في "الجامع الصغير" (٩٩٥٥)، وانظر "صحيح مسلم" (٧٤٨).

قلت: يا أبت! ومن الخامس؟.

قال: لا تصحبين قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع (١).

من وصايا

محمد بن علي الباقر لابنه جعفر

عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد قال: قال لي أبي: يا بُني! إن سب أبي بكرٍ وعمرَ من الكبائر، فلا تُصَلِّ خلف من يقع فيهما (٢).
يا بني! إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة: خبأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن شيئاً من الطاعة؛ ففعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته؛ فلا تحقرن شيئاً من المعاصي؛ ففعل سخطه فيه، وخبأ أوليائه في خلقه، فلا تحقرن أحداً من خلقه؛ ففعله في ذلك (٣).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - ترجمة عبد الله بن الحسن بن نصر أبي عبد الرحمن الواسطي (٥٠٥٣).

(٣) مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني.

وصية جعفر الصادق (رحمه الله)

لابنه موسى

عن بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق (رحمه الله) قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه، وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني! اقبل وصيتي، واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً، وتمت حميداً. يا بني! من رضي بما قسم له استغنى، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً.

ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه.

ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه.

يا بني! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتقر لأخيه بئراً سقط فيها. ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني! إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعينك فتذل لذلك.

يا بني! قل الحق لك أو عليك؛ تستشان من بين أقرانك.

يا بني! كن لكتاب الله تالياً، وللسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطيّاً. وإياك والنميمة؛ فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال.

وإياك والتعرض لعيوب الناس؛ فمنزلة المتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.
يا بني! إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً،
وللأصول فروعاً، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب ثمر إلا بأصول، ولا أصل ثابت إلا معدن
طيب.

يا بني! إن زرت فزر الأخيار، ولا تزر الفجار؛ فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها،
وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها (١).

وصية عبد الله بن الحسن (رحمه الله)

لابنه محمدًا

قال عبد الله بن الحسن (رحمه الله) لابنه محمد: يا بني! احذر الجاهل وإن كان
لك ناصحًا كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوًا.
ويوشك الجاهل أن تورطك مشورته في بعض اغترارك، فيسبق إليك مكر العاقل.
وإياك ومعاداة الرجال؛ فإنها لا تدعمك مكر حليم، أو مباداة وفي رواية:
(معاندة) جاهل (٢).

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، وروى هذا الكلام أيضًا عن ذي النون المصري (رحمه الله)، أخرجه
البيهقي في الزهد الكبير.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه، و"روضة العقلاء" لابن حبان الجملة الأخيرة.

من وصايا عبد الملك بن مروان لبنيه

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: كفوا الأذى، وابذلوا المعروف، واعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سئلتكم، ولا تُلحفوا (١) إذا سألتم؛ فإنه من ضيَّق ضيِّق عليه، ومن أعطى أخلف الله عليه.

يا بنيَّ! تعلموا العلم؛ فإن كنتم سادةً فُتُّم، وإن كنتم وسطاً سُدُّتُم، وإن كنتم سُوقةً عِشْتُم (٢).

يا بنيَّ! تعلموا العلم، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مالاً (٣).

وصية عروة بن الزبير (رحمه الله) لبنيه

كان عروة بن الزبير (رحمه الله) يجمع بنيه، فيقول: يا بنيَّ! إن أزهَد الناس في عالم أهله، فهلّموا فاطلبوا العلم؛ فإن تكونوا صغار قوم لا يُحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يُستغنى عنكم.

واسوءتأ! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟! (١).

يا بنيَّ! لا يُهدِين أحدكم إلى ربه ما يستحي أن يُهديه إلى حريمه؛ فإن الله أكرم الكرماء، وأحق من اختيار له.

(١) العِدِّ الفريد.

(٢) أدب الدنيا والدين " للإمام الماوردي.

(٣) جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (رحمه الله).

يا بني! إذا رأيتم خَلَّةً رائعةً من شر من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رَجُلًا صدق؛ فإن لها عنده أخوات.
وإذا رأيتم خلة رائعة من خير من رجل فلا تقطعوا إنَّاتكم منه، وإن كان عند الناس رَجُلًا سوء؛ فإن لها عنده أخوات.
يا بني! الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم (١).

وصية طاوس بن كيسان (رحمه الله) لابنه

عن عبد الله بن طاوس قال: قال لي أبي:
يا بني! صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن الخلق (٢).

وصية عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) لابنه

عن عمر بن حفص قال: حدثني عبد العزيز بن عمر قال: قال لي أبي: يا بني!
إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير (٣).

(١) الأماشي " لأبي علي الفالي، و"مقدمة سنن الدارمي"، و"جامع بيان العلم " لابن عبد البر، و" شعب الإيمان " للبيهقي.

(٢) حلية الأولياء " لأبي نعيم.

(٣) المرجع السابق.

من وصايا وهب بن منبه لابنه

قال وهب بن منبه (رحمه الله) لابنه: يا بُنَيَّ! عليك بالحكمة فإنَّ الخير في الحكمة كُلُّهُ وَتَشَرَّفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْعَبْدَ عَلَى الْحُرِّ وَتَزِيدُ السَّيِّدَ سُودًا وَتُجْلِسُ الْفَقِيرَ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ (١).

يا بُنَيَّ! لا تُجَادِلَنَّ الْعُلَمَاءَ فَتَهُونَ عَلَيْهِمْ فَيَرْفُضُوكَ، وَلا تُمَارِينَ السُّفَهَاءَ فَيَجْهَلُوا عَلَيْكَ وَيَشْتُمُوكَ؛ فَإِنَّهُ يَلْحَقُ بِالْعُلَمَاءِ مِنْ صَبَرَ وَرَأَى رَأْيَهُمْ، وَيَنْجُو مِنَ السُّفَهَاءِ مَنْ صَمَتَ وَسَكَتَ عَنْهُمْ.

وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّكَ إِذَا مَارَيْتَ الْفَقِيهَ إِلَّا زِدْتَهُ غَيْظًا دَائِبًا عَلَيْكَ.

وَلَا تَحْمِينَ مِنْ قَلِيلٍ تَسْمَعُهُ؛ فَيُوقِعُكَ فِي كَثِيرٍ تَكْرَهُهُ.

وَلَا تَفْضَحْ نَفْسَكَ لِتَشْفِي غَيْظَكَ، فَإِنْ جَهَلَ عَلَيْكَ جَاهِلٌ فَلْيَنْفَعَنَّ إِيَّاكَ حِلْمُكَ، وَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تُحْسِنْ حَتَّى يُحْسِنَ إِلَيْكَ، فَمَا أَجْرُكَ؟ وَمَا فَضْلُكَ عَلَى غَيْرِكَ؟ فَإِذَا أُرِدْتَ الْأَجْرَ وَالْفَضِيلَةَ فَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَانْفَعْ مَنْ لَمْ يَنْفَعَكَ، فَانْتَظِرْ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ الْكَامِلَةَ الَّتِي لَا يُرِيدُ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا ثَوَابًا فِي الدُّنْيَا.

من وصايا أكرم بن صيفي لابنه

قال أكرم بن صيفي لابنه : يا بني! نلوا أخلاقكم للمطالب، وقوموها على المحامد، وعلموها المكارم.

(١) السنن للإمام الدارمي رحمه الله .

ولا تقيموا على خلق تدمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتخلقوا بالجد
 يلبسكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل فتعجلوا الفقر.
 يا بني! لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب؛ فإن المناكح الكريمة
 مدرجة للشرف(١).

وصية خالد بن صفوان لابنه

قال خالد بن صفوان لابنه: كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً، أقل ما تكون
 في الباطن مآلاً.. ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية.
 يا بني! أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك، ودينك
 لمعادك(٢).

وصية عينة

بن أبي عمران ميمون الهلالي لابنه سفيان

قال الإمام سفيان بن عيينة (رحمه الله): لما بلغت خمس عشرة سنة، قال لي
 أبي: يا بني! قد انقطعت عنك شرائع الصبا، فاختلط بالخير تكن من أهله، ولا تزايله
 فتبين منه.

(١) أدب الدنيا والدين " للإمام الماوردي رحمه الله.

(٢) العقد الفريد " لابن عبد ربه.

ولا يغرنك من مدحك بما تعلم أنت خلفه من نفسك؛ فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير ما لم يعلم منه إذا رضي، إلا قال فيه من الشر على قدر ما مدحه إذا سخط.

واستأنس بالوحدة من جلساء السوء، تسلم من غيب عواقبهم.

ولا تنقل أحسن ظني بك إلى أسوأ ظني بمن هو دونك.

واعلم أنه لن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم، فأطعهم تسعد، واخدمهم تقتبس من علمهم.

قال الإمام الهمام، الثقة الثبت شيخ الإسلام، سفيان بن عيينة (رحمه الله):
فجعلت وصية أبي هذه قبلة أميل إليها، ولا أميل عنها، ولا أعدل عنها (١).

وصية علقمة العطاردي لابنه

عن سفيان بن عيينة (رحمه الله) قال: قال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه: يا بني! إذا نرغتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصة مانك (٢)، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدای الملمات آساک، من لاياتيك منه البوائق (٣)، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن حاول حويلاً آمرك (٤)، وإن تنازعتما منفساً (١) آثرك (٢).

(١) الزهد الكبير للبيهقي، وكتاب العيال لابن أبي الدنيا.

(٢) الخصاصة: الفقر والحاجة وسوء الحال، ومانك: أي: حمل مؤنتك وقام بكفايتك.

(٣) البوائق: الدواهي والغوائل والشورور، المفرد: البائقة.

(٤) يقال: حاول الشيء، إذا أرادته ورامه، والاسم: الحويل. وآمرك: أي: شاورك.

وصية أبي الأسود الدؤلي لابنه

يا بني! إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام مَنْ هو فوقك فَيَمَقْتُوكَ، ولا بكلام مَنْ هو دونك فَيَزِدُّوكَ (٣).

وصية سعيد بن العاصي لابنه

يا بني! اقتصد في مزاحك؛ فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويُجَرِّئُ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يَفُضُّ عنك الموانسين، ويُوَحِّشُ منك المصاحبين (٤).
يا بني! إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقم إليها اللئام، ولكنها كريهة مرة لا يصبر عليها إلا مَنْ عرف فضلها، ورجا ثوابها (٥).

ولما حضرت الوفاة سعيد ابن العاصي قال: يا بني، أيكم يكفل عني ديني؟

قال عمرو بن سعيد: علي دينك يا أبه: كم هو؟

قال: ثمانون ألف دينار.

قال: وفيم استدنتها؟ قال: في كريم سددت خلله، أو لنيم اشتريت عرضي منه،

ثم قال سعيد: هذه خصلة وبقيت خصلتان. قال: ما هما يا أبه؟

(١) النفس والمنفس: كل شيء له خطر وقدر.

(٢) عيون الأخبار " لابن قتيبة (رحمه الله).

(٣) أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي.

(٤) المرجع السابق.

(٥) شعب الإيمان للإمام البيهقي.

قال: يا بني لا تزوجن بناتي إلا من الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير. قال: أفعل.
 قال: يا بني، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة. قال: وما هي يا أبة؟
 قال: يا بني، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروفِي.
 قال: أفعل يا أبة. قال: يا بني ما زلت أعرف الكرم في حماليق عينيك وأنت يحرك
 بك في مهدك حتى بلغت ما أرى.
 يا بني، ما شامت رجلاً مذ كنت رجلاً، ولا زاحمت ركبتاي ركبته، ولا كلفت من
 يرتجيني أن يسألني فيبذل وجهه ويرشح جبينه رشح السقاء، إذن، والله، فما
 وصلته.

يا بني، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً عن غير مسألة.
 فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه مخاطراً، لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو
 خرجت له من جميع ما تملكه ما كافأته، ولا الذي بات يتململ على فراشه يعقب بين
 شفثيه أيجدني موضعاً لحاجته أم لا، لهو أعظم علي منه مني عليه، إذا قضيتها
 له (١).

وصية عبد الله بن الأَهمر لابنه

يا بني! لا تطلب الحوائج من غير أهلها، ولا تطلبها في غير حينها، ولا تطلب
 ما لست له مُستَحَقًّا؛ فإنك إن فعلت ذلك كنت بالحرمان حَقِيقًا (٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير، التعازي والمراثي.

(٢) المرجع السابق.

وصية أسماء بن خارجة

لابنته عند الزوج

لما أراد أسماء بن خارجة الفزاري أن يُهدي ابنته إلى زوجها، قال لها:
يا بنية! كان النساء أحق بأدبك مني، ولا بد لي من تأديبك.
يا بنية! كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، ولا تدني منه فيملك، ولا تباعدي عنه
فتتقلي عليه، وكوني كما قلتُ لأمك: خذي العفو مني تستديمي مودتي، ولا تنطقي
في سورتني حين أغضبُ:

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى * إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب (١).**

وصية ضيغم لابنيه

قال مالك بن ضيغم: لما احتضر أبي قلنا له: ألا تُوصي؟ قال: بلى، أوصيكم بما
أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوبُ: ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢). وأوصيكم بصلة الرحم، وحسن الجوار، وفعل ما استطعتم
من المعروف، وادفنوني مع المساكين (٣).

(١) العيال " لابن أبي الدنيا، و " شعب الإيمان للبيهقي، وانظر " الإحياء " للغزالي (٢ / ٦٦) ط/ دار
الكتب العلمية، (٣ / ٧٨) ط مكتبة مصر.
(٢) سورة البقرة - الآية ١٣٢.
(٣) عيون الأخبار " لابن قتيبة (رحمه الله).

من وصايا تحيي بن خالد لابنه جعفر

يا بني! خذ من كل علم بحظ؛ فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته لما جهلت، وعزيز عليّ أن تعادي شيئاً من العلم (١).

يا بني! لا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه؛ فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن افهم عنه، فإذا فهمت فأجبه، ولا تتعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تفهم إذا لم تفهم؛ فإن الجواب قبل الفهم حمق، وإذا جهلت قبل أن تسأل فاسأل؛ فيبدو لك، واستفهامك أحمد بك، وخير لك من السكوت على العي (٢).

وصية سعد الخير لابنه

عن عبد الملك بن عمير (رحمه الله) أن سعد الخير كان يقول لابنه:
أظهر اليأس فإنه غنى. وإياك وطلب ما عند الناس؛ فإنه فقر حاضر. وإياك وما يعتذر منه، وأسبغ الوضوء، وصلِّ صلاة مودع عسى أن لا تصلي غيرها.
وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً منك اليوم؛ فافعل (٣).

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر. وأورده ابن الجوزي في كتاب "الأذكياء" بلفظ "الأدب" بدل "العلم".

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

(٣) أخرجه الإمام البيهقي في الزهد الكبير.

وصية المنصور لابنه المهدي

اعلم أن رضاء الناس غاية لا تدرك، فتحبب إليهم بالإحسان جهدك، وتودد إليهم بالإفضال، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم(١).

وصية أديب لابنه

قال العجلي: قال بعض الأدباء لابنه: والله در من قال: " من استوى يوماه فهو مغبون"، ويروى هذا الكلام مرفوعاً، ولا يثبت من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم).

يا بني! إذا دخلت المصر فاستكثر من الصديق، فأما العدو فلا يهمنك، وإياك والخطب؛ فإنها مشوار كثير العثار(٢).

من وصايا أحد الحكماء لابنه

يا بني! عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتقطيب والكبر؛ فإن الأحرار أحب إليهم أن يُلَقَّوا بما يحبون ويُحرموا، من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا(٣).
وورد في رسائل الجاحظ (بلفظ): وقد قال بعض الحكماء: غاية الأحرار أن يلقوا بما يحبون ويحرموا أحب إليهم من أن يلقوا ما يكرهون ويعطوا(٤).

(١) أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.

(٢) عيون الأخبار للإمام ابن قتيبة.

(٣) عيون الأخبار للإمام ابن قتيبة.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه.

يا بني! كن جوادًا بالمال في موضع الحق، ضنينًا بالأسرار عن جميع الخلق؛
فإن أحمدَ جودِ المرء: الإنفاقُ في وجه البرِّ، والبخلُ بمكتوم السرِّ (١).
يا بني! عليك بطلب العلم، وجمع المال. فإن الناس طائفتان: خاصة، وعامة.
فالخاصة: تكرمك للعلم، والعامة تكرمك للمال (٢).

من وصايا أحد الأعراب للأبناء

أي بني! إنه من خاف الموت بادر بالفوت، ومن لم يلجم نفسه عن الشهوات
أسرعت به التبعات، والجنة والنار أمامك (٣).
يا بني! العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب دِعامَة أيَّد الله بها الألباب،
وحلية زين الله بها عواطل الأحساب.
فالعاقل لا يستغني - وإن صحَّت غريزته - عن الأدب المُخرِج زهرته كما لا تستغني
الأرض - وإن عذبت تُربُّتها عن الماء المخرج ثمرتها (٤).
يا بني! إنه قد أسمعك الداعي، وأعذر إليك الطالب، وانتهى الأمر فيك إلى حده،
ولا أعرف أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأه الأمل (٥).
يا بني! لا تتخذها حنَّانة (٦)، ولا أنانة (١)، ولا منانة (٢)، ولا عُشبة الدار (٣)، ولا
كُبة القفا (٤) (٥)

(١) أدب الدنيا والدين" للماوردي.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبيشيبي الشافعي.

(٣) الزهد الكبير للإمام البيهقي.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي.

(٥) العقد الفريد.

(٦) الحنَّانة: التي لها ولد من سواه، فهي تحنُّ عليهم، وقيل: التي تحنُّ لزوج كان لها.

وصية رجل لبنيه

يا بني! لو أن رجلاً منكم أراد حاجةً احتاج فيها إلى أن يتهياً لها، لقدّر على عارية ثوب جاره ودابته، ولكن لا يقدر على لسانٍ يستعيره؛ فأصلحوا ألسنتكم (٦).

من وصايا المهلب لبنيه

يا بني! تبادلوا تحابوا؛ فإن بني الأم يختلفون، فكيف بنو العلات؟! وإن البرَّ ينسأ في الأجل، ويزيد في العدد. وإن القطيعة تُورث القلة، وتُعقب النار بعد الذلّة. واتقوا زلة اللسان؛ فإن الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك. وعليكم في الحرب بالمكيدة؛ فإنها أبلغ من النجدة، فإن القتال إذا وقع وقّع القضاء، فإن ظفّرَ فقد سعد، وإن ظفّرَ به لم يقولوا: فرط (٧).

١) والأثانة: التي مات عنها زوجها، فهي إذا رأت الزوج الثاني أنّت، وقالت: ((رحم الله فلاناً))، لزوجها الأول، وقيل: التي تئنّ كسلاً وتمارضاً.

٢) والمناة: التي لها مال، فهي تمنّ على زوجها كلما أهوى إلى شيء من مالها.

٣) وقوله: ((عُشبة الدار)) يريد: الهجينة. وعشبة الدار: التي تنبت في دمنة الدار (١) وحولها عشب في بياض الأرض، فهي أفخم منه وأضخم؛ لأنها غدثها الدمنة، وذلك أطيب للأكل رطباً وبيساً؛ لأنه نبت في أرض طيبة، وهذه نبتت في دمنة فهي منتنة رطبة، وإذا يبست صارت حُتاً وذهب قفها في الدمنة فلم يمكن جمعه، وذلك يُجمَع قفها؛ لأنه في أرض طيبة. قال أبو العباس أحمد بن يحيى: ((الف: ما يبس من البقل، وسقط على الأرض في موضع نباته.

٤) وقوله: ((كبة القفا)) هي التي يأتي زوجها أو ابنها القوم، فإذا انصرف من عندهم قال رجلٌ من جبناء القوم: قد والله كان بيني وبين امرأة هذا المولى أو أمه أمر.

٥) الأمالي لأبي علي القالي.

٦) كتاب العيال لابن أبي الدنيا، ورسائل الجاحظ.

٧) البيان والتبيين للجاحظ.

وقال لهم أيضاً:

إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زراد أو ورق. أراد: الزراد للحرب، والورق

للعلم (١)

وصية الحارث بن عباس السلمي لابنه

احفظ بني وصية أوصيكها
أكرم خليل أبيك حيث لقيته
والجار أكرم جار بيتك ما دنا
والضيف إن له عليك وسيلة
ورفيق رحك لا تجهل إنما
واشعب بخصمك إن خصمك مشعب
واستوص خيراً بالعشيرة كلها
يصلوا جناحك يا بني وإنما
إن امرء لا يستعد رجاله
وإذا أتتك عصابة في شبهة
واصدق إذا حدثت يوماً معشراً
وذر المجاهل إنها مشئومة

إن كنت تؤمن بالكتاب المنزل
ولقد عقت أباك إن لم تفعل
حتى يبين ثواءكم في المنزل
لا يتركتك ضحكة للنزل
جهل الرفيق على الرفيق النيطل
وإذا علوت على الخصوم فأجمل
ما حملوك من المثاقيل فأحمل
يلو الشواهد ذو الجناح الأجدل
لرجال آخر غيره كالأعزل
يتحاكمون إليك يوماً فأعدل
وإذا عييت بأصل علم فاسأل
وإن امرؤ أهدى النصيحة فاقبل (٢).

(١) العقد الفريد، و"الحيوان" للجاحظ.

(٢) ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي.

وصية مسعن بن كدام لابنه

إِنِّي نَحَلْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَةَ
أَمَّا الْمُرَاخُ مَعَ الْمُرَاءِ فَذَرَّهُمَا
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا
وَالْجَهْلُ يُزِرِّي بِإِلْفَتِي فِي قَوْمِهِ
فَأَسْمَعُ مَقَالَ أَبِي عَلَيَّكَ شَفِيقِ
خُلُقَانٍ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِي
لِمَجَاوِرِ جَارًا وَلَا لِشَقِيقِ
وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ عُرُوقِ (١)

وصية أبي الأخفش الكناني لابنه

أَبْنِي لَا تَكُ مَا حَيَّيْتَ مُمَارِيًا
لَا تَحْمِلَنَّ ضَعِيفَةً لِقَرَابَةٍ
لَا تَحْسَبَنَّ الْجِلْمَ مِنْكَ مَذَلَّةً
وَدَعِ السَّفَاهَةَ إِنَّهَا لَا تَنْفَعُ
إِنَّ الضَّعِيفَةَ لِلِقَرَابَةِ تَقْطَعُ
إِنَّ الْحَلِيمَ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ (٢)

وصية الهيثم بن صالح لابنه

قال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً: يا بني! إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب، وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب.

قال: يا أبة! فإن أكثرت وأكثرت (يعني: كلاماً وصواباً)؟.

فقال: يا بني! ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك (٣).

(١) روضة العقلاء، و"شعب الإيمان"، و"حلية الأولياء"، و"جامع بيان العلم وفضله.

(٢) روضة العقلاء" للإمام ابن حبان رحمه الله.

(٣) البيان والتبيين" للجاحظ.

وصية أبي حازم سلمة بن دينار لابنه

يا بني! لا تقتد بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفو عن العيب، ولا يصلح

عند الشيب (١).

وصية عتبة بن أبي سفيان لابنه

عن العتبي قال: قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: كنت أساير أبي ورجل يقع في رجل (٢)، فالتفت إليّ أبي، فقال: يا بني! نزه سمعك عن استماع الخنا (٣) كما تنزه لسانك عن الكلام به؛ فإن المستمع شريك القائل الكلام (٤).

ولقد نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو زدت كلمة جاهل في فيه؛ لسعد رادها كما شقي قائلها (٥).

(١) حلية الأولياء.

(٢) قال في "المصباح المنير": "وقع فلان في فلان وقوعًا ووقية: سبه وتلبه"، وفي "اللسان": "الوقية في الناس: الغيبة، ووقع فيهم وقوعًا ووقية: اغتابهم، وهو رجل وقاع ووقاعة أي: يغتاب الناس. وقد أظهر الوقية في فلان، إذا عابه."

(٣) الخنا: الفحش وقبيح الكلام.

(٤) والدليل على أن المستمع شريك القائل إذا أقره ولم ينكر عليه، قول ربنا (تعالى ذكره): ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى = = يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، أي: إنكم إن قعدتم معهم مثلهم في الإثم. فالحذر الحذر.

فصن سمعك عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه.

(٥) عيون الأخبار للإمام ابن قتيبة رحمه الله.

وصية زيد بن أسلم لابنه

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (رحمه الله) قال: كان أبي يقول: أي بني! كيف تعجبك نفسك، وأنت لا تشاء أن ترى من عباد الله من هو خير منك إلا رأيتَه؟! يا بني! لا ترَ أنك خيراً من أحد يقول: " لا إله إلا الله " حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار؛ تبين لك أنك خير منه (١).

وصية عبيد الله بن أبي المهاجر لابنيه

عن إبراهيم بن شيبان قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول: لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه، وقال: يا بني! عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق، حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقرَّ به، والله! ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن.

يا بني! وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين، فو الله! لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بابي وما ألقى مسلماً إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفترون أنني لا أحب لنفسي إلا خيراً؟ (٢).

وصية الأشعث بن قيس لابنيه

يا بني! لا تذلوا في أعراضكم، وانخدعوا في أموالكم، ولتخف بطونكم من أموال الناس، وظهوركم من دمائهم؛ فإن لكل امرئ تبعاً.

(١) حلية الأولياء " لأبي نعيم رحمه الله.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم..

وإياكم وما يُعْتَدِرُ منه أو يُسْتَحَى؛ فَإِنَّمَا يُعْتَدِرُ مِنْ ذَنْبٍ، وَيَسْتَحَى مِنْ عَيْبٍ.
وَأَصْلَحُوا الْمَالَ لَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ، وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ.
وَكَفُوا عِنْدَ الْحَاجَةِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَإِنَّهُ كَفَى بِالرَّدِّ مَنَعًا.
وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، حَتَّى يُوَافِقَ الرِّزْقُ قَدْرًا.
وَأَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ يَتَأَسَى بِكُمْ الْكَرِيمُ، وَيَتَشْرَفُ بِكُمْ
النَّيِّمُ.
وَكُونُوا فِي عَوَامِ النَّاسِ مَا لَمْ يَضْطَرِبِ الْحَبْلُ، فَإِذَا اضْطَرَبَ الْحَبْلُ (١) فَالْحَقُوا
بِعَشَائِرِكُمْ (٢).

وصية محمد بن السعدي لابنه عروة

قال محمد بن السعدي لابنه عروة لما ولي اليمن: إذا غضبت فانظر إلى
السماء فوقك، وإلى الأرض تحتك؛ ثم عَظَمَ خَالِقَهُمَا (٣).

وصية سليمان بن طرخان النيمي لابنه

عن محمد بن عبد الأعلى قال: سمعت المعتمر بن سليمان (رحمه الله) يقول:
كتب إليّ أبي وأنا بالكوفة: يا بني! انظر في المصحف، واكتب العلم؛ فإن المال
يفنى، والعلم يبقى (٤).

(١) الحَبْلُ: العهد والأمان.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه رحمه الله .

(٣) الروضة.

(٤) شعب الإيمان للإمام البيهقي.

وصية أبي قيس ابن معد يكرب لابنه

قال أبو قيس ابن معد يكرب، وكان له أحد عشر ذكراً: يا بني! اطلبوا هذا المال أجمل الطلب، واصرفوه في أحسن مذهب، صلوا به الأرحام، واصطنعوا به الأقوام، واجعلوه جنة لأعراضكم، تحسن في الناس قالتكم؛ فإن جمعه كمال الأدب، وبذله كمال المروعة، حتى إنه ليسود غير السيد، ويقوي غير الأيد [الأيد: القوي]، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبياً، وفي أعينهم مهيباً. ومن جمع مالا فلم يصن عرضاً، ولم يعط سائلاً؛ بحث الناس عن أصله، فإن كان مدخولاً هتكوه، وإن كان صحيحاً نسبوه: إما إلى عرض دنيئة، وإما إلى لوص لئيم حتى يهجنوه (١)(٢).

وصية مسلم بن قتيبة لابنه

لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة

- (١) لا تطلبها إلى الكذاب؛ فإنه يقربها وهي بعيدة، ويبعدها وهي قريبة.
- (٢) ولا تطلبها إلى الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفك وهو يضرك.
- (٣) ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأكلة؛ فإنه يجعل حاجته وقاءً لحاجتك (٣).

(١) يقال: لأصه على كذا: إذا أداره على الشيء الذي يرومه منه.

(٢) روضة العقلاء.

(٣) الأمالي " لأبي علي القالي رحمه الله.

وصية

خال سهل بن عبد الله له

قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم الليل، فأنظر إلي صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟. فقلت: كيف أذكره؟

قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك، ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي.. الله ناظر إلي.. الله شاهدي .

فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك، ثم أعلمته. فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة . فقلته، فوقع في قلبي حلاوته. فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: أحفظ ما علمتك، ودم عليه إلي أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل علي ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري. ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية . فكنت أخلو بنفسي، فبعثوا بي إلي المكتب، واشتروا علي المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع .

فمضيت إلي الكتاب، فتعلمت القرآن وحفظته، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين (١) .

(١) انظر كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي - بيان الطريق في رياضة الصبيان ٦٤./٣

وصية

عبد الله بن شداد رضي الله عنه لابنه

قال : يا بني، إني أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقى فإليه ينزع؛ وإني موصيك بوصية فاحفظها، عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد؛ وكن كما قال الحطيئة:

ولكنّ التقيّ هو السعيد

ولست أرى السعادة جمع مال

وعند الله لالتقى مزيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً

ولكنّ الذي يمضي بعيد

وما لا بدّ أن يأتي قريباً

ثم قال : أي بني، لا تزهدنّ في معروف، فإن الدهر ذو صروف؛ والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب؛ فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه؛ واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان؛ وكن أي بني كما قال أبو الأسود الدؤلي:

عليك إذا ما جاء للعرف طالب

وعدّ من الرحمن فضلاً ونعمةً

يكن هيناً ثقلاً على من يصاحب

وإن امرأ لا يرتجى الخير عنده

فإنك لا تدري متى أنت راغب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً

وبينهم فيه تكوّن النوائب

رأيت التوا هذا الزمان بأهله

ثم قال : أي بني، كن جواداً بالمال في موضع الحق بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق؛ فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحرّ الضن بمكتوم السر، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري (١):

أجود بمكنون التلاد وإنني بسرك عنم سألني لضنين
إذا جاوز الإثنين سر فإنه ينث وتكثير الحديث قمين
وعندي له إذا يوماً ما ائتمنتني مكانً بسوداء الفؤاد مكين

ثم قال : أي بني، وإن غليت يوماً على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال والدني عيال؛ وكن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مالاً؛ فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنقاد نعمته؛ وكن كما قال ابن حذاق العبدي:

ثم قال : أي بني، وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد؛ فإنك إن أمضيتها حيالها، رجع العيب على من قالها؛ وكان يقال: الأرنب العاقل، هو الفطن المتغافل؛ وكن كما قال حاتم الطائي:

وما من شيمتي شتم ابن عمي وما أنا مخلفٌ من يرتجيني
وكلمة حاسدٍ في غير جرم سمعت فقلت مري فانفذيني
فعابوها عليّ ولم تسوئي ولم يعرق لها يوماً جبيني
وذو اللّوين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب يأتليني

(١) قال ابن حجر: ذكره عليّ بن سَعِيدِ العَسْكَرِيُّ في الصّحَابَةِ، وهو وَهْمٌ، فقد ذكر أهل المغازي أنه قدم مكة؛ فدعاه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الإسلام، وتلا عليه القرآن، فقال: إني لأسمع كلاماً عجباً، فدعني أنظر في أمري هذه السنة، ثم أعود إليك، فمات قبل الحول، وهذا هو الشّاعر المشهور، وهو من الأوس، وله في وقعة بُعَاث، التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة، أشعار كثيرة. وهو والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل.

أي بني، لا تواخ أمراً حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره؛ فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة؛ فواخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة؛ وكن كما قال المقتع الكندي (١):

ابل الرجال إذا أردت إزاءهم
وتوسمّن فعالهم وتفقد
فإذا ظفرت بذى اللبانة والتقى
فبه اليدين قرير عين فاشدد
وإذا رأيت ولا محالة زلةً
فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال: أي بني، إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط؛ فإنه قد كان يقال:

أحبب حبيبك هوناً ما
عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
وأبغض بغيضك هوناً ما
عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذريّ :

وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار فإنه عار، وكن

كما قال الشاعر:

(١) محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن الأسود بن عبد الله الكندي، أحد شعراء العصر الأموي لقب بالمقتع بسبب تلثمه خوفاً من العين لفرط جماله وبهاء حسنه عاصر الوليد بن يزيد وامتدحه ، ويمتاز شعر المقتع برصانة الأسلوب وانتقى الألفاظ والمفردات الشعرية بعناية فائقة تعرب عن تمكنه في صناعة الشعر وسمو مكانه بين شعراء العربية ، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الأدب المشهورة من قصيدته الذائعة الصيت التي يرد بها على بني قومه حينما عاتبوه على = كثرة أنفاقه والاستدانة في سبيل ذلك. شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته.

وكان المقتع الكندي يعرف بمكانته ومنزلته الرفيعة داخل عشيرته كما قال الجاحظ، وقال التبريزي في تفسيره للقب أن المقتع هو اللابس لسلحاه، وكل من غطى رأسه فهو مقتع.

قال الهيثم بن عدي: كان عمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها، فيقصر عنه.

اصحب الأخيار وارغب فيهم
 ودع الناس فلا تشتمهم
 إن من شاتم وغداً كالذي
 يشترى الصفر بأعيان الذهب
 رب من صاحبه مثل الجرب
 وإذا شاتم فاشتم ذا حسب
 وأصدق الناس إذا حدثهم ودع الناس فمن شاء كذب (١)

وصية عتبة بن أبي سفيان

لعبد الصمد مؤدب ولده

ليكن أول إصلاحك لوادي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلي علم حتي يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل علي عذر مني لك، فقد اتكلت علي كفاية منك .

وفي رواية أخرى: وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء .

وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوأ الناس رعه ، وأقلهم أدبا، وجنبهم الحشم، فإنهم لهم مفسدة، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر

(١) الأمالي لإمام العلم والأدب أبو علي القالي رحمه الله.

يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماء مصاً، ولا يعبوه عباً، وإذا احتجت إلي أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر، لا يعلمه أحد من الفاشية فيهنونوا عليه.

وصية هشام بن عبد الملك

لمؤدب ولده

إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأد الأمانة... إلخ .

وصية المهلب ابن أبي صفرة

لابنه عبد الملك

إياك والسرعة عن المسألة بنعمفان أولها سهل في مخرجها وآخرها ثقل في فعلها، واعلم أن (لا) وإن قبحت فريماً روحاً وإن سنلت أمراً فقدت عليه فأجب وإن عرفت أن لاسبيل إليه فاعتذر منه فإنه من لم يعد معتذراً فقد ظلم.

وصية

عمير بن حبيب لبنيه

يا بني! إياكم ومخالطة السفهاء فإن مجالستهم داء وإن من يحلم عن السفية يسر بحلمه ومن يجبه يندم ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفية يقر بالكثير وإذا أراد

احدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليوطن قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب من الله عزوجل إنه من يوقن بالثواب من الله عزوجل لا يجد مس الأذى.

وصية عم بن هيرة

لبعض بني

لا تكونن أو مشير وإياك والرأي الخطير وتجنب إرتجال الكلام ، ولا تشر على مستبد ولا على وغد، ولا على متلون، ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم وسوء الإستماع خيانة.

وصية أبو الأسود الدؤلي لابنه

يابني! إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك .

كتاب طاهس بن الحسين لابنه عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته، ومراقبته (ﷻ)، ومزايلة سخطه. واحفظ رعيته في الليل والنهار.

والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسئول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك من الله (ﷻ)، وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه.

فإن الله (ﷻ) قد أحسن إليك، وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل فيهم، والقيام بحقه وحدوده عليهم، والذب عنهم، والدفع عن حريمهم وبيضتهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسبيلهم، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم.

ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك، وموقفك عليه، وسألك عنه، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت.

ففرغْ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ورؤيتك، ولا يذهلك عنه ذاهل، ولا يشغلك عنه شاغل، وإنه رأس أمرِك وملاكُ شأنِك، وأول ما يوفقك الله به لرشدك. وليكن أول ما تلزم به نفسك، وتنسب إليه فعالك، المواظبة على ما فرض الله (ﷻ) عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها، وتوقعها على سننها، من إسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله (ﷻ) فيها، ورتل في قراءتك، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك، ولتصرف فيه رأيك ونيتك، واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك، وادأب عليها؛ فإنها كما قال الله (ﷻ): ﴿تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (١) ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله (ﷺ)، والمثابرة على خلائقه، واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده.

وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله (ﷻ) وتقواه، ويلزوم ما أنزل الله (ﷻ) في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه، وإتتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله (ﷺ)، ثم قُمْ فيه بالحق لله (ﷻ)، ولا تميلن عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد.

وآثر الفقه وأهله، والدين وحملته، وكتاب الله (ﷻ) والعاملين به، فإن أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين، والطلب له، والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله (ﷻ) فإنه الدليل على الخير كله والقائد إليه والامر به، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها.

ومع توفيق الله (ﷻ) يزداد المرء معرفة وإجلالاً له، ودرجاً للدرجات العلى في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره، والهيبة لسلطانك، والأنسة بك، والثقة بعدلك.

وعليك بالاعتقاد في الأمور كلها، فليس شيء أبين نفعاً، ولاخص أمناً، ولا أجمع فضلاً منه.

والقصد داعية إلى الرشده، والرشده دليل على التوفيق، والتوفيق قائد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد، فأثره في دنياك كلها.

ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشده والإعانة، والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يُطلب به وجهُ الله (تعالى) ومرضاته، ومرافقة أولياء الله في دار كرامته.

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب، وأنتك لن تحوط نفسك من قائل، ولا تنصلح أمورك بأفضل منه، فآته واهتد به؛ تتم أمورك وتزد

مقدرتك وتصلح عامتك وخاصتك. وأحسن ظنك بالله (ﷻ)؛ تستقم لك رعيتك،
والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها؛ تستدم به النعمة عليك.

ولا تتهمن أحدًا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره؛ فإن إيقاع
التهم بالبرآء، والظنون السيئة بهم، آثمٌ إثمٌ.

فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه
فيهم؛ يُعِنُّكَ ذلك على استطاعتهم ورياضتهم. ولا تتخذنَّ عدوَّ الله الشيطانَ في أمرك
معمداً، فإنه إنما يكتفياً القليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما
ينقص لذادة عيشك.

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوةً وراحة، وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك،
وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها.

ولا يمنعك حسنُ الظن بأصحابك، والرأفة برعيتك، أن تستعمل المسألة والبحثَ
عن أمورك، والمباشرةَ لأمر الأولياء، وحيطة الرعية، والنظر في حوائجهم، وحمل
مئوناتهم، أيسر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقوم للدين وأحيا للسنة.
وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك تفردَ مَنْ يعلم أنه مسئولٌ عما
صنع ومَجْزِيٌّ بما أحسن، ومُواخِذٌ بما أساء؛ فإن الله (ﷻ) جعل الدين حرزاً وعزاً،
ورفع من اتبعه وعززه.

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى.

وأقم حدود الله (تعالى) في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، وما استحقوه، ولا
تعطل ذلك ولا تتهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تفريطك في ذلك ما
يفسد عليك حسن ظنك.

واعترزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك، وتتم لك مروعتك.

وإذا عاهدت عهدًا فأوفِ به، وإذا وعدت الخير فأنجزه.
واقبل الحسنة وادفع بها.

واغض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور، وابغض أهل النميمة، فإن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها: تقريب الكذوب، والجرأة على الكذب؛ لأن الكذب رأس المآثم، والزور والنميمة خاتمها؛ لأن النميمة لا يسلم صاحبها، وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر.
وأحب أهل الصلاح والصدق، وأعز الأشراف بالحق، وأعِن الضعفاء، وصل الرحم، وابتغِ بذلك وجه الله (تعالى)، وإعزاز [وأعزز] أمره، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة.

واجتنب سوء الأهواء والجور، واصرف عنهما رأيك، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك، وأنعم بالعدل سياستهم، وقم بالحق فيهم، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى.

واملك نفسك عند الغضب، وآثر الحلم والوقار، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله.

وإياك أن تقول: أنا مُسلِّطُ أفعلُ ما أشاء؛ فإن ذلك سريع إلى نقص الرأي وقلة اليقين بالله عز وجل.

وأخلص لله وحده النية فيه واليقين به.

واعلم أن الملك لله (ﷻ)، يؤتیه مَنْ يشاء وينزعه ممن يشاء.

ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى أحد أسرع منه إلى جهلة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نِعَمَ الله وإحسانه، واستطالوا بما أعطاهم الله (ﷻ) من فضله.

ودع عنك شَرَةَ نَفْسِكَ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز: البرِّ والتقوى، واستصلاح الرعية، وعمارة بلادهم، والتفقد لأموهم، والحفظ لدمائهم، والإغاثة لمهوفهم.

واعلم أن الأموال إذا اكتثرت وأدخرت في الخزائن لا تنمو، وإذا كانت في صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف الأذية عنهم؛ نمت وزكت، وصلحت بها العامة، وترتبت بها الولاية، وطاب بها الزمان، واعتقد فيها العز والمنفعة.

فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم، وأوف من ذلك حصصهم، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم، فإنك إذا فعلت ذلك قررت النعمة لك، واستوجبت المزيد من الله (ﷻ)، وكنت بذلك على جباية أموال رعيته وخراجك أقدر، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك.

وطب نفساً بكل ما أردت، وأجهد نفسك فيما حمدت (حددت) لك في هذا الباب، وليعظم حَقُّك فيه، وإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه. واعرف للشاكرين حقهم، وأثبهم عليه.

وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك؛ فإن التهاون يورث التفريط، والتفريط يورث البوار.

وليكن عملك لله (ﷻ) وفيه، وارحُ الثواب منه، فإن الله (ﷻ) قد أسبغ عليك فضله.

واعتصم بالشكر، وعليه فاعتمد، يزدك الله خيراً وإحساناً؛ فإن الله (ﷻ) يثيب بقدر شكر الشاكرين وإحسان المحسنين.

ولا تُحَقِّرَنَّ ذنباً، ولا تُمَالِنِ حاسداً، ولا تَرَحْمِنِ فاجراً، ولا تَصْلُنِ كفوراً، ولا تُدَاهِنِ عدواً، ولا تُصَدِّقِ نماماً، ولا تَأْمَنِ غداراً، ولا تُؤَالِمِ فاسقاً، ولا تَتَّبِعِ غاويّاً، ولا تَحْمَدِ مُرائياً، ولا تحقرن إنساناً، ولا تَرِدِ سائلاً فقيراً، ولا تُحَسِّنِ باطلاً، ولا تُلاحِظِ مضحكاً، ولا تُخْلِفِ وعداً، ولا تَزْهَوِ فخراً، ولا تُظْهِرِ غضباً، ولا تُبَايِنِ رجاءً، ولا تَمْشِيَنَّ مرحاً، ولا تُزَكِّيَنَّ سفيهاً، ولا تُفْرِطَنَّ في طلب الآخرة، ولا تَرْفَعَنَّ للنمام عيناً، ولا تَغْمِضَنَّ عن ظالم رهبة منه أو محاباة، ولا تَطْلُبَنَّ ثواب الآخرة في الدنيا.

وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهلا لتجارب وذوي العقل والرأي والحكمة، ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك أهل الرِّفْهِ والبخل، ولا تَسْمَعَنَّ لهم قولاً؛ فإن ضررهم أكثر من نفعهم.

وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح.

واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية، وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك إلا قليلاً، فإن رعيتك إنما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم. ووال من صافاك من أوليائك بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم.

واجتنب الشح، واعلم أنه أول ما عصى الإنسان به ربه، وأن العاصي بمنزلة

الخرزي، وهو قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

فَسَهِّلْ طريق الجود بالحق، واجعل للمسلمين كلهم في فيئك حظاً ونصيباً. وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد، فأعدّه لنفسك خلقاً، وارضَ به عملاً ومذهباً.

وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبتهم، وأدرّ عليهم أرزاقهم، ووسع عليهم في معاشهم، يذهب الله (ﷻ) بذلك فاقتهم، فيقوى لك أمرهم، وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصًا وانشراحًا، وحسب ذي السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته ذا رحمة في عدله وعطيته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته، فزائل مكروه أحد البابين باستشعار فضل الباب الآخر، ولزوم العمل به؛ تلقَ - إن شاء الله تعالى - به نجاحًا وصلاحًا وفلاحًا.

واعلم أن القضاء من الله (تعالى) بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور؛ لأنه ميزان الله الذي تعدل عليه أحوال الناس في الأرض.

وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية، وتؤمن السبل، ويتنصف المظلوم، وتأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة، ويؤدى حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، ويجري السنن والشرائع في مجاريها.

واشتد في أمر الله (ﷻ)، وتورع عن النطف، وامض لإقامة الحدود، وأقل العجلة، وابتعد عن الضجر والقلق، واقنع بالقسم، وانتفع بتجربتك، وانتبه في صحتك، واسدّد في منطقتك، وأنصف الخصم، وقف عند الشبهة، وأبلغ في الحجة، ولا يأخذك في أحد من رعيته محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم، وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر، وتواضع لربك، وارفق بجميع الرعية، وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم، فإن الدماء من الله (ﷻ) بمكان عظيم، فلا تبغ انتهاكًا لها بغير حقه.

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية، وجعله الله للإسلام عزًا ورفعةً، ولأهله توسعةً ومنعةً، ولعدوه كبتًا وغيظًا، ولأهل الكفر من معاديبهم ذلاً وصغارًا، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم، ولا تدفعن شيئًا منه عن شريف

لشرفه، ولا عن غني لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا عن أحد من خاصتك ولا حاشيتك، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له.

ولا تكلف أمرًا فيه شطط، واحمل الناس كلهم على أمر الحق؛ فإن ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضاء العامة.

واعلم أنك جُعِلتَ بولايتك خازنًا وحافظًا وراعياً، وإنما سُمي أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقِيَمُهم.

فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ونفذه في قِوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم. واستعمل عليهم أولي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف.

ووسع عليهم في الرزق؛ فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأُسند إليك، فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف، فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب؛ استدعيت به زيادة النعمة من ربك، وحسن الأحداث في عملك، واستجرت به المحبة من رعيتك، وأعنت على الصلاح فَدَرَت الخيرات ببلدك، وفشت العمارة بناحيتك، وظهر الخصب في كورك، وكثر خراجك، وتوفرت أموالك، وقويت بذلك على ارتياض جنديك، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك، وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعُدَّة، فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئاً؛ تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالى.

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم، حتى كأنك مع كل عامل في عمله معيناً لأموره كلها.

وإذا أردت أن تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأَمْضِهِ، وإلا فتوقف عنه،

وراجع أهل البصر والعلم به، ثم خذ فيه عدته، فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقد أتاه على ما يهوى، فأغواه ذلك وأعجبه، فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه، ونقض عليه أمره.

فاستعمل الحزم في كل ما أردت وياشره بعد عون الله (ﷻ) بالقوة.

وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك.

وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك، فإن لغد أمورًا وحوادثًا تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت.

واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى تمرض منه، وإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك، وجمعت أمر سلطانك.

وانظر أحرار الناس وذوي الفضل منهم ممن بلوت صفاء طويتهم، وشهدت مودتهم لك، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك، فاستخلصهم وأحسن إليهم. وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دَخَلَتْ عليهم الحاجة واحتمل مؤنتهم، وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلَّتْهم منافراً، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك، والمُحْتَقِرِ الذي لا علم له بطلب حقه، فسَلْ عنه أحفى مسألة، وكلِّ بأمثاله أهل الصلاح في رعيتك، ومُرْهم برفع حوائجهم وخلالهم إليك لتتنظر فيما يصلح الله به أمرهم.

وتعاهد ذوي البأساء ويئسهم وأراملهم، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءً بأمر المؤمنين أعزه الله (تعالى) في العطف عليهم والصلة لهم، ليصلح الله بذلك عيشتهم، ويرزقك به بركة وزيادة.

وَأَجْرٍ لِلأَصْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَقَدَّمَ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ مِنْهُمْ وَالْحَافِظِينَ لِأَكْثَرِهِ فِي الْجَرَايَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ. وَانصَبَ لِمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ دَوْرًا تَأْوِيهِمْ وَقُوَامًا يَرْفُقُونَ بِهِمْ، وَأَطْبَاءَ يَعْالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ، وَأَسْعَفَهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى سَرْفٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْطُوا حَقُوقَهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيَّتِهِمْ لَمْ يَرْضَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطْبِ أَنْفُسُهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وِلَاتِهِمْ؛ طَمَعًا فِي نَيْلِ الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرَّفْقِ بِهِمْ. وَرَبْمَا تَبَرَّمَ الْمُتَصَفِّحُ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِتْرٍ، وَإِعْلَامِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ، فَإِنَّ أَوْلِيَّكَ أَنْصَحَ أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرِكَ.

وَانظُرْ عَمَالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَابِكَ، فَوَقِّتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عَمَالَكَ وَأُمُورِ الدَّوْلَةِ وَرِعِيَّتِكَ.

ثُمَّ فَرِّغْ لَمَّا يُورِدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ، وَكِرْرَ النَّظَرِ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ، فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمُضِهِ، وَاسْتَخِرِ اللَّهَ (ﷻ) فِيهِ، وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لِذَلِكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ، وَالتَّثْبُتِ مِنْهُ.

وَلَا تَمْنَنَّ عَلَى رِعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْتِيهِ إِلَيْهِمْ. وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ.

وَتَفْهَمْ كِتَابِي إِلَيْكَ، وَأَمَعَنَّ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ. وَاسْتَعَنَّ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَاسْتَخِرْهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ (ﷻ) مَعَ الصَّلَاحِ وَأَهْلِهِ. وَلَيْكِنَ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ (ﷻ) رِضًا، وَلِدِينِهِ نِظَامًا، وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا، وَلِلْمَلَةِ وَالذِّمَّةِ عَدْلًا وَصِلَاحًا.

وأنا أسأل الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك؛ حتى يجعلك أفضلَ مثالك نصيبًا، وأوفرهم حظًا، وأسناهم ذكرًا وأمرًا، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك وبعى عليك، ويرزقك من رعبتك العافية، ويحجز الشيطان عنك وساوسه، حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق؛ إنه قريب مجيب. والسلام.



وصايا الأمهات للأبناء

وصية أم لابنتها

• وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس : فقد ذكروا أن الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ لما بلغه جمال ابنة عوف بن مُحَلِّم الشيباني، وكمالها، وقوة عقلها، دعا امرأة من كِنْدَةَ يُقال لها: عصام، ذات عقل ولسان، وأدب وبيان، وقال لها: اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف.

فمضت حتى انتهت إلى أمها، وهي أمامة بنت الحارث، فأعلمتها بما قَدِمَتْ له. فأرسلت أمامة إلى ابنتها، وقالت: أي بنية! هذه خالتك، أنتك لتنظر إليك، فلا تستري عنها شيئاً إن أردت النظر من وجه أو خلق، وناطقها إن استنطقتك. فدخلت إليها، فنظرت إلى ما لم تر قط مثله! فخرجت من عندها وهي تقول: ترك الخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ، فأرسلتها مثلاً.

ثم انطلقت إلى الحارث، فلما رآها مقبلة قال لها: ما وراءك يا عصام؟ قالت: صرَّحَ المَحْضُ عن الزيد (١) رأيت جبهة كالمرآة المصقولة، يزينها شعر حالك كأذنان الخيل، إن أرسَلْتَهُ خِلْتَهُ (٢) السلاسل؛ وإن مشطته قلت: عناقيد جلاها الوابل، وحاجبين (٣) كأنما خُطَّأَ بقلم، أو سُودَا بِحُمَم (٤) تقوسا علي مثل عين

(١) تعنى بالزيد: رغوة اللبن، وبالصریح: اللبن الذي تحته المحض، وهذا مثل يُضرب للصدق يحصل بعد الخبر المظنون. "لسان العرب".

(٢) أي: ظننته وحسبته.

(٣) أي: ورأيت حاجبين.

(٤) الحُمَمُ: الفَحْمُ.

ظَبِيَّةٍ عِبْرَةَ (١). بينهما أنف كَحَدِّ السيف الصَّيِّعِ (٢)، حَفَّتْ بِهِ وَجَنَّتَانِ كالأرجوانِ (٣)، فِي بياضِ كالجَمَانِ (٤) شُقٌّ فِيهِ فَم كَالخاتمِ، لذيذَةُ المبتسمِ، فِيهِ ثنَايا عَر ذاتِ أَشَرِ (٥) تَقَلَّبَ فِيهِ لسانِ، نو فصاحةٍ وبيانِ، بعقلِ وافرِ، وجوابِ حاضرِ. تلتقي فِيهِ شفتانِ حَمَروانِ، تجلبانِ ريقًا كالشهدِ إذا ذلكِ فِي رقبَةِ بياضِ كالفضةِ، رُكبتِ فِي صدرِ كصدرِ تمثالِ دُمِيَّةِ.

وعَضُدانِ مُدَمَجانِ، يتصلُ بهما ذراعانِ، ليسَ فِيهما عظمِ يُمَسُّ، ولا عرقِ يُجَسُّ، رُكبتِ فِيهما كفانِ دقيقانِ قصبهما لينِ عصبهما، تعقدُ إن شئتَ منهما الأناملِ [... الخ.

فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجها إياه، وبعث بصداقها، فجهزت.

فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها، قالت لها أمها: أي بنية! إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت إلي رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخراً، فأما:

الأولى والثانية: فالرضا بالقناعة وحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك علي قبيح ولا

يشم أنفه منك إلا أطيب الريح .

(١) أي ممتلئة الجسم.

(٢) سيف صنيع: أي: مجلّو.

(٣) الأرجوان: شجر له نور أحمر أحسن ما يكون، وكل لون يشبهه فهو أرجوان.

(٤) الجمان: جمع الجمانة، وهي: حبة تُعمل من الفضة كالدرّة.

(٥) تأشير الأسنان: تحزيرها وتحديد أطرافها، يقال: أشرت المرأة أسنانها تأشيرها أشراً. والتأشير ضربان:

خلفة، وتصنعاً، والأخير منهي عنه شرعاً.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإحراز لماله والإرعاء علي حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعاشر: فلا تعصي له أمراً، ولا تفشي له سراً، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، .. وإياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً .

فحفظت وصية أمها، فأنجبت الحارث بن عمرو جد امرئ القيس .^(١)

وصية أم الإمام محمد بن المنكدر له

قال محمد بن المنكدر (رحمه الله): قالت لي أمي وأنا غلام: لا تمازح الغلمان؛ فتهون عليهم، أو يجترئوا عليك^(٢).

وصية أم الإمام مالك بن أنس له

عن ابن أبي أويس قال: سمعت خالي مالك بن أنس يقول: كانت أمي تلبسني الثياب، وتعممني وأنا صبي، وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وتقول: يا بني! أنت مجلس ربيعة؛ فتعلم من سمته وأدبه، قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه^(٣).

(١) من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف.

(٢) روضة العقلاء.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (ج ٢/٥) ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. ط ٢.

وصية أعرابية لابنها

يا بني! عليك بحفظ السر، وإيّاك والنميمة؛ فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها، ولا ضغينة إلا أوقدتها(١).

وصية امرأة عابدة لابنها

قال نوح: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البرائي فتجلس تسمع كلامه ولا تكاد تتكلم، ولا تسأل عن شيء، فقلت لها ذات يوم: لا أراك - يرحمك الله - تتكلمين، ولا تسألين عن شيء! فقالت: "... قليل الكلام خير من كثيره إلا ما كان من ذكر الله (ﷺ)، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة، أراك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين."

قال: ثم استبكت فقامت، وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول: ويحك يا بني! احذر بطالات الليل والنهار، فتنقضي الأعمار، وأنت غير ناظر لنفسك، ولا مستعد لسفرك. ويحك يا بني! ما من الجنة عوض، ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار. ويحك يا بني! مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجد قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهر، وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن، وتقبلها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقي كيف ينجو من مصائبها.

ثم قالت: بؤساً لك يا بني! إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه(١).

(١) روضة العقلاء لابن حبان.

وصية أمر أعرابية لابنها وقد أراد سفرًا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابية توصي ابنها وقد أراد سفرًا، فقالت له: يا بني! احفظ وصيتي، ومحض نصيحتي، وأنا أسأل الله توفيقه لك؛ فإن قليل توفيقه لك أجدى عليك من كثير نصحيا بني! أوصيك بتقوى الله.

وإياك والنمائم؛ فإنها تزرع الضغائن، وتنبت الشحائن، وتفرق بين المحبين. يا بني! إياك والبخل بمالك، والجود بعرضك، والبذل لدينك. بل كن بمالك جوادًا، ولعرضك صائناً، ولدينك موقياً.

يا بني! إذا هُزرت فاهتز، وإذا هُزرت فاهزز كريماً؛ فإنك تجد طيب مهزته، ولا تهزز لئيمًا؛ فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها.

يا بني! مثلٌ لنفسك ماتستحسنه من غيرك مثلاً، ثم اتخذه إمامًا. وانظر إلى ما كرهته لغيرك فاجتنبه ودعه.

واعلم يا بني! أن من جمع بين الحياء والسخاء؛ فقد استجاد الحلة إزارها ورداءها.

ثم أنشأت تقول:

صاف الكرام وكن لعرضك صائناً
واعلم بأن أبا الحفاظ أخوك
الناس ما استغيت عنهم أنت أخوهم
فإذا افتقرت إليهم رفضوك (٢)

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) صفة الصفوة "لابن الجوزي بتصرف.

وصية أم لابنها

كان الأوقص المخزومي قاضياً بمكة فما رآه في مثله في عفاه ورُهدِه فقال يوماً لجلسائه: قالت لي أمي: يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجامع الفتيان عند القيان» إنك لا تكون مع أحدٍ إلا تخطتُك إليه العيون « فعليك بالدين فإن الله يرفع به الخسيسة ويُتمُّ به النقيصة.. فنفعني الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليتُ القضاء. يا لها من امرأة عاقلة.. فهذا عطاء بن أبي رباح كان أفطس أشلّ أعرج ثم عمي وأمه سوداء تسمى بركة. . ما رفعه إلا العلم، فقد قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم قالوا: كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تُفقد (١).

وصية أم لابنها

يا بني ! إن سؤالك الناس ما في أيديهم من أشد الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه ، هنت عليه ، ولا تزال تُحفظ وتُكرم ، حتى تسأل وترغب . فإذا ألحت عليك حاجة ولزمتك سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلي من إليه حاجة السائل والمسئول (الله جل جلاله) فإنه يُعطي السائل (٢).

وصية أم لابنها عند سفره

أي بني ! اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدي عليك (٣) من كثير عقلك. أي بني! إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ، وكتاب المستطرف في كل فن مستظرف .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٨٥/٢ .

(٣) أنفع لك.

أي بني ! إياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً (١) وخليقاً (٢) ألا يثبت الغرض علي كثرة السهام ، وقلما اعتورت (٣) السهام غرضاً (٤) إلا كَلَمْتَه (٥) حتي يهي (٦) ما اشتد من قوته .

أي بني ! إياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هزرت (٧) فاهزر كريماً يلين لك ، ولا تهزر اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها .
ومثل لنفسك مثال (٨) ما ستحسننت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يري عيب نفسه (٩) .

وصية أعرابية لابنها

عن العتبي قال: سمعت أعرابية توصي ابناً لها، فقالت: عليك بحفظ السر، وإياك والنميمة؛ فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها، ولا ضغينة إلا أوقدتها (١٠) .

-
- (١) هدفا للنيل منك .
 - (٢) جدير .
 - (٣) قصدت .
 - (٤) هدفا .
 - (٥) جرحته .
 - (٦) يضعف .
 - (٧) قصدت .
 - (٨) اجعل لنفسك ميزان .
 - (٩) كتاب الأمالي لأبي علي القالي ٨١/٢ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي .
 - (١٠) روضة العقلاء لابن حبان .

وصية عابدة لابنها

قال نوح: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البرائي فتجلس تسمع كلامه ولا تكاد تتكلم، ولا تسأل عن شيء، فقلت لها ذات يوم: لا أراك - يرحمك الله - تتكلمين، ولا تسألين عن شيء! فقالت " ... :قليل الكلام خير من كثيره إلا ما كان من ذكر الله (عز وجل)، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة، أراك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين".

قال: ثم استبكت فقامت.

وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول: ويحك يا بني! احذر بطالات الليل والنهار، فتتقضي الأعمار، وأنت غير ناظر لنفسك، ولا مستعد لسفرك. ويحك يا بني! ما من الجنة عوض، ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار.

ويحك يا بني! مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجد قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهر، وكيد الملحون عند هجوم الدنيا بالفتن، وتقبلها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقي كيف ينجو من مصائبها.

ثم قالت: بؤساً لك يا بني! إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه(١).



رياضة الصبيان

قال الإمام الغزالي (رحمه الله):

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها .. والصبى أمانة عند والديه.. فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه .. وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك.. وإذا أخطأ فإنه يعاتب سراً، ويقال له: إياك وأن تعود بعد ذلك لمثل هذا.. ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقوع الكلام من قلبه.. وليكن الأب حافظاً هيبه الكلام معه، فلا يوبخه إلا أحياناً.

وينبغي أن يعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب.

وينبغي أن يُعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه، وكل من هو أكبر منه سنناً من قريب وأجنبي. (١).



مرحلة ما قبل التكليف

• س : هل يؤمر الطفل بعمل الفرائض والطاعات قبل سن البلوغ ؟

ج : استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ

وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ

عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾^(١) على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب

القبائح - وإن لم يكن من أهل التكليف - على وجه التعليم ، فإن الله أمرهم

بالستئذان في هذه الأوقات ، وقال ﷺ : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع " ، وعن ابن عمر رضی الله عنها أنه قال: نُعلم الصبي إذا عرف يمينه من

شماله، وعن ابن مسعود رضی الله عنه قال: إذا بلغ الصبي عشر سنين كتب له

الحسنات ولا تكتب عليه السيئات حتى يحتلم.

(١) سورة النور - الآية ٥٤ .

وقال أبو بكر الرازي :

إنما يؤمر بذلك على وجه التعليم والتأديب، ليعتاده ويتمرن عليه، فيكون أسهل عليه بعد البلوغ، وأقل نفورا منه.

وكذلك يجتنب شرب الخمر، ولحم الخنزير، وينهى عن سائر المحظورات، لأنه

لو لم يمنع في الصغر لصعب عليه الامتناع في الكبر، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ غِلَاطٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يُؤْمَرُونَ ﴾ (١): قيل في التنفيذ أي أدبهم وعلموهم (٢)

• س : وهل يثاب علي فعل الطاعات قبل سن البلوغ ؟

ج: اقتضت عدالة الله تعالى أن لا يحاسب الأطفال على ما يأتون قبل سن البلوغ،

لكنه بفضلته تعالى لا يحرمهم ثواب ما يأتون من الأعمال الصالحة في هذه المرحلة،

فلهم بها أجر، ولمن يرشدهم إليها أجر بفضلته تعالى، ولا ينقص أجر هذا من أجر

ذاك، فقد أخرج مسلم في "الصحيح" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رفعت

امرأة صبياً فقالت يا رسول الله هذا حج قال: " نعم ولك أجر " .

وقال صاحب مواهب الجليل: (في شرح مختصر الشيخ خليل) في مسألة

(١) سورة التحريم _ الآية ٦ .

(٢) روائع البيان للصابوني ٢/٢١٥ .

الصبي يؤمر بالصلاة إذا بلغ سبع سنين: قَالَ الْقُرَافِيُّ: فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيْتِ فِي الْمَوَاقِيْتِ: الصَّبِيُّ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرُ الْمُنْدُوبَاتِ إِذَا فَعَلَهَا لِحَدِيثِ الْخَنَعِمِيَّةِ .
وَقَالَ ابْنُ رُشْدٍ: إِنَّ الصَّغِيرَ لَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتُ وَتُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ .

وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ فِي شَرْحِ أَوَّلِ حَدِيثٍ مِنْهُ وَهُوَ حَدِيثُ الْخَنَعِمِيَّةِ .

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيِّ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يُكْتَبُ لِلصَّغِيرِ حَسَنَاتُهُ، وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ .

وقال صاحب مواهب الجليل تحت مسألة الإحرام بالحج والعمرة من الصبي :
وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الصَّبِيَّ يُثَابُ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ وَيُعْفَى عَمَّا يَجْتَرِحُهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَإِنَّ عَمْدَهُ كَالْخَطِّاءِ، وَقَالَ فِي مُخْتَصَرِ الْوَاضِحَةِ: وَلَا تَجِبُ فَرِيضَةُ الْحَجِّ عَلَى الصَّغِيرِ وَالصَّغِيرَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الصَّغِيرُ الْحُلْمَ وَالصَّغِيرَةُ الْحَيْضَ وَلَكِنْ لَا بَأْسَ أَنْ يَحُجَّ بِهِمَا وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ عَمَلٌ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى
كلام ابن عبد البر ..

ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ : كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحُجُّوا بِأَبْنَائِهِمْ وَيَعْرِضُونَهُمْ لِلَّهِ .

وجاء عن ابن عبد البر في التمهيد الأمر بالحج بالصبيان والأمر باستحسانه واستحبابه وأن جمهور العلماء على ذلك .

وقال ابن عبد البر في التمهيد أيضا : غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يُكْتَبَ لِلصَّبِيِّ دَرَجَةٌ وَحَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ بِصَلَاتِهِ وَرَكَاتِهِ وَحَجِّهِ وَسَائِرِ أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّتِي يَعْمَلُهَا وَيُؤَدِّيهَا عَلَى سُنَّتِهَا تَفْضُلًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَفْضَلُ عَلَى الْمَيِّتِ بِأَنْ يُوجَرَ بِصَدَقَةِ الْحَيِّ عَنْهُ، أَلَا

تَرَى أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَمْرِ الصَّبِيِّ بِالصَّلَاةِ إِذَا عَقَلَهَا . وَصَلَّىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْسٍ وَالْيَتِيمِ ، وَأَكْثَرَ السَّلْفِ عَلَىٰ إِجَابِ الزَّكَاةِ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ لَا يُؤَجَّرَ عَلَىٰ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ وَصَايَاهُمْ وَالَّذِي يَقُومُ بِذَلِكَ عَنْهُمْ أَجْرٌ كَمَا لِلَّذِي يَقُومُ بِإِحْجَاجِهِمْ أَجْرٌ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : يُكْتَبُ لِلصَّغِيرِ حَسَنَاتُهُ وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ وَلَا عَلِمَتْ لَهُ مُخَالَفًا مِمَّنْ يَجِبُ اتِّبَاعُ قَوْلِهِ أَنْتَهَىٰ .

وَقَالَ فِي أَوَائِلِ الْمُقَدِّمَاتِ : وَالصَّوَابُ عِنْدِي أَنَّهُمَا جَمِيعًا مُنْدُوبَانِ إِلَىٰ ذَلِكَ مَا جُورَانِ عَلَيْهِ (أَي الصَّبِيِّ وَوَلِيِّهِ) . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَرْأَةِ : **وَلَكِ أَجْرٌ .. وَاللَّهُ أَعْلَمُ** . وَقَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ : وَعِنْدَ الْأَرْبَعَةِ أَنَّ الصَّبِيَّ يُثَابُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَتُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتُهُ كَانَ مُمَيِّزًا أَوْ غَيْرَ مُمَيِّزٍ وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنُقِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَدُلُّ لَهُ مَا قَدَّمْنَاهُ فِي بَابِ الْفَضَائِلِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : **جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ الْحُجُّ وَالْعُمْرَةُ** ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ الَّتِي رَفَعَتْ صَبِيًّا .



القدوة المفقودة

يحكي: أن أحد الصبيان كان يتعلم القرآن في الكتاب، فلما وصل إلي سورة المزمّل وقرأها، رجع إلي بيته حزينا مهموما، فسأله أباه عن الذي أهمه؟ فقال: يا أبي قرأت سورة المزمّل، والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَصَفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (١) وأنا لم أراك تقوم الليل، فقال: يا بني هذا رسول الله! ومن يعمل مثل رسول الله ﷺ؟.

فسكت الولد، ولكن في اليوم الثاني، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَصَفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنْ خُصُّوه فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ جَدُّوه عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ فرجع إلي أبيه وقرأ علي أباه الآية، فقال: يا

بني! هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) ومن يستطيع أن يفعل مثلهم؟.

فقال الصبي: يا أبي! لا خير في من لا يقتدي بالنبي، وأصحابه.



التعليم في الصغر

قالوا: الأدب من الآباء، والصلاح من الله عز وجل .

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله) موجهاً للآباء: إذا قصرتم في تربية الأبناء وإرشادهم فلا تحملوا تقصيركم عليهم، فإنهم لا يحتاجون بذل المستحيل، بل يكفي لهم إلقاء الشيء في الأذنين، وأن يروا بأعينهم الأعمال الصالحة والمناخ العملي، وأن يحسوا بالأمر إحساساً، حيثُ تقدم لهم الأمور ببساطة شديدة وأساليب حكيمة، فتؤثر عليهم وترسخ صورها في قلوبهم، فإذا لم تكن تلك الأمور مؤثرة فما معنى الآذان في أذني المولود(١).

يحكي: أنه كان هناك طفل صغير في التاسعة من عمره، أراه والده زجاجة عصير صغيرة وبداخلها ثمرة برتقال كبيرة، تعجب الطفل كيف دخلت هذه البرتقالة داخل هذه الزجاجة الصغير، وهو يحاول إخراجها من الزجاجة لكن من دون فائدة!.

عندها سأل والده كيف دخلت هذه البرتقالة الكبيرة في تلك الزجاجة ذات الفوهة الضيقة.

أخذه والده إلى حديقة المنزل وجاء بزجاجة فارغة وربطها بغصن شجرة برتقال حديثة الثمار ثم أدخل في الزجاجة إحدى الثمار الصغيرة جداً وتركها، ومرت الأيام فإذا بالبرتقالة تكبر وتكبر حتى استعصى خروجها من الزجاجة!

(١) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ص ١٧٥ (أهمية العلم والذكر في الإسلام ص ٩٩).

حينها عرف الطفل السر، وزال عنه التعجب، ولكن الوالد وجد بالأمر فرصة لتعليم ابنه، فقال: هذا هو الدين لو زرعنا الإيمان والمبادئ والأساس بالطفل وهو صغير سيصعب إخراجها منه وهو كبير، تمامًا مثل البرتقالة التي يستحيل أن تخرج إلا بكسر الزجاج! أن تخرج إلا بكسر الزجاج!

ولذا قالوا: التعليم في الصغر كالنقش علي الحجر.. والتعليم في الكبر

كالنقش علي الماء.

أخي الحبيب:

هل نويت أن تعلم أولادك الإيمان في الصغر؟.

هل نويت أن تربي أولادك وبناتك علي الفضيلة؟.

هل نويت تربيهم علي حب الله ورسوله؟.

هل نويت تربي فيهم حب الدعوة إلي الله؟.

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.



تعريض

الأولاد لرحمة الله وَعَجَلٌ

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صدر رسول الله ﷺ فلما كان بالروحاء (قرب المدينة) لقي قوماً فقال: "ومن أنتم"؟ قالوا: المسلمون. قالوا: من أنت؟ قال: "رسول الله" فأخرجت امرأة صبياً من المحفة (الهودج) فقالت: ألهذا حج؟ قال: "نعم ولك أجر" رواه مسلم .

وكان أحد السلف الصالح يحج بأولاه كلهم فإذا سُئِلَ عن ذلك قال: أعرضهم لرحمة الله تعالى .



الصبر

على تربية الأولاد

لابد للمربي أن يصبر علي من يربهم وبخاصة فلذة الأكباد (الأولاد) فأحيانا يجد الإنسان ولده شرس يضرب أمثاله من الصبيان ، يلعب ويلهو فلا يثير ذلك عنده القلق ، فالرسول ﷺ يطمنا حيث يقول : " عرامة الصبي في صغره ، زيادة في عقله في كبره " (١)

قال المناوي : عرامة الصبي في صغره: أي حدته وشراسته إذ العرام كغراب الحدة والشرس . زيادة في عقله في كبره : قال الحكيم: العرم المنكر ، وإنما صار منه منكراً لصغره فذاك من ذكاء فؤاده ، وحرارة رأسه (٢)

ونصبر عليهم ولا ندعو عليهم فقد جاء رجل إلي عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده، فقال عبد الله : هل دعوت عليه ؟ قال الرجل : نعم ، قال عبد الله : أنت أفسدته .

فصلاح الأبناء بيد الله عز وجل ، فلا ندعو عليهم بل ندعو لهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم " رواه الترمذي

(١) رواه الحكيم عن عمرو بن معدي كرب (جمع الجوامع للسيوطي برقم ١٥٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق في التعليق علي الحديث ، لنخبة من علماء الأزهر.

، وأبو داود وابن ماجة . (١).

فكثير من الآباء يهياً لأولاده، كثير من سبل الهداية، كالذهاب بهم إلي الكتاتيب ليعلمه القرآن، ثم يدخله المدارس الدينية، ويصحبه إلي مجالس العلم، وينصحه كثيراً، إلا أنه يجده في اتجاه آخر، ونسي أن يتوجه إلي الله بالدعاء له لأن القلوب بيد الله عز وجل، وهذا إمام الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث دعا ربّه، لنفسه ولبنيه، بقوله: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** ﴾ (٢). فلا نهمل

أي سبيل من سبل الهداية .



(١) مشكاة المصابيح . كتاب الدعوات . ٢ / ٦٩٥ .

(٢) سورة إبراهيم _ الآية ٣٥ .

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

قال تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنُنٌ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (١)

قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ : وهى ترقيق الكلام عند مخاطبة الرجال .

وقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ : أي لا تخاطبن الرجال الأجانب بكلام فيه

ترخيم .

وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ : الزمن بيوتكن، ولا تخرجن لغير الحاجة، ولا

تفعلن كما تفعل الغافلات المتسكعات في الطرقات لغير ضرورة .

وقوله: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٢) : لا تُظهرن زينتكن

ومحاسنكن للأجانب مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن .

قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشى بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية .

وقال قتادة : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج ، فنهى الله تعالى عن ذلك .

وقال مقاتل: التبرج أنها تُلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها

وعنقها فيبدو ذلك كله منها ذلك التبرج .

وهذه الآية وإن كانت واردة في حق نساء النبي ﷺ، فإن ورودها في توجيه

الخطاب لا في تخصيص الحكم لهن .

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٣٣ .

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره عن ابن المنذر، ومحمد بن سيرين قال: نبئت أنه قيل لسودة: لم لا تحجين ولا تعتمرين كما فعل أخواتك؟ فقالت: قد حجبت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي، فو الله! لن أخرج حتى أموت.

قال الراوي: فو الله! ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها. (١)
وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار عليُّ إلي البصرة دخل علي أم سلمة زوج النبي ﷺ يودعها، فقالت: سر في حفظ الله وكنفه فو الله! إنك لعلي الحق، والحق معك، ولولا أنني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنه أمرنا ﷺ أن نقر في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر. رواه الحاكم (٢).

إذن القرار هو الراحة والطمأنينة وليس هو السجن كما يزعم أعداء الإسلام.. والبيوت مضافة لكم أيها النساء (في بيوتكن) فأنتم أولي بها من الرجال وإن كانت ملكا لرجالكم.. والله، والله أيماننا مكررة لا تنهض البيوت إلا بهذه القيم العظيمة التي تحمي المرأة من التبذل والامتهان أمام الرجال.. وتحمي الرجال من الإثارة.
والقرار في البيت أمر محبوب عند كثير من العقلاء، وصرحوا بذلك في شعرهم مثل كثير عزة قال:

أحب من النسوان كل قصيرة لها نسب في الصالحين

وقال :

(١) تفسير القرطبي .

(٢) في مستدرکه - وقال صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص ١١٩/٣ .

(٣) وقصر نسبها: أن تعرف بأول آبائها.

وأنت التي حبت كل قصيرة (١) وإي وما يدري بذلك القصائر
عنت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شر النساء (٢)

وأمر الله ﷻ المرأة بهذه القيم لتظل المرأة كالجوهرة (مثل اللؤلؤ المكنون) في واحة
البيت لتتعم بالسعادة والراحة والعفة والكرامة والهدوء لتربي أولادها علي الدين حتى تربي
الأبطال مثل (أبو بكر الصديق .. عمر بن الخطاب .. علي .. ضرار بن الأزور .

فالأم مدرسة كما قال شوقي :

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق



(١) والقصيرة: هي المقصورة المحجوبة المخدرة.

(٢) تنقيف اللسان وتنقيح الجنان للصقلي ص ٣٥٨..

الخلوة

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : " إياكم والدخول على النساء " فقال رجل: يا رسول الله ! أرأيت الحموا (١) ؟ قال " الحموا الموت " (٢)
متفق عليه (٣)

وعن عمر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثها الشيطان " رواه الترمذي . (٤)

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " لا تلجوا على المغيبات ، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم " قلنا: ومنك يا رسول الله ؟ قال : " ومنى ، ولكن الله أعاني عليه ، فأسلم " . رواه الترمذي (٥).

(١) حمو المرأة لا يعرفونه إلا والد زوجها خاصة وليس كذلك ، بل هو ، أخو زوجها وابن أخيه وابن عمه ، وسائر أهله كل واحد منهم حموها ، قالت عائشة (رضي الله عنها) يوم منصرفها من البصرة : إنه والله ما كان بيني وبين عليٍّ إلا ما كان بين المرأة وإحمائها وإنه عندي علي معتبتي لمن الأخيار.. وقال أهل اللغة : كل ما كان من قبل الزوج فهم الأحماء .. وكل ما كان من قبل المرأة فهم الأختان .. والصهر يجمع ذلك كله (تثقيف اللسان وتنقيح الجنان للصقلي)

(٢) الحموا الموت : أي دخوله كالموت مهالك ، لأن الفتنة من أكثر لتساهل هل الناس فيه .

(٣) مشكاة المصابيح - كتاب النكاح باب النظر إلى المخطوبة وبيان العورات ٢ / ٩٣٢ .

(٤) المرجع السابق ٢ / ٩٣٥ .

(٥) المرجع السابق .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب
إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم " رواه مسلم .



مصافحة

الرجل للمرأة الأجنبية

أحاديث بيعة النبي ﷺ النساء تدل على حرمة مصافحة الرجل للمرأة :

عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِ اللَّهِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ إِلَى قَوْلِهِ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَايَعْتُكَ كَلَامًا وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ قَدْ بَايَعْتُكَ عَلَى ذَلِكَ. رواه البخاري (١).

وعن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَتْ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَحِنَنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِخْنَةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقَرَّرَنَ بِذَلِكَ

(١) صحيح البخاري _ كتاب تفسير القرآن _ سورة الممتحنة _ رقم ٤٦٠٩ .

مَنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ قَالَتْ عَائِشَةُ وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَّ امْرَأَةً قَطُّ وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا. رواه مسلم (١).

وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ بَيْعَةِ النِّسَاءِ قَالَتْ مَا مَسَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهَا فَأَعْطَتْهُ قَالَ: " اذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكِ " رواه مسلم (٢)

وعن أميمة بنت رقيقة قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبایعنه ، فقلنا : نبایعك يا رسول الله ! علي أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف ، فقال رسول الله ﷺ : " فيما استطعتن وأطقتن ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هلم نبایعك يا رسول الله ! فقال: " إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة، كقولي لامرأة واحدة " أخرجه مالك وصححه ابن حبان .. وأخرجه الترمذي وغيره مختصراً. (٣).

وفي رواية أخرى :

(١) صحيح مسلم _ كتاب الإمارة _ باب كيفية بيعة النساء . رقم ١٨٦٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) حياة الصحابة - كيف كانت الصحابة يبایعون النبي ﷺ - بيعة النساء ١/٢٣٤ .

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال : جاءت أميمة بنت رقيقة (رضي الله عنها) إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام ، فقال: أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقي ، ولا تزني ، ولا تقتلي ولدك ، ولا تأتي بهتان تفتريه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحين ، ولا تبرجي تبرج الجاهلين الأولى . أخرجه الطبراني - والنسائي وابن ماجة - والأمام أحمد - وصححه الترمذي . (١)

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال ﷺ: " لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له " رواه الطبراني والبيهقي .

يقول الكافظ ابن حجر (رحمه الله) :

قوله: " قد بايعتك كلاماً " أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد، كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة. (٢).

ويقول الإمام النووي :

فيه أن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كف ، وفيه أن بيعة الرجال بأخذ الكف مع الكلام ، ومنه أن كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة وأن صوتها ليس

(١) المرجع السابق .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر .

بعورة، وأنه لا يمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة كتطيب وفصد وحجامة وقلع
ضرس ونحوه مما لا توجد امرأة تفعله، جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة . (١)
ويقول الصابوني :

ورسول الله ﷺ عندما يمتنع عن مصافحة النساء مع أنه المعصوم فإنما هو
تعليم للأمة، وإرشادها إلى طريق الاستقامة، وهو الطاهر، الفاضل الشريف، الذي لا
يشك إنسان في نزاهته وطهارته، وسلامة قلبه ، لا يصافح النساء ويكتفي بالكلام في
مبايعتهن ، مع أن أمر البيعة أمر عظيم الشأن .. فكيف يباح لغيره مصافحة
النساء.. مع أن الشهوة فيهم غالبية ؟ والفتنة غير مأمونة، والشيطان يجري فيهم
مجري الدم. (٢).



(١) انظر صحيح البخاري مسلم شرح النووي

(٢) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام للصابوني ٥٦٦/٢ .

آداب الطريق للمرأة

• إذا خرجت المرأة من بيتها للضرورة :

فعليتها أن تلتزم بالآداب الآتية :-

(١) لا تضح الطيب على ثيابها أو جسدها :

فعن أبى موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " كل عين زانية ، وإن

المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس ، فهي كذا وكذا " يعنى زانية .

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ولأبى داود والنسائي نحوه . (١)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : إني سمعت حبي أبا القاسم رضي الله عنه يقول : " لا تقبل

صلاة امرأة تطيب للمسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة " رواه

أبو داود . أحمد والنسائي نحوه . (٢)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا شهدت إحداكن

المسجد فلا تمس طيبا " رواه مسلم (٣)

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الصلاة - باب الجماعة وفضلها ١ / ٣٣٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أيما امرأة أصابت بخوراً ؛ فلا تشهد معنا العشاء الآخرة " . رواه مسلم ^(١)

وعن موسى بن يسار قال : مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها : أين تريدن يا أمة الجبار ؟ قالت : إلى المسجد ، قال : وتطيبين ؟ قالت : نعم ، قال : فارجعي فاغتسلي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا يقبل الله من امرأة صلاة ، خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع وتغتسل " رواه ابن خزيمة .

٢) المشي على حافتي الطريق :

على المرأة أن تمشي على حافة الطريق وتدع وسطه للرجال ، فقد جاء في الحديث عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد ، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ، فقال للنساء : " استأخرن فإنه ليس لكن أن تتحققن ^(١) الطريق ، عليكن بحافات الطريق " ، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار . رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان ^(٢) .

(١) المرجع السابق .

(٢) تذهبن في حاق الطريق أي وسطه .

(٣) مشكاة المصابيح - كتاب الآداب - باب الجلوس والنوم والمشي ٣ / ١٣٣٧ ، وفي رواية فقال للنساء : " استخرن ليس لكن أن تحتضن الطريق " .

حتى في الطواف حول الكعبة واستلام الحجر، يجب على المرأة ألا تختلط بالرجال وتزاحمهم فقد روى الإمام البخاري عن عطاء قال: كانت عائشة (رضي الله عنها) تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم. فقالت امرأة: انطلقني نستلم يا أم المؤمنين، قالت: انطلقني عنك وأبت.

وأخرج البيهقي عن منبوذ بن أبي سليمان، عن أمه أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ أم المؤمنين (رضي الله عنها) فدخلت عليها مولاة لها فقالت لها: يا أم المؤمنين طفت بالبيت سبعا، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثة، فقالت لها عائشة (رضي الله عنها) . لا آجرك الله، لا آجرك، تدافعين الرجال، ألا كبرت ومررت ؟

٣) غض البصر :

أي خفضه ونكسه.. وأصل الغض إطباق الجفن علي الجفن بحيث تمنع الرؤية.. وكف البصر عما لا يحل بخفضه إلي الأرض، أو بصرفه إلي جهة أخرى، وعدم النظر بملء العين.

الآيات التي تحث علي غض البصر :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١﴾

أسباب نزول الآية: عن مقاتل بن حيان، أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها في بني حارثة ، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتررات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل، ويبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا ؟ فأنزل الله في ذلك ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ (٢)

يقول ابن كثير رحمة الله في قوله ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾: أي عما حرم الله عليهن من النظر إلي غير أزواجهن.. ولهذا ذهب كثير من العلماء إلي أنه لا يجوز للمرأة النظر إلي الرجال الأجانب بشهوة وبغير شهوة أصلا، لما روي عن أم سلمة عندما دخل عليهم ابن أم مكتوم.. وذهب آخرون من العلماء إلي جواز نظرهن إلي الأجانب بدون شهوة ، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ينظر إلي الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في

(١) سورة النور - الآيتان ٣٠ - ٣١.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٥٩٩/٢، الدر المنثور ١٠٤/٥ - تفسير آيات الأحكام الصابوني ١٤٨/٢

المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت . (١)

الأحاديث في الحث علي غض البصر :

عن يريدة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ لعلي : " يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولي ، وليست لك الآخرة " رواه أحمد و الترمذي و أبو داود و الدارمي . (٢)

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة ' فقال : " اصرف بصرك " رواه مسلم . (٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " كتب علي ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، والعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناهما البطش ، والرجل زناها الخطأ ، والقلب يهوي ويتمني ويصدق الفرج ذلك أو يكذبه " متفق عليه (٤)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبي ﷺ : " احتجبا منه

(١) المرجع السابق.

(٢) مشكاة المصابيح . كتاب النكاح . باب النظر إلي المخطوبة وبيان العورات ٢ / ٩٣٣

(٣) رياض الصالحين . باب تحريم النظر إلي المرأة الأجنبية ص ٥٦٢ .

(٤) المرجع السابق.

" فقلنا : يا رسول الله ! أليس هو أعمى إلا يبصرنا ' ولا يعرفنا ؟ فقال النبي ﷺ :
أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه !؟ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح . (١)

الأحاديث في ثواب غض البصر :

عن أبي أمامه ؓ عن النبي ﷺ قال : " ما من مسلم ينظر إلي محاسن
امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها "
رواه أحمد (٢)

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن النظرة سهم
من سهام إبليس مسموم من تركه مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في
قلبه " رواه الطبراني .

يقول ابن القيم رحمه: في غض البصر فوائد عديدة:

- (١) امتثال أمر الله الذي هو غاية السعادة .
- (٢) يمنع أثر السهم المسموم .
- (٣) يقوي القلب ويفرحه .
- (٤) يورث في القلب أنسا بالله واجتماعا عليه .
- (٥) يكسب القلب نورا .
- (٦) يقوي القلب ويفرحه .

(١) مشكاة المصابيح . كتاب النكاح . باب النظر إلي المخطوبة وبيان العورات ٢ / ٩٣٤ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٩٣٦ .

(٧) أنه يكسب القلب نوراً، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم.. ثم قال إثر ذلك الله نور السماوات والأرض .

(٨) يورث الفراسة الصادقة (أي يقوي نور البصيرة) .

(٩) أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة وقوة.

(١٠) أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والإشتغال بها .

(١١) يسد علي الشيطان مداخله .. أن بين العين والقلب منفذاً يوجب انفصال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده فإذا فسد القلب فسد النظر وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح.

وقد أحسن من قال:

ومعظم النار من مستصغر	كل الحوادث مبدأها النظر
في أعين الغير موقوف علي	والمرء مادام ذا عين يقلبها
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر	يسر مقلته ما ضر مهجته
فتك السهام بلا قوس ولا وتر	كم نظرة فتكت في قلب صاحبها



أدلة

حجاب المرأة المسلمة

• الآيات الواردة في احجاب :

الآية الأولى :

قال تعالى: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (١) وقد سبق الكلام عنها .

الآية الثانية :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ

(١) سورة الأحزاب - الآيتان ٣٢، ٣٣.

مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿١﴾

وهي إحدى الموافقات الثلاث التي نزل القرآن الكريم فيها موافقا لرأى عمر
رضي الله عنه ، فعن عائشة رضي الله عنها أن أزواج رسول الله ﷺ كن يخرجن
بالليل إذا تبرزن إلى المناصب وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه، يقول لرسول الله ﷺ احجب نساءك؛ فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت
سوده بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها
عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصا على أن ينزل الحجاب، قالت عائشة: فأنزل
الله عز وجل الحجاب. رواه مسلم. (٢).

- أسباب نزولها :

عن أنس وابن عمر رضي الله عنهما، أن عمر ؓ قال: وافقت ربي في ثلاث،
قلت: يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلي، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ
مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ (٣) " وقلت: يا رسول الله ! يدخل علي نساءك البر
والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في

١) سورة الأحزاب - الآية ٥٣.

٢) صحيح مسلم - شرح النووي ١٤/١٥٢.

٣) سورة البقرة - الآية ١٢٥ .

الغيرة ' فقلت ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ ﴾ (١)
فنزلت كذلك .

وفي رواية لا بن عمر رضي الله عنه : وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب وفي أساري بدر" متفق عليه . (٢)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا فجئت، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه " . رواه البخاري وأخرجه مسلم والنسائي بتمامه.

متى نزلت؟

كان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش (رضي الله عنها)، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما .

- يقول الصابوني :

في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ فيه إشارة دقيقة

إلى ما بين العين والقلب من صلة وثيقة، فالعين طريق الهوى، والنظرة بريد الشهوة، فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب، وكما قال أحد الأدباء:

وما الحب إلا نظرة إثر نظرة تزيد نموا إن تزده لجاجا

(١) سورة التحريم - الآية ٥ .

(٢) مشكاة المصابيح كتاب المناقب . مناقب عمر ٣ / ١٧٠٦ .

فالقلب عند عدم الرؤية أظهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر. (١)

الآية الثالثة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢)

- يقول ابن كثير رحمه الله :

يقول الله تعالى أمراً رسول الله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن . بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليطمئن علي سمات نساء الجاهلية، والجلباب هو الرداء فوق الخمار. (٣).

واتفقت عبارات المفسرين علي أن المراد بالجلباب هو الرداء الذي تستر به المرأة جميع بدنها فوق الثياب وهو ما يسمي في زماننا بالملاءة أي الملحفة ، وليس المراد ستر العورة كما ظن بعض الناس . (٤)

وقيل بدأ الله بنساء النبي ﷺ وبناته في الأمر بالحداب الشرعي وذلك للإشارة إلي أنهن قدوة لبقية النساء، فعليهن التمسك بالآداب الشرعية ليقتدي بهن سائر النساء.. فالدعوة لا تثمر إلا إذا بدأ الداعي بها في نفسه وأهله، ومن أحق من بيت

(١) روائع البيان للصابوني ٣٤٧/٢ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٥٩ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ١١٤ .

(٤) تفسير آيات الأحكام للصابوني ٢ / ٣٧٨ .

النبوة بالتمسك بالآداب والفضائل ؟ وهذا هو السر في تقدمهن في الخطاب في قوله

تعالى ﴿ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ ﴾ (١)

• سرعة استجابة نساء النبي ونساء المؤمنين في أمثال الأمر :

فمن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت : لما نزلت هذه الآية " ﴿ يُدْنِينَ

عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ (٢) خرج نساء الأنصار فكأن علي رؤوسهن الغربان من

السكينة وعليهن أكسية سود يلبسناها. أخرجه بن أبي حاتم.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما

أنزل الله: ﴿ وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٣) شققن مروطن فاختمرن بها.

رواه البخاري.

وفي رواية أبي داود: قالت: إن لنساء قريش لفضلا، وإني والله ما رأيت أفضل

من نساء الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور

﴿ وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل

الله إليهم فيها، ويتلو الرجل علي امرأته وابنته وأخته، وعلي كل ذي قرابة. فما منهن

امرأة إلا قامت إلي مرطها المرحل فاعتجرت به (الثوب تشده علي رأسها) تصديقا

وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن علي

رؤوسهن الغربان.

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٥٩.

(٣) سورة النور - الآية ٣١.

ورواه ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة قالت بينا نحن عند عائشة قالت فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها أن لنساء قريش لفضلا واني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرchl فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبح وراء رسول الله ﷺ معجرات كأن على رؤوسهن الغربان (١).

قال في النهاية ٤ / ٣١٩ المروط: الأكسية، الواحد مرط، ويكون من صوف وربما كان من خز أو غيره .

وقال ابن حجر في الفتح (٣١٩ / ٨) : المرط: هو الإزار واستدل علي ذلك بما في الرواية الثانية: (أخذن أزهن فشققنها من قبل الحواشي فاخترن بها) كما في البخاري في باب تفسير سورة النور باب وليضربن بخمرهن علي جيوبهن . والإعتجار بالعمامة: هو أن يلفها علي رأسه ويرد طرفها علي وجهه، ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه (النهاية ٣ / ١٨٥) .

وفي الروايتين: رواية البخاري: نساء المهاجرات الأول، وفي رواية ابن أبي حاتم: نساء الأنصار، قال ابن حجر: يمكن الجمع بين الروايتين بأن نساء الأنصار بادرن إلي ذلك.

(١) انظر تفسير ابن كثير _ تفسير سورة النور الآية ٣١ .

وفي رواية البخاري : ((فاختمن بها)) قال ابن حجر في الفتح (٣٩٧/٨)
أي غطين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار علي رأسها وترميه علي الجانب
الأيمن ، علي العاتق الأيسر وهو التقنع.

وقال الفراء : كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما
قدامها، فأمرن بالإستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل.

الآية الرابعة:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
(١)﴾

• الأحاديث والآثار:

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " المرأة عورة فإذا

خرجت استشرفها الشيطان" (٢).

(٢) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ

مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا (١).

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٩ .

(٢) رواه الترمذي ورقمه (١١٧٣) وقال : حسن غريب .

قال المنذري: قوله (فيستشرفها الشيطان) أي: ينتصب ويرفع بصره إليها ويهم بها لأنها قد تعاطت سببا من أسباب تسلطه عليها وهو خروجها من بيتها) (٢)

وقال المباركفوري رحمه الله: قوله: (الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ) قَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَحَارِ جَعَلَ الْمَرْأَةَ نَفْسَهَا عَوْرَةً لِأَنَّهَا إِذَا ظَهَرَتْ يُسْتَحَى مِنْهُمَا كَمَا يُسْتَحَى مِنَ الْعَوْرَةِ إِذَا ظَهَرَتْ ، وَالْعَوْرَةُ السَّوَاءُ وَكُلُّ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ إِذَا ظَهَرَ . وَقِيلَ إِنَّهَا ذَاتُ عَوْرَةٍ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ أَيَّ زَيْنَتِهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ وَقِيلَ أَيُّ نَظَرٍ إِلَيْهَا لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا . وَالْأَصْلُ فِي الْاسْتِشْرَافِ رَفْعُ الْبَصَرِ لِلنَّظَرِ إِلَى الشَّيْءِ وَبَسَطُ الْكَفِّ فَوْقَ الْحَاجِبِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَرْأَةَ يُسْتَقْبَحُ بُرُوزُهَا وَظُهُورُهَا فَإِذَا خَرَجَتْ أَمَعَنَ النَّظَرَ إِلَيْهَا لِيُغْوِيَهَا بِغَيْرِهَا، وَيُغْوِيَ غَيْرَهَا بِهَا لِيُوقِعَهُمَا أَوْ أَحَدَهُمَا فِي الْفِتْنَةِ . أَوْ يُرِيدُ بِالشَّيْطَانِ شَيْطَانُ الْإِنْسِ مِنْ أَهْلِ الْفِسْقِ سَمَّاهُ بِهِ عَلَى التَّشْبِيهِ)) (٣)

(٣) وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله! إني أحب الصلاة معك، قال: " قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبُّنِ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتِكَ فِي بَيْنِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ،

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان، والطبراني في المعجم الكبير، والترمذي.

(٢) الترغيب والترهيب ١/١٤٢

(٣) تحفة الأحوذى _ شرح صحيح الترمذي.

وَصَلَاتُكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي".
قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل^(١).

(٤) أخرج بن سعد عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه قال: قتل يوم قريظة رجل من الأنصار يدعي خلاداً رضي الله عنه قال: فأتيت أمه فقيل لها: يا أم خلاد، قتل خلاد!. قال: فجاءت منتقبة فقيل لها: قتل خلاد، وأنت منتقبة! قالت: إن كنت رزئت خلاد فلا أرزأ أحيائي، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: " أما إن له أجر شهيدين " قال: قيل: لم ذاك يا رسول الله؟ فقال: " لأن أهل الكتاب قتلوه " (٢)

(٥) وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط، قبل ذلك في الإسلام " رواه الحاكم .
(٦) وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا جاوزوا بنا سدلت إحدانا جلبا بها من رأسها علي وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه. رواه أبو داود وابن ماجه معناه. (٣) وهذا الحديث فيه دلالة علي انتقاب المرأة الغير محرمة.

(١) رواه أحمد في مسنده رقم الحديث: (٢٥٨٤٢) (٣٧١/٦) وابن خزيمة (١٦٨٩) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري لابن حجر: (٢٦٩/٣): وإسناد أحمد حسن، وله = = شاهد من حديث ابن مسعود عند أبي داود. وقال الألباني حسن لغيره انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠) وأيضاً حسنه الأرئووط .

(٢) حياة الصحابة ٢ / ٥٧٩ .

(٣) المرجع السابق.

(٧) وأخرج البيهقي عن عروة ابن الزبير (رضي الله عنهما) قال: وأقبل أبو بكر ﷺ من السنح على دابته حتى نزل بالمسجد، وأقبل مكروباً حزيناً فاستأذن في بيت ابنته عائشة (رضي الله عنها)، فأذنت له فدخل ، ورسول الله ﷺ قد توفي على الفراش والنسوة حوله، فخمرن وجوههن واستترن من أبي بكر إلا ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله ﷺ ألخ الحديث " كذا في البداية. (١)

(٨) وأخرج بن سعد عن عطاء بن يسار قال : لما قدمت صفية ﷺ من خيبر أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان ، فسمع نساء الأتصار فجئن ينظرن إلى جمالها ، وجاءت عائشة (رضي الله عنها) منتقبة ، فلما خرجت ، خرج النبي ﷺ على أثرها ، فقال : " كيف رأيت يا عائشة ؟" قالت: رأيت يهودية ، فقال : " لا تقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها " . (٢)

(٩) ونص الإمام أحمد (رحمه الله) علي : أن كل شئ من المرأة عورة حتى الظفر . (٣)

(١٠) عن مسلمة بن مخلد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعروا النساء يلزمن الرجال " (٤).

(١) حياه الصحابة - اجتماع الصحابة علي أبي بكر الصديق ٤/٢ .

(٢) حياة الصحابة - أخلاق النبي ﷺ - نكاحه ﷺ بصفية ٦٥٦/٢ .

(٣) تفسير ابن الجوزي ٣/٦ .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٣١٩١) والكبير (١٥٩١٢) قال المناوي في فيض القدير (١/ ٥٥٩) : أورده ابن الجوزي في الموضوعات ... ولعله لم يقف على تعقب الحافظ ابن حجر له بأن ابن عساکر

قال المناوي في فيض القدير (١/٥٥٩) : (أعروا) بفتح الهمزة وسكون الراء (النساء) أي جردوهن من ثياب الزينة والخيلاء والتفاخر والتباهي ومن الحلبي كذلك، واقتصروا على ما يقيهن الحر والبرد، فإنكم إن فعلتم ذلك (يلزمن الرجال) أي قعر بيوتهن وهو بمهملة وجيم ككتاب جمع حجلة بيت كالقبة يستر بالثياب له أضرار كبار، يعني: إن فعلتم ذلك بهن لا تعجبهن أنفسهن فيطلبن البروز بل يخترن عليه المكث في داخل البيوت، وأما إن وجدن الثياب الفاخرة والحلي الحسن فيعجبهن أنفسهن ويطلبن الخروج متبرجات بزينة ليراهن الرجال في الطرقات والنساء فيصفوهن لأزواجهن ويترتب على ذلك من المفساد ما هو محسوس بل كثيراً ما يجر إلى الزنا، وفيه: حث على منع النساء من الخروج إلا لعذر .

وعلى عدم إكثار ثياب الزينة لهن والمبالغة في سترهن ، وفي رواية بدل (الرجال) (الحجاب) بالباء، والمعنى متقارب .

• كيفية الحجاب :

عن ابن سيرين أنه قال سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية : ﴿ **يُدْنِينَ**

عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها ، وغطى رأسه كله

حتى بلغ الحاجبين ، وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجه الأيسر .

خرجه من وجه آخر في أماليه وحسنه وقال بكر بن سهل وإن ضعفه جمع لكنه لم ينفرد به كما ادعاه ابن الجوزي فالحديث إلى الحسن أقرب وأيا ما كان فلا اتجاه لحكم ابن الجوزي عليه بالوضع.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : تلوى الجلباب فوق الجبين وتشده ، ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها .. لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه .

وفى رواية عن ابن عباس (رضي الله عنها) أنه قال : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة .

وقال عكرمة: تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدينه عليها .

وقال السدي: تغطي إحدى عينيها وجبهتها، والشق الآخر إلا العين.

قال أبو حيان: كذلك عادة بلاد الأندلس لا يظهر من المرأة إلا عينا الواحدة.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ أن

يغطين رؤوسهن ليعلم أنهن حرائر، والمراد بالجلابيب: الأردية قاله ابن قتيبة.

وقال أبو حيان في البحر، وقوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

﴿ شامل لجميع أجسادهن ، أو المراد بقوله ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ أي وجوههن لأن الذي كان يبدو في الجاهلية هو الوجه .

وقال أبو السعود: الجلباب ثوب أوسع من الخمار، ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها.

ومعنى الآية: أن يغطين بها وجوههن وأيديهن إذا برزن لداعية من الدواعي .

وقال أبو بكر الرازي (الجصاص) : وفي هذه الآية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

﴿ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ ، دلالة علي أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانبين

وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع فيهن أهل الريب.

وفي تفسير الجلالين: الجلابيب جمع جلباب وهي الملاعة التي تشتمل بها المرأة .

• س : هل الأمر بالحجاب خاص بأزواج النبي أم هو عام ؟

ج : الآيات الكريمة وردت في شأن بيوت النبي ﷺ خاصة تعظيماً لرسول الله ﷺ وتكريماً لشأنه، ولكن الأحكام التي فيها عامة تعم جميع المؤمنين، لأنها آداب اجتماعية، وإرشادات إلهية يستوي فيها جميع الناس، فالأمر بعدم الاختلاط بالنساء، وبسؤالهن من وراء حجاب ليس قاصراً على أزواج الرسول ﷺ، ولكنه عام يشمل جميع نساء المؤمنين، فإذا كان نساء الرسول ﷺ لا يجوز الاختلاط بهن ولا النظر إليهن ، مع أنهن أمهات المؤمنين ، يحرم الزواج بهن، ولا يجوز سؤالهن إلا من وراء حجاب ، فلا شك أن الاختلاط بغيرهن من النساء، أو التحدث إليهن بدون حجاب يكون حراماً من باب أولى: لأن الفتنة بالنساء محققة، بل إن أمر الحجاب ليس خاصاً بأزواج الرسول ﷺ، بل هو عام لجميع نساء المؤمنين لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (١) فهل خرجت مؤمنة من هذا الخطاب؟ (٢).

روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة، أن الحرة والأمة كانتا تخرجان ليلاً لقضاء الحاجة في الغيطان، وبين النخيل، من غير تمييز بين الحرائر والإماء، وكان في المدينة فساق، لا يزالون على عاداتهم في الجاهلية يتعرضون

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٩.

(٢) رواع البيان للصابوني ٣٥١/٢ .

للإماء، وربما تعرضوا للحرائر، فإذا قيل لهم يقولون: حسبناهم إماء، فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء في الزي فيتسترن ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن ذوو القلوب المريضة فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (١)

وقال ابن الجوزي: سبب نزولها: أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها القناع تركوها وقالوا حرة، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: أمة.. فأذوها، فنزلت الآية.. قاله السدي (٢).

• مفسدة كشف المرأة وجسمها أمام الرجال الأجانب:

- (١) يعرضها لسخط الله عز وجل، لأنه معصية لله تعالى ولرسوله (ﷺ).
- (٢) أن فيه زوال لحياء المرأة.
- (٣) يوقع الفتنة بين الشباب والرجال.
- (٤) تعرض نفسها للإيذاء بالكلمات الساقطة.
- (٥) تعرض نفسها للعين والحسد، سواء من عيون الإنس أو الجن.
- (٦) تعرض نفسها لدعاء بعض الصالحين عليها.
- (٧) أن في ذلك تعويد للأمة على استمرار المنكرات شيئاً فشيئاً.. فالיום كشف للوجه.. وغداً للرأس والشعر وبعد غد للذراع. وبعد ذلك...؟! والعياذ بالله.

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٩.

(٢) المرجع السابق ٣٧٧/٢.

٨) أن فيه نشر للمنكرات في هذه الأمة. وقد قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} (١).

٩) التشبه بنساء الغرب، وقد قال رسول الله ﷺ: " ومن تشبه بقوم فهو

منهم . (٢).

١٠) تصبح المرأة سلعة رخيصة.

١١) تصبح فريسة لشياطين الإنس والجن.

١٢) تعرّض نفسها للإيذاء بالكلمات الساقطة.

١٣) تعرض نفسها للعين والحسد، سواء من عيون الإنس أو الجن.

• يقول الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله):

الحجاب الشرعي: هو حجب المرأة ما يحرم عليها إظهاره، أي سترها ما يجب ستره، وأولى ذلك وأوله ستر الوجه، لأنه محل الفتنة ومحل الرغبة، فالواجب على المرأة أن تستر وجهها عن ليسوا بمحارمها، وأما من زعم أن الحجاب الشرعي هو ستر الرأس والعنق والنحر والقدم والساق والذراع، وأباح للمرأة أن تخرج وجهها وكفيها، فإن هذا من أعجب ما يكون من الأقوال؛ لأنه من المعلوم أن الرغبة ومحل الفتنة هو الوجه، وكيف يمكن أن يقال: أن الشريعة تمنع كشف القدم من المرأة

(١) سورة الأعراف _ الآية ٥

(٢) رواه أحمد ٥٠/٢ ، وأبو داود (٤٠٣١).

وتبيح لها أن تخرج الوجه؟! هذا لا يمكن أن يكون واقعاً في الشريعة العظيمة الحكيمة المطهرة من التناقض، وكل إنسان يعرف أن الفتنة في كشف الوجه أعظم بكثير من الفتنة في كشف القدم، وكل إنسان يعرف أن محل رغبة الرجال في النساء، إنما هي الوجوه، ولهذا لو قيل للخاطب: إن مخطوبتك قبيحة الوجه لكنها جميلة القدم، ما أقدم على خطبتها، ولو قيل له: إنها جميلة الوجه لكن في يديها أوفي كفيها أو في قدميها أو في ساقها نزول عن الجمال لكان يقدم عليها، فغلم بهذا أن الوجه أولى ما يجب حجابها، وهناك أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ، وأقوال الصحابة وأقوال أئمة الإسلام، وعلماء الإسلام، تدل على وجوب احتجاب المرأة في جميع بدنها عمن ليسوا بمحارمها، وتدل على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عمن ليسوا بمحارمها. والله أعلم.

• شروط خروج المرأة :

وأما بالنسبة لخروج المرأة من بيتها إلى المسجد للصلاة فإنه يجوز بشروط؛ لأن المرأة جوهرة نفيسة تعز على أهلها، وقد ذكر العلماء في ذلك شروطاً إذا تحققت جاز خروج المرأة من بيتها، بل يحرم منعها إذا كان خروجها إلى المسجد لمصلحة الصلاة والذكر، حيث وقد ورد النهي عن منعهن كما في الحديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟. قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ

اللَّهِ" (١).، وهذا الحديث قد بين العلماء أن فيه إباحة الصلاة للمرأة في المسجد، والخروج من البيت لأجل ذلك، ولكن الأمر ليس على إطلاقه، فهناك شروط لا بد أن تتوفر لجواز خروج المرأة إلى المسجد، وهي على قسمين:

شروط متعلقة بذات المرأة، وشروط متعلقة بغير المرأة، أما الشروط المتعلقة بذاتها فقد ذكر الإمام النووي (رحمه الله) في شرح الحديث المتقدم ما ذكره أهل العلم من الشروط قال: وهي: (ألا تكون متطيبة.. ولا متزينة.. ولا ذات خلاخل يسمع صوتها.. ولا ثياب فاخرة.. ولا مختلطة بالرجال.. ولا شابة ونحوها ممن يفتتن بها.. وأن لا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوه)(٢).

فهذه مجموعة شروط لصحة خروجها، وهي متعلقة بذات المرأة نفسها، وبالنظر في هذه الشروط يظهر أن بعضها ثابت عن النبي ﷺ، وبعضها ليس ثابتاً، ولكن يوافق مقصد الشريعة ويحققه، فمما ثبت عن النبي ﷺ: أن لا تكون متطيبة، فقد جاء في صحيح مسلم: أَنَّ زَيْنَبَ الثَّقَفِيَّةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَّيَّبِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ " (٣) وزينب امرأة عبد الله بن مسعود -رضي الله عن الجميع- وهو حديث صريح في أن المتطيبة ليس لها الخروج إلى المسجد، ومثله ما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

(١) صحيح البخاري: (٨٤٩)، وصحيح مسلم: (٦٦٨).

(٢) شرح النووي على مسلم: (١٨٦/٢).

(٣) صحيح مسلم: (٦٧٣).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بِحُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ
الْآخِرَةَ) (١).

وقد جاء النهي عن الخروج مطلقاً للصلاة وغيرها إذا كانت متطيبة، بل وصفها
النبي ﷺ بأنها زانية إذا فعلت ذلك، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: " أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فِيهَا
زَانِيَةٌ " (٢).

فتبين سبب النهي من الخروج مع الطيب، وأن ذلك درء للفتنة والوقوع في
الحرام، هذا والخروج عام قد تستغني عنه فكيف بخروج إلى عبادة مفضولة كما
تقدم أن أفضل صلاة المرأة في بيتها، وقد جاء عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت
عبد الرحمن عن عائشة -رضي الله عنها- قَالَتْ: لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَحْدَثَ
النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قُلْتُ لِعُمْرَةَ: أَوْمُنِغَنَ قَالَتْ: نَعَمْ (٣)،
يعني من الزينة والطيب وحسن الثياب. والله أعلم (٤).

فتبين أن أم المؤمنين -رضي الله عنها- وهي من أعلم النساء تخبر بأن ما
تفعله النساء من الخروج متطيبات حرام، ولو كان رسول الله ﷺ حياً لمنعهن كما

(١) صحيح مسلم (٦٧٥).

(٢) سنن النسائي: (٥٠٣٦) وحسنه الألباني..

(٣) صحيح البخاري: (٨٢٢)، وصحيح مسلم: (٦٧٦).

(٤) شرح النووي على مسلم: (١٩٠/٢).

منعت نساء بني إسرائيل، وقولها في أيام الصحابة والتابعين بعد موت رسول الله ﷺ بسنين فكيف بحالنا اليوم!!!.

وقال العلامة الشنقيطي (رحمه الله): وإذا علمت أن هذه الأحاديث دلت على أن المتطيبة ليس لها الخروج إلى المسجد؛ لأنها تحرك شهوة الرجال بريح طيبها، فاعلم أن أهل العلم ألحقوا بالطيب ما في معناه كالزينة الظاهرة، وصوت الخلخال والثياب الفاخرة، والاختلاط بالرجال، ونحو ذلك بجامع أن الجميع سبب الفتنة بتحريك شهوة الرجال، ووجهه ظاهر كما ترى. وألحق الشافعية بذلك الشابة مطلقاً؛ لأن الشباب مظنة الفتنة، وخصصوا الخروج إلى المساجد بالعجائز. والأظهر أن الشابة إذا خرجت مستترة غير متطيبة، ولا متلبسة بشيء آخر من أسباب الفتنة أن لها الخروج إلى المسجد لعموم النصوص المتقدمة. والعلم عند الله تعالى (١).

وقال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): ويلحق بالطيب ما في معناه؛ لأن سبب المنع منه ما فيه من تحريك داعية الشهوة كحسن الملابس والحلي الذي يظهر والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال، وفرق كثير من الفقهاء المالكية وغيرهم بين الشابة وغيرها وفيه نظر، إلا إن أخذ الخوف عليها من جهتها؛ لأنها إذا عريت مما ذكر وكانت مستترة حصل الأمن عليها ولا سيما إذا كان ذلك بالليل (٢).

(١) أضواء البيان: (٣٠/٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٢٦٩/٣).

وأما الشروط المتعلقة بغيرها:

فيمكن القول بأن من جملة الشروط الأولى وتعلق الفتنة بغيرها يوجب القول بأنها شروط متعلقة بغيرها أيضاً، ومن أهم الشروط المتعلقة بغيرها: إذن وليها، فإن لم يأذن لم يجز لها الخروج وإن تحققت الشروط الأولى كلها، إذ إن خروجها متعلق بإذنه، وقد جاء عن بلال بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "لَا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ حُظُوظَهُنَّ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِذَا اسْتَأْذَنُوكُمْ"، فَقَالَ بِلَالٌ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَتَقُولُ أَنْتَ لَنَمْنَعُهُنَّ! (١)، وهذا دليل صريح على أن الخروج متعلق بإذن الولي، وأن لهن حظاً من المسجد بعد أن يستأذن أولياءهن، وقد زجر ابن عمر ابنه حين قال بمنعهن، واعتبره معارضة لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن الحديث يظهر أنه إذا استأذنت المرأة زوجها أو وليها فعليه أن يأذن لها ولا يمنعها، كما لا يجوز لها أن تخرج إن لم يأذن، وإذنه لها أمر ليس له الامتناع منه، ما لم يكن له عذر شرعي، فإن لم يكن له عذر شرعي فلا يمنعها ولو كان الخروج إلى المسجد ليلاً كصلاة التراويح والعشاءين، وهذا مصداق ما أمر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي جاء عن ابن عمر -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ائْذَنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ " (٢). وَعَنْ الزُّهْرِيِّ

(١) صحيح مسلم: (٦٧٢).

(٢) صحيح البخاري: (٨٤٨).

سَمِعَ سَالِمًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " إِذَا اسْتَأْذَنْتَ أَحَدَكُمْ امْرَأَتَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعُهَا " (١).

وعلى كل حال فإن المرأة لا تخرج من بيتها لصلاة أو لحاجة، إلا مع تحقق شروط الخروج، وتحرص كل الحرص على لزوم بيتها وحشمتها ما أمكن (٢).

الرقبي

ألقت امرأة يمانية محاضرة نالت إعجاب الجميع في جامعة أجنبية: وهي مسلمة محجبة، سألتها الصحفيون مستغربين أن لباسها لا يعكس مدى علمها ظنا منهم أن الحجاب رمز تخلف ورجعية فأجابتهم بكل بساطة وذكاء قائلة: إن الإنسان في العصور الأولى كان شبه عاريا وَمَعَ تَطُّورِ فِكْرِهِ عَبرَ الزَّمَنِ بَدَأَ يَرْتَدِي الثِّيَابَ، وَمَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ، وَمَا أَرْتَدِيهِ هُوَ قِمَّةُ الْفِكْرِ وَالرَّقْبِي الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ عَبرَ الْعُصُورِ، وَلَيْسَ تَخْلُفًا أَمَّا الْعَرَبِيُّ فَهُوَ عَلَامَةُ التَّخْلُفِ وَالرَّجُوعِ بِفِكْرِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْعُصُورِ الْأُولَى !.

إنها: تَوَكَّلْ كَرِمَانُ.

(١) صحيح مسلم: (٦٦٦).

(٢) المفصل في أحكام المرأة لـ د. عبد الكريم زيدان: (١/٣٣١).

فوائد

- _ امرأة بلا حجاب.. مدينة بلا أسوار.
- _ امرأة بلا حجاب...شاة حولها الذئاب.
- _ الخمار شعار التقوى والاسلام .
- _ الخمار برهان الحياء والاحتشام .
- _ الخمار سياج الاجلال والاحترام .
- _ الخمار أشرف اكليل لجمالك، وأعظم دليل على ادبك وكمالك.
- _ صوني ايتها الشريفة المؤمنة جسمك الطاهر من اعتداء الأعين الباغية ،
وحصنيه بالاحتشام لتذودي عنه السهام العاتية.
- _ أليس من المضحكات المبكيات، أن نرى المرأة العجوز وقد ملأت حفر وجهها
بالمساحيق، وارتدت ملابس الشباب من البنطلون والقميص!.
- _ يا حسرتي على المرأة المتبرجة(ضالة، غافلة) تبيع الجنة بثمن بخس،
وتشتري الجحيم بثمن غال.

قالوا

إنا سمعنا أختنا شيئا عجاب
قالوا كلاما لايسر عن الحجاب
قالوا خياما علقت فوق الرقاب
قالوا ظلما حالكا بين الثياب
قالوا التأخر والتخلف فى النقاب
قالوا الرشاقة والتطور فى غياب
نادوا بتحرير الفتاة وألفوا فيه الكتاب
رسموا طريقا للتبرج لا يضيعه الشباب
يا أختنا هم ساقطون الى الحضيض الى التراب
يا أختنا هم سافلون بغيهم مثل الكلاب
يا أختنا هذا عواء الحاقدين من الذئاب
يا أختنا هذا نباح لا يؤثر فى السحاب
يا أختنا صبرا تذوب ببحره كل الصعاب
يا أختنا أنت العفيفة والمصونة بالحجاب
يا أختنا فيك العزيمة والنزاهة والثواب
فالنار مثوى الظالمين لهم عقاب
والله يكشف ظلمهم يوم الحساب
والجنة المأوى ويا حسن المآب

الاختلاط

يقول ابن القيم رحمه الله :

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشى بينهم متبرجات متجملات (١).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله):

في كتابه التبرج وخطره: أمر الله سبحانه المرأة بقرارها في بيتها ، ونهئها عن التبرج معناه : النهي عن الاختلاط ، وهو اجتماع الرجال بالنساء الأجنيبات في مكان واحد بحكم العمل أو البيع أو الشراء أو النزهة أو نحو ذلك .

ودل على عدم جواز الاختلاط من كتاب الله تعالى أيضاً قول الله عز وجل :

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ... " .

قال أهل العلم والمقصود بالحجاب هنا حجب شخصها فلا يكون هناك اختلاط ، بل يكون من وراء حاجزٍ أو مانع ، فإن احتاجت لبروز حجبت بدنها كله باللباس ، وعلل سبحانه هذا الأمر بأنه أطهر لقلوبكم وقلوبهن .

(١) من كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .

لؤلؤة مكنونة

- سأل يهودى رجل مسلم: لماذا تحجبون نساءكم وتغطون مفاتهن؟ فأمسك المسلم عليه حلوى ونزع الغلاف عن اثنتين وترك الباقي مغلفا، وقال أى قطعه تريد؟ فأجاب اليهودى طبعاً المغلفه لأنها أنقى وأنظف، فقال المسلم: هل عرفت الآن لماذا تتحجب نساتنا؟
 - وسأل أحد نصارى الغرب بعض المسلمين: لماذا النساء عندكم لا يخالطن الرجال الأجانب؟! .!
- فرد قائلاً: لأنهن لا يرغبن في الإنجاب من غير أزواجهن!! . فبهت الذي كفر.

كلمة لكل فتاة

فعلى الفتاة تعلم أن الإسلام إنما أراد أن يؤمن شيخوختها الذابطة المنهكة، وأن يدفع إليها البشر والتفاؤل والأمان والاستقرار مع زوجها وشريك عمرها .. فالمرأة لن تظل جميلة طول العمر ، ولا فاتنة ساحرة مدي حياتها .. فإذا ما ذبلت الزهرة - بتقدم العمر - وانمحت نضارتها ، واعتصرت محاسنها، ولم تعد تصلح لإثارة غرائز الزوج ، ونزل إلي الشارع ثم رأي فتاة في خير عمرها ، وفي كامل زينتها ، ورونقها وبهائها ، جرت شهوته إلي غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع وما يراه في البيت ، فتكالب عليه الهموم والحسرات ، وهو يندب حظه ونفسه ، ولا نعتقد أن هذه المقارنة ستسر رأي أي فتاة في طور حياتها المتقدمة التي هي أحوج ما تكون فيها إلي زوجها .

إذن الإسلام حينما طلب منك أن تحتجبي، طالب لكِ ولسواك أن تحتجبي عن إغراء من هو لكِ (وهذا هو التأمين الجمالي للمرأة) .
والذي يبدد رصيد المرأة من (طول الألفة والعشرة وامتدادها مع زوجها) هو نظرة الرجل في الشارع، إلي جمال سافر، وحسن باهر، فيطغي علي كل مقدسات الروابط .. ومن هنا تتفكك روابط الأسرة وتنحل الأصرة الزوجية.
فافهمي أيتها الفتاة، واعلمي أن الذي منع، منع من أجلك، والذي منع ليحافظ عليك. (١).



زينة المرأة الحياء

• حياء أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها :

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ، وأضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبى فلما دفن عمر رضي الله عنه معهم.. والله ما دخلته إلا مشدودة عليّ ثيابي حياءً من عمر. رواه أحمد.. قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح . (١).

وعنها رضي الله عنها ، قالت : ما زلت أضع خماري وأتفضل في ثيابي في بيتي حتى دفن عمر فيه ، فلم أزل متحفظة حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً (٢) .
إذا كان هذا الحياء كله ممن فارق الحياة الدنيا، فكيف بحيائها ممن لم يفارق الحياة.

• حياء فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

فعن أم جعفر بنت محمد أن فاطمة بنت النبي ﷺ قالت يا أسماء: إني استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها. قالت أسماء: ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها (أي عوجتها) ثم طرحت عليها ثوباً. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله ! يعرف به الرجل من المرأة، فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي رضي الله عنه، ولا تدخلني عليّ أحداً، فلما توفيت

(١) مشكاة المصابيح . كتاب الجنائز . باب زيارة القبور ١/ ٥٥٤ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري « نسب بني عدي بن كعب بن لؤي: _ رقم ٢٥٦٢ .

جاءت عائشة (رضي الله عنها) تدخل فقالت أسماء: لا تدخلني فشكت لأبي بكر فقالت: إن هذه الخشعية تحول بيني وبين ابنة رسول الله ﷺ، وقد جعلت لها مثل هودج العروس.. فجاء أبا بكر فوقف على الباب فقال: ما حملك أن منعتي أزواج النبي ﷺ وجعلت لها مثل هودج العروس؟ فقالت: أمرتني ألا أدخل عليها أحداً، وأريتها هذا الذي صنعت، فقال أبو بكر ﷺ: فاصنعي ما أمرتك، ثم انصرف، وغسلها علي وأسماء رضي الله عنهما . أخرجه البيهقي .

قال ابن عبد البر: هي أول من غطى نعشها في الإسلام على تلك الصفة (١).

• حياء أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها:

أختي المسلمة أصغي معي إلى السيدة أسماء (رضي الله عنها) وهي تقول: تزوجني الزبير بن العوام ﷺ وماله في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق له النوى لناضحه وأعلف وأستقي الماء وأخرز غربة وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكن أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قال: أخ.. أخ.. ليحملني خلفه، قالت: فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان أغير الناس . فعرف رسول الله ﷺ أنني استحييت، فمضي، وجئت الزبير، فقلت له: لقيني رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت، وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوى أشد علي من

(١) سير أعلام النبلاء ١٢٨/٢ والاستيعاب لابن عبد البر .

ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر الصديق بعد ذلك بخادم.. فكفتني سياسة
الفرس، فكانما أعتقني " (١)

فانظري كيف كانت هذه المرأة في تفانيها في خدمة زوجها.. عن طريق العمل
المناسب مع احترام مشاعره، والحفاظ على كرامتها التي هي أعز ما يملك الإنسان..
وقفي مع هذا القول: فاستحييت أن أسير مع الرجال !!!

• حياء فاطمة بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها :

عن عائشة (رضى الله عنها) قالت جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة (رضى
الله عنها) تباع رسول الله ﷺ، فأخذ عليها: " أن لا يشركن ولا يزينن " الآية
قالت : فوضعت يدها علي رأسها حياءً ، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها ؛ فقالت
عائشة (رضى الله عنها) أقرى أيتها المرأة ! فو الله ! ما بيعنا إلا على هذا ، قالت:
نعم إذا ، فبايعها " رواه أحمد والبخاري ورجال الصحيح . (٢)

• حياء أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنها) :

أخرج عبد الرازق عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدق أن عمر (رضى الله
عنه) بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقتى أن لا حبيب الأعبه
فلولا حذار الله لاشئ مثله لززع من هذا السرير جوانبه

(١) كنز المال ٣٤٧/٦ .

(٢) حياة الصحابة - كيف كان الصحابة ربنا يعون النبي ﷺ - بيعة النساء ٢٣٤/١ .

فقال لها عمر رضي الله عنه: مالك؟ قالت: أغريت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه. قال: أردت سوءاً. قالت: معاذ الله! قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه فبعث إليه؛ ثم دخل على حفصة (رضي الله عنها) فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحييت، قال: فإن الله لا يستحيي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة.. فكتب عمر رضي الله عنه: أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر كذا في الكنز. (١).

• حياء امرأة تستفتي أبا حنيفة النعمان :

يروى أن امرأة دخلت علي أبي حنيفة وهو في المسجد جالس بين أصحابه وبيدها تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم، فأخذها وشقها نصفين، فقامت المرأة وخرجت فسألوه عن ذلك، فقال: إنها تري الدم مرة أحمر ومرة أصفر، سألت أيكون حيضاً أو طهراً؟ فشققت لها التفاحة وأريتها باطنها، وأردت بذلك أنها لا تطهر حتى تري البياض مثل بطنها . وهذا يدل علي حياء هذه المرأة، حيث أنها قدمت الدليل بدون أن تتفوه للشيخ وهو يجلس بشين طلبه العلم، ودلت علي نكائها ونكاء أبي حنيفة رحمه الله .

• حياء ابنة شعيب رضي الله عنه :

امرأة صالحة ذكر الله ﷻ دينها وحياتها في كتابه العزيز فقال تعالى: (وجاءته إحداهما تمشي علي استحياء).

يقول الامام السيوطي في الدر المنثور: واضعة ثوبها علي وجهها، ليست بسلفع (١) خراجة ، ولا ولاجة .. أي ليست كثيرة الخروج والدخول. (٢).

وقد أخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاءت مستترة بكم درعها علي وجهها.

وفي رواية الحاكم: واضعة ثوبها علي وجهها.

وقال أبو بكر بن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها، وكريم نسبها أته علي استحياء.

قال أعرابي: لا يزال الوجه كريما ما غلب حياؤه، ولا يزال الغصن نضيراً ما بقي لحاؤه. (٣)

ويقول الحسن البصري الماوردي: إن من أسباب حياؤها: أنها دعت لتكافئة، وكان الأجمل مكافأته في مكانه بدون عناء.. كما يضيف إلي مظاهر حياؤها: أنها نادته من بعد.. وتلك عادة المتصونات من الحرائر.

• يقول الأوسي :

وفي إسنادها الدعوة إلي أبيها ما يدل علي كمال العقل والعفة والحياء.

وروي أنه رضي الله عنه أجابها فقام معها، فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك، ففعلت. (٤).

(١) معنى سلفع : سليطة جريئة .. وفي الحديث : " شرهن السلفعة البلقعة، والسلفعة البذية الفاحشة القليلة الحياء وفي حديث أبي الدرداء : " شر نسائكم السلفعة " وهي الجريئة علي الرجال - لسان العرب لابن منظور ١٦١/٨ .

(٢) الدر المنثور ١٢٥/٥ .

(٣) روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البرسوسي .

(٤) تفسير الأوسي ٦٥/٢٠ ط دار الفكر ١٩٨٧ .

هذه نماذج من حياء النساء، ولو نظرنا في حياة نساء النبي والصحابة والتابعين لوجدناها مملوءة بالحياء، لأن قلوبهم كانت ممتلئة بالإيمان، وقد جاء الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، قال رسول الله ﷺ : " الإيمان يضع وسبعون شعبة، فأفضلها، قول: لا إله إلا الله ، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " متفق عليه .^(١)

فإذا رأيت المرأة اليوم تخرج من بيتها سافرة عن وجهها غير محتشمة في ثيابها، تختلط بالرجال، وتتحدث معهم في أي كلام لا يرضى الله ﷻ فاعلم أن الحياء قد نزع منها بسبب ضعف إيمانها.



نصيحة

الشيخ الألباني للنساء

سؤال: شيخنا، كنا سمعنا إنه من هؤلاء النساء الموجودات في بعض الجامعات أو المدارس أو الكليات أو بعض النساء المحاضرات - يعني - عندما يلقون المحاضرة أو الدرس أو يقرؤون حتى القرءان في السّاعة خصوصاً عند الصباح، سمعنا أن هؤلاء النساء لم يستمتع أزواجهن أبداً في هؤلاء النساء، لأنهم مترجلات ، فنريد منك - يعني - توضيح حول هذا السؤال.

الشيخ : الأصل في هذه المسألة هو سوء التربية، ومن أسباب سوء التربية فساد المجتمع، وفساد المناهج التي يُقام على أساسها تدريس الرجال والنساء، أو الشبان والشابات، ذلك لأن الطالبات في المدارس أنا على مثل اليقين أنهن لا يسمعن مثل قوله عليه السلام: (لعن الله الرّجُلَةَ من النساء)، وكذلك الحديث الآخر الذي

يرويه عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ : " المتشبهين من

الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال " رواه البخاري (١) .

في اعتقادي أن الطالبات اللاتي يتخرجن من المدارس الثانوية أو مما فوقها، لم يطرق سمعهن مثل هذا الحديث أو ذاك - الحديث الأول - ولئن طرق شيء منهما مسامعهن يوماً ما، فذلك مما يدخل من أذنٍ ويخرج من الأذن الأخرى، لأن

(١) رياض الصالحين - باب تحريم تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء ص ٥٦٤ .

المناهج التي تدرّس - أو تُلقى الدروس على أساسها - لا تسمح للمدرّسة - حتى ولو كانت متديّنة- أن تتوسع في مثل هذا الموضوع .

ومعلوم في الشرع وعند أهل العلم به، أن الأصل في الرجل أن يخرج من داره ليعمل لصالح أهله وذويه، وعلى العكس من ذلك، فالأصل للمرأة أن تظلّ في بيتها، وألا تخرج عنه، عملاً بقول ربها تبارك وتعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا

تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا ﴾^(١) فلما صارت المرأة كالرجل، تخرج صباحًا، وتعود مساءً ، صارت في

ذلك متشبهة بالرجل من حيث تدرى أو لا تدرى، من حيث تشعر أو لا تشعر .

ولذلك فنحن لم نعد في هذه الأزمنة المتأخرة نرى الفتاة العذراء التي تخجل أن يقع بصرها على رجل ، بل هي - من شدة حيائها - ترمي ببصرها إلى الأرض لتري خطواتها وهي تمشي ، لم نعد نرى هذه الفتاة التي كان أمثالها معروفًا حتى في عهد الجاهلية فضلاً عن عهد الإسلام الأول الأنور الأطهر، من أجل ذلك جاء في الصحيح في شمائل: عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها متفق عليه.^(٢)

هذه البكر التي شُبه سيد البشر ﷺ في حيائه بها، لم نعد نسمع بها في زمننا هذا، ذلك لأنه غلب على النساء التشبه بالرجال، ولا شك أن لهذا أسبابًا كثيرة، من أهمها - ابتداءً - سيطرة الحكام الكفار على كثير من البلاد الإسلامية، فنشروا

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٢) رياض الصالحين - كتاب الآداب - باب الحياء وفضله والحث على التخلق به ص ٢٩٤ .

فيها عاداتهم، وتقاليدهم، وأذواقهم، وأخلاقهم المنحرفة عن الفطرة السليمة، فورثها جيل من الناس، وتلقاها أساتذة موجهون - زعموا - وأساتذات، ونشر هؤلاء جميعاً بين هذا الجيل الناشيء من فتيان وفتيات ما يسمونه [بالمساواة بين النساء والرجال]، فكان هذا من أسباب انتشار قلة الحياء في النساء، الذي جعل الكثيرات منهن مترجلات .

ومما لا شك فيه أن ترحل المرأة يجعلها تعتد بشخصيتها أمام زوجها، وقد تعلق عليه بصوتها، وربما تذله أمام بعض أقاربه وأقاربها، استعلاءً منها على زوجها . أين هذا مما جاء في وصية الرسول ﷺ الرجال بالنساء ؟ وعلل ذلك بقوله ﷺ: .. بعلة تنافى تمامًا هذه التربية التي نراها في العصر الحاضر، ألا وهو قوله ﷺ: "... ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم " . رواه الترمذى وابن ماجه عن عمرو بن الأحوص .

الشاهد أن النبي ﷺ لما أمر بالاستيحاء بالنساء خيراً في هذا الحديث، علل ذلك عليه السلام بقوله (فإنهن عوانٍ عندكم) أي: إنهن كالأسارى، الأسير لا يستطيع أن يعمل شيئاً مع سيده، كذلك المرأة المسلمة، المتخلقة بأخلاق الإسلام الصحيحة، هي أمام زوجها كالأسير .

ولذلك خشي ﷺ على الرجال أن يستغلوا هذا الوصف اللائق بالنساء، فيستغلون عليهن، ويتجبرون عليهن، ويظلمونهن، ولذلك أمر بالاستيحاء بالنساء خيراً، وعلل بهذه العلة.. ألا وهى قوله عليه السلام: (فإنهن عوانٍ عندكم) .

أصبحت النساء اليوم لسنا بحاجة إلى توصية الرجال بهن، بل انقلبت الآية، فأصبحت النساء بحاجة إلى أن يوصين بالرجال خيراً لأنهن أصبحن مستقلاتٍ في

أعمالهن، في تصرفاتهن، وكثيراً ما نسمع من بعضهن: أنه ما فيه فرق بيني وبين زوجي، فهو زوج وأنا زوجة! وهو شريك وأنا شريك معه في الحياة!
 فعلى المسلمات المتمسكات بدينهن إذا كنَّ قد ابتلن بشيء من المخالطة لهذا المجتمع، أن يحاولن أن ينجون بأنفسهن من أن تتأثرن بشيء من هذا الانجراف الذي وقعت فيه كثيرات من النساء، بسبب ما ذكرناه من فساد التربية، وفساد المجتمع، وهذه ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين^(١).



(١) سلسلة الهدى والنور الشريط رقم ١٩ .

إلى عشاق الموضة

لقد تلاعب مصممو الأزياء بنفسية النساء لأن المرأة مفضولة على التجميل والظهور بالمظهر اللائق، لذا يُركزون على مفاتن المرأة، ففي كل عام يصممون موضة جديدة، وملابس جديدة وجعلوا لكل وقت لباس خاص به، فلباس الصباح لا يصلح للمساء، وجعلوا للسهرة وللفرح وللزيارة ألبسة خاصة بها، وجعلوا كل موسم لباس خاص به، فالشتاء غير الربيع غير الصيف، وإذا انتهت موضة الملابس لا تُلبس حتى وإن كانت جديدة وجعلوا لكل ثوب، أحذية خاصة بها، حتى عجزت الدوايب عن حمل ما فيها، إن أعداء المسلمين بما يُقدمونه من موضة وأزياء يُفسدون المرأة ويستنزفون أموال المسلمين ويسخرون بعقول النساء^(١)

وهذه أمنا عائشة (رضي الله عنها)، تقول: لبست ثيابي فطفقت انظر إلي ذيلي وأنا أمشي في البيت، وألثفت إلي ثيابي وذيلي، فدخل عليّ أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا عائشة! أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن؟^(٢)

وفي رواية عنها: أنها قالت: لبست مرة درعا لي جديدا، فجعلت انظر إليه، وأعجب به، فقال أبو بكر: ما تنظرين؟ أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا، مقته ربه حتى يفارق تلك الزينة! قالت: فنزعته فتصدقته به، فقال أبو بكر: عسي ذلك أن يكفر عنك، كذا في الكنز.

(١) روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البرسوسي.

(٢) أخرجه ابن المبارك وأبو نعيم في الحلية (حياة الصحابة ٧٠٧/٢)

وهذه ميمونة بنت شاقولة الواعظة التي هي للقرآن حافظة، ذكرت يوماً في وعظها أن ثوبها الذي عليها وأشارت إليه له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغير، وأنه كان من غزل أمها. قالت: والثوب إذا لم يُعص الله فيه لا يتخرق سريعاً.

وقال ابنها عبد الصمد كان في دارنا حائطٌ يريد أن ينقضَ فقلت لأمي: ألا ندعو البناء ليصلح هذا الجدار فأخذت رقعة فكتبت فيها شيئاً ثم أمرتني أن أضعها في موضع من الجدار فوضعتها؛ فمكث على ذلك عشرين سنة، فلما توفيت أردت أن أستعلم ما كتبت في الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا في الرقعة: إن الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا، اللهم مُمسك السموات والأرض أمسكه. (١).

إنها معرفة الله عز وجل، التي امتلأ بها قلب هذه المرأة المؤمنة.

ما ذا جاء في قلبك يا عاشقة الثياب والموضة بعد هذا ؟ اترك ما أنت فيه من الترف والسرف، فإن فيه مقت الرب جل وعلا .

واعلمي أن سعادتك ليست في ثيابك، إنما سعادتك فيما تحملينه بين جوانحك من الإيمان بالله جل وعلا.. يحكي أن رجلاً اختلف مع زوجته، فقال لها: لأشقيك . فقالت الزوجة: لاتستطيع . فقال لها: كيف ذلك ؟ قالت: لو كانت السعادة في مال لحرمتني منه، أو في حلي لمنعتها عني.. ولكن لا شيء تملكه أنت ولا الناس، إني أجد سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه إلا ربي .

هذه الحياة الحقيقية التي لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك أحد أن ينتزعها ممن أوتيتها.

(١) البداية والنهاية ١١/٣٥٥، سير النبلاء ٢/٢٧٨.

إنها سعادة الإيمان بالله التي وجدها أحد المؤمنين وصرح بها قائلاً: إننا في سعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.
وقال آخر وهو في قمة السعادة الإيمانية التي ملأت عليه أقطار نفسه : إنه لتمر علي ساعات أقول فيها : لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه لكانوا في عيش طيب!.

وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس الإنسانية؛ فإن الإيمان بالله، والدار الآخرة هو: ماؤها وغذاؤها، وهوؤها وضياؤها.

فالإيمان بالله عز وجل هو باب السعادة الأعظم، ومفتاح هذا الباب أن تتعرف على الله جل جلاله وتقدسست أسماؤه.

إنَّ السعادة شيء داخل الإنسان، لا يرى بالعين، ولا يقاس بالكم ، ولا تحويه الخزائن، ولا يشتري بالدينار ولا بالدرهم، السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه، صفاء في النفس، واطمئنان في القلب، وانسراح في الصدر .

واعلمي أن جمالك ليس في ثيابك :

_ ألا ورب نفسٍ فاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة.

_ ألا ورب نفسٍ جائعة عارية في الدنيا، فاعمة ناعمة يوم القيامة.

_ ألا ورب مكرم لنفسه، وهو لها مهين.

_ ألا ورب مهين لنفسه، وهو لها مكرم.

((اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين))



دعوة لكل مؤمن

• هل تدري ما كان يفعل النبي ﷺ في بيته ؟

من يخبرنا عن حال رسول الله ﷺ في بيته ؟

وكأنني بعائشة رضي الله عنها تقول ، أنا أخبركم فعن عروة قال : قلت لعائشة رضي الله عنها ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت: كان يخصف النعل، ويرقع الثوب.

وعن الأسود قال: سألت عائشة (رضي الله عنها) ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلي الصلاة " رواه البخاري . (١)

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، وقالت: كان بشراً من البشر، يُفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه. رواه الترمذي . (٢).

ويحدثنا الإمام الحسن بن علي ؑ فيقول: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مآذوناً في ذلك.. وكان إذا أوي إلي منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء .. جزءاً لله .. وجزءاً لنفسه.. ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك علي العامة والخاصة لا يدخر عنهم شيئاً، وكان في سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بأدبه وقسمه علي قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الفضائل والشمائل - باب في أخلاقه وشمائله ﷺ ٣ / ١٦١٨ .

(٢) المرجع السابق ٣ / ١٦١٩ .

الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم، والأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإن من بلغ سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه، ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.. يدخلون عليه زوارا، ولا يفترقون إلا عن ذواق.

وفى رواية: ولا يفترقون إلا عن ذواق.. ويخرجون أدلة يعني فقهاء " (١)

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢)

أسوة في كل قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

اتبعوا .. ولا .. تبتدعوا !!!

ادخلوا في السلم كافة.

• ليلة في بيت النبي ﷺ :

كان النبي ﷺ يجلس مع نساءه ويتحدث معهن ويسامرهن كما في الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يحدث نساءه حديث النفر الذين خطبوا المرأة، وجعلوا ذكر صفاتهم إلى أحدهم ليصف لها كل واحد منهم لتأخذ منهم من أحببت فتتوجه بعد أن سمعت صفته ، فكان رسول الله ﷺ يقول في حديثه: خذي مني، أخي ذا البجل (٣) إذا رعى للقوم غفل، وإذا سعى القوم نسل

(١) حياة الصحابة ١ / ١٣ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٢١ .

(٣) ذو الحسب والكفاية .. تدمه بقصر الهمة، والرضي بأن يكون كلاً علي غيره .

(١) وإذا عمل القوم اتكل، وإذا قرب الزاد أكل.. قريب من نضيح، ومن نبيء بعيد (٢) فلحيا لصحابنا لحيا (٣) فقالت المرأة: لا حاجة لي في هذا، هذا رغب .

قال: خذي مني، أخي ذا البخلة، حانوته يخصف نعلي ونعله، ويحمل ثقلي، ويرحل رحلي ورحله، ويدرك نبلي ونبله، وإذا حل يومه تقدمت قبله. فقالت المرأة : هذا حمارك لا حاجة لي فيه .

قال: خذي مني، أخي هذا الأسد، أفتك منزلا به اللص ملحد، ركاب بحر مزبد(٤) أقبل من رأينا اللص ملحد، وأوري من رأينا لزند يزند(٥). قلت: هذا اللص لا حاجة لي به.

قال: خذي مني، أخي ذا النمر، حصين خضر شجاع ظفر، وهو خير من ذلك إذا شكر، قالت: هذا شكس، لا حاجة لي به.

قال: خذي مني، أخي ذا الحمة يهب المائة البكرة السنمة (٦) والمائة البقرة العممة (١) والمائة الشاة الزنمة أو قال: الزلمة (٢) .

(١) عدا عدواً .

(٢) كناية علي أنه يألف المنزل ولا يسافر وهو متمهل في أمره.

(٣) أي لوما وعدلا .

(٤) رغوّة البحر أو البعير .

(٥) زند الحجارة المجموعة بعضها لبعض، شبيهها بزند الساعد .

(٦) عظيمة السنام.

وإذا أتت عليّ عاد ليلة مظلمة، رثب ريوب الكعب وولاهم شربة، وقال: اكفوني الميمنة أكفيكم المشأمة، وليست فيه لعثمة (٣) إلا أنه ابن أمة. فقالت المرأة: هذا عيب يسير، قد اخترته، قال لها: كما أنت بقي، خذي مني أخي ذا العفاق! صفاق أفاق يعلم الناقة والساق، عليه من الله إثم لا يطاق، قالت: اخترته، قال: كما أنت، فقد بقي: خذي مني، أخي حربنا إذا غزونا، وآخرنا إذا استجبنا وعصمة أبناءنا إذا سنونا وصاحب خطبنا إذا التجينا، ولا يدع فضله علينا، وفاصل خطة أعت علينا.

قالت: قد اخترته، قال: كما أنت، فقد بقيت أنا، قالت: فحدثني عن نفسك، قال: أنا لقمان بن عاد، لعاديه لا يعاد، إذا اضجعت لا أجلنطي، ولا تملأ رئتي جنبي، ولا يما ريني أن أري مطمعي، فحدأة تلمع، وألا أري مطمعي فوقاع يصلع، قالت: لا حاجة لي بك، فأنت سارق، وقد أخذت حربنا، وكان رسول الله ﷺ كلما قال: خذي مني أخي كذا وكذا يقول بعض نساء وفي بعض طرقة أم حبيبة أخذت هذا يا رسول الله فيقول: رويدك، فإني لم أفرغ من حديثهم. وفي رواية: لا تعجلي قد بقي.

(١) التامة الخلفه .

(٢) شئ يقطع من أذن الشاة .

(٣) أي لا توقف في ذكر مناقبه .

• ليلة أخري في بيت النبي ﷺ :

في هذه الليلة تحدث النبي ﷺ مع نساءه كعادته، فتحدث معهم حديث خرافة، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً، فقالت امرأة منهن: كأن الحديث خرافة فقال: " أتدرين ما خرافة " ؟ إن خرافة كان رجلا من عذره (١) سرقه الجن، فمكث دهرًا ثم رجع، فكان يحدثهم بما رأي منهم من الأعاجيب فقال الناس: حديث خرافة. (٢)

وروي ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الهوي، عن أنس ؓ فجعل يقول الكلمة، كما يقول الرجل عند أهله، فقالت: إحداهن كأن هذا حديث خرافة، فقال: " أتدرين ما خرافة "؟ إنه رجل من بني عذره، أصابته الجن، فكان فيهم حيناً فرجع إلي الإنس فجعل يحدث بأحاديث تكون في الجن ولا تكون في الإنس فحدث أن رجلا من الجن كان له أم فأمرته أن يتزوج فقال: إني أخشي أن أدخل عليك من ذلك مشقة أو بعض ما تكرهين فلم تدعه حتى زوجته فتزوج امرأة لها أم، فكان يقسم لامرأته ليلة ولأمه ليلة عند هذه.. وليلة عند هذه، فكان ليلة امرأته وأمه وحدها، فسلم عليها مسلم فردت السلام، فقال: هل من مبيت ؟ قالت: نعم، قال: هل من عشاء ؟

(١) قبيلة من اليمن مشهورة .

(٢) رواه ابن أبي شيبة ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني ، والإمام أحمد ورجاله ثقات (سبل الهدى

قالت: نعم، قال: هل من محدث بجديث الليلة؟، قالت: نعم، أرسل إلي ابني يأتكم، قالوا: فما هذه الخشفة التي نسمعها في دارك؟ قالت: إبل وغنم، قال أحدهما لصاحبه: أعطني متمن ما تمن، وإن كان خيراً، فأصبحت وقد ملئت دارها إبلا وغنماً، فرأت ابنها خبيث النفس قالت: ما شأنك؟ لعل امرأتك أرادت أن تحول إلي منزلي وتحولني إلي منزلها؟ قال: نعم، قالت: فحولها إلي منزلي، وحولني إلي منزلها، فتحولت إلي منزل امرأته، وتحولت امرأته إلي منزل أمه، فلبثا ثم إنهما عادا والفتي عند أمه، فسلمتا فلم ترد السلام، فقالا: هل من مبيت؟ قالت: لا، قال: فعشاء؟ قالت: لا، قالوا: فإنسان يحدثنا الليلة؟ قالت: لا، قالوا: فما هذه الخشفة التي نسمعها في دارك؟ قالت: هذه السباع، فقال أحدهما لصاحبه: أعطني متمن ما تمني، إن كان شراً، فامتألت عليها دارها سباعاً، فأصبحت وقد أكلت. (١).

• في بيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق :

هيا معي لنستمع مع رسول الله ﷺ لحديث عائشة وهي تحدث حديث أم زرع ..
وبماذا أجابها النبي ﷺ .. فعن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً

فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقدْنَ^(١) أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَرْوَاجِهِنَّ شَيْئًا:

قَالَتْ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ
فَيُنْتَقَلُ^(٢).

قَالَتِ الثَّانِيَةُ زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَدْرَهُ إِنْ أَدَّكَرَهُ أَدَّكَرَ عَجْرَهُ
وَبُجْرَهُ^(٣).

(١) قولها: (فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقدْنَ) أي أَلَزَمْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَهْدًا وَعَقْدًا عَلَى الصَّدَقِ مِنْ ضَمَانِهِنَّ عَقْدًا .
(٢) قولها : (زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٍ ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى ، وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ) قَالَ أَبُو
عَبِيدٍ وَسَائِرُ أَهْلِ الْعَرَبِ وَالشَّرَاحُ : الْمُرَادُ بِالغَثِّ الْمَهْزُولُ . وَقَوْلُهَا : (عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٍ) (أَي صَعْبُ الْوُصُولِ
إِلَيْهِ . فَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَلِيلُ الْخَيْرِ مِنْ أَوْجِهِ : مِنْهَا كَوْنُهُ كَلْحَمٍ لَا كَلَحْمِ الضَّانِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ غَثٌّ مَهْزُولٌ
رَدِيءٌ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ صَعْبُ التَّنَاقُلِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ .
هَكَذَا فَسَّرَهُ الْجُمْهُورُ . وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : قَوْلُهَا : (عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ) أَي يَتَرَفَّعُ ، وَيَتَكَبَّرُ ، وَيَسْمُو بِنَفْسِهِ فَوْقَ
مَوْضِعِهَا كَثِيرًا أَي أَنَّهُ يَجْمَعُ إِلَى قَلَّةِ خَيْرِهِ تَكْبَرُهُ وَسُوءَ الْخُلُقِ . قَالُوا : وَقَوْلُهَا : (وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ) (أَي تَقْلُهُ
النَّاسُ إِلَى بُيُوتِهِمْ لِيَأْكُلُوهُ ، بَلْ يَتْرَكُوهُ رَغْبَةً عَنْهُ لِرِدَائِعَتِهِ .
قَالَ الْخَطَّابِيُّ : لَيْسَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ يُحْتَمَلُ سُوءَ عَشْرَتِهِ بِسَبَبِهَا . يُقَالُ : أَنْقَلْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى نَقَلْتُهُ . وَرُوِيَ فِي
غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ (: وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَى) أَي يُسْتَخْرَجُ نَفِيهُ ، وَالنَّفْيُ بِكَسْرِ النُّونِ وَإِسْكَانِ الْقَافِ هُوَ النُّحُ ، يُقَالُ :
نَفَوْتُ الْعِظْمَ ، وَنَفَيْتُهُ ، وَانْتَفَيْتُهُ ، إِذَا اسْتَخْرَجْتَ نَفِيَهُ .

(٣) قولها: (قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَدْرَهُ، إِنْ أَدَّكَرَهُ أَدَّكَرَ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ) فَقَوْلُهَا : (لَا أَبْتُ
خَبْرَهُ) (أَي لَا أَنْشُرُهُ وَأَشِيغُهُ) إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَدْرَهُ (فِيهِ تَأْوِيلَانِ أَحَدُهُمَا لِابْنِ السَّكَيْتِ وَغَيْرِهِ أَنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى
خَبْرِهِ ، فَالْمَعْنَى أَنَّ خَبْرَهُ طَوِيلٌ إِنْ شَرَعْتُ فِي تَفْصِيلِهِ لَا أَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِهِ لِكَثْرَتِهِ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى
الرَّوْجِ ، وَتَكُونُ (لَا) زَائِدَةٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ وَمَعْنَاهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُطَلَّقَنِي فَأَدْرَهُ. وَأَمَّا (وَبُجْرَهُ
عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ) فَالْمُرَادُ بِهِمَا عُيُوبُهُ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: أَرَادَتْ بِهِمَا عُيُوبَهُ الْبَاطِنَةَ، وَأَسْرَارَهُ الْكَامِنَةَ قَالُوا: وَأَصْلُ
الْعَجْرِ أَنْ يَغْتَقِدَ الْعَصَبُ أَوْ الْعُرُوقُ حَتَّى تَرَاهَا نَاتِيَةً مِنَ الْجَسَدِ، وَالْبُجْرُ نَحْوُهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي الْبَطْنِ خَاصَّةً، وَاحِدَتُهَا

قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنُقُ إِنْ أَنْطِقُ أُطَلِّقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أُعَلِّقُ^(١) .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةَ لَا حَرَّ وَلَا قَرٌّ وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَامَةَ^(٢)

قَالَتِ الْخَامِسَةُ زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدُ^(٣)

قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ

وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَيْتَ^(٤) .

بُجْرَةَ، وَمِنْهُ قِيلَ: رَجُلٌ أَبْجَرُ إِذَا كَانَ نَاتِي السَّرَّةِ عَظِيمًا ، وَيُقَالُ أَيْضًا: رَجُلٌ أَبْجَرُ إِذَا كَانَ عَظِيمَ الْبَطْنِ، وَامْرَأَةٌ بَجْرَاءُ وَالْجَمْعُ بَجْرٌ. وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْعُجْرَةُ نَفْحَةٌ فِي الظَّهْرِ، فَإِنْ كَانَتْ فِي السَّرَّةِ فَهِيَ بُجْرَةٌ .

(١) قَوْلُهَا: قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنُقُ إِنْ أَنْطِقُ أُطَلِّقُ، وَإِنْ أَسْكُتُ أُعَلِّقُ، فَالْعَشَنُقُ بَعَيْنٍ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ شَيْنٍ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ نُونٍ مُشَدَّدَةٌ ثُمَّ قَافٍ، وَهُوَ الطَّوِيلُ، وَمَعْنَاهُ لَيْسَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ طَوْلٍ بِلا نَفْعٍ، فَإِنْ ذَكَرْتَ غُيُوبَهُ طَلَّقْتَنِي، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهَا عَلَّقْتَنِي، فَتَرَكَنِي لَا عَرَبَاءَ وَلَا مُرُوجَةً.

(٢) قَوْلُهَا: قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةَ لَا حَرَّ وَلَا قَرٌّ، وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَامَةَ (هَذَا مَذْحٌ بَلِيغٌ، وَمَعْنَاهُ لَيْسَ فِيهِ أَدَى، بَلْ هُوَ رَاحَةٌ وَلِدَادَةٌ عَيْشٍ، كَلِيلُ تِهَامَةَ لَدِيدٌ مُعْتَدِلٌ، لَيْسَ فِيهِ حَرٌّ، وَلَا بَرْدٌ مُفْرِطٌ، وَلَا أَخَافُ لَهُ عَائِلَةٌ لِكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، وَلَا يَسْأَلُنِي وَيَمْلُ صُحْبَتِي .

(٣) قَوْلُهَا: قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدُ (هَذَا أَيْضًا مَذْحٌ بَلِيغٌ، فَقَوْلُهَا: فَهَدَ يَفْتَحُ الْفَاءَ وَكَسَرَ الْهَاءَ تَصِفُهُ إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ بِكَثْرَةِ النَّوْمِ وَالْغَفْلَةِ فِي مَنْزِلِهِ عَنِ تَعَهُدٍ مَا ذَهَبَ مِنْ مَتَاعِهِ وَمَا بَقِيَ، وَشَبَّهَتْهُ بِالْفَهْدِ لِكَثْرَةِ نَوْمِهِ، يُقَالُ: أَنْوَمَ مِنْ فَهْدٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا (: وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدُ) أَي لَا يَسْأَلُ عَمَّا كَانَ عَهْدُهُ فِي الْبَيْتِ مِنْ مَالِهِ وَمَتَاعِهِ، وَإِذَا خَرَجَ أَسَدَ يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَكَسَرَ السَّيْنِ، وَهُوَ وَصْفٌ لَهُ بِالشَّجَاعَةِ، وَمَعْنَاهُ إِذَا صَارَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ خَالَطَ الْحَرْبَ كَانَ كَالْأَسَدِ، يُقَالُ: أَسَدَ وَاسْتَأَسَدَ. قَالَ الْقَاضِي: وَقَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: مَعْنَى فَهَدَ إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ وَثَبَ عَلَيَّ وَثُوبَ الْفَهْدِ فَكَانَتْهَا تُرِيدُ ضَرْبَهَا، وَالْمُبَادَرَةُ بِجَمَاعِهَا، وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ التَّفْسِيرُ الْأَوَّلُ.

(٤) قَوْلُهَا: قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَيْتَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: اللَّفُّ فِي الطَّعَامِ الْإِكْتَارُ مِنْهُ مَعَ التَّخْلِيطِ مِنْ صُنُوفِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ وَالِاشْتِفَافُ فِي الشُّرْبِ أَنْ يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مَا فِي الْإِنَاءِ، مَأْخُودٌ مِنَ الشَّفَافَةِ بِضَمِّ الشَّيْنِ، وَهِيَ مَا بَقِيَ فِي الْإِنَاءِ مِنَ الشُّرَابِ، فَإِذَا شَرِبَهَا قِيلَ: اشْتَفَّهَا، وَتَشَافَهَا وَقَوْلُهَا: (وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَيْتَ) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَحْسِبُهُ كَانَ بِجَسَدِهَا عَيْبٌ أَوْ دَاءٌ كُنْتُ بِهِ، لِأَنَّ الْبَيْتَ الْحُرْنَ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ يَدِهِ فِي ثُوبِهَا لِيَمَسَّ ذَلِكَ فَيَشْتَقُّ عَلَيْهَا، فَوَصَفَتْهُ بِالْمُرُوعَةِ وَكِرَمِ الْخُلُقِ. وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هَذَا دَمْ لَهُ، أَرَادَتْ: وَإِنْ اضْطَجَعَ وَرَقَدَ التَّفَّ فِي ثِيَابِهِ فِي نَاحِيَةٍ، وَلَمْ يُضَاجِعْنِي لِيَعْلَمَ مَا عِنْدِي مِنْ مَحَبَّتِهِ. قَالَ: وَلَا بَيْتٌ هُنَاكَ إِلَّا مَحَبَّتُهَا الدُّنُوُّ مِنْ زَوْجِهَا. وَقَالَ آخَرُونَ: أَرَادَتْ أَنَّهُ لَا يَفْتَقِدُ أُمُورِي وَمَصَالِحِي. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: رَدَّ ابْنُ قُتَيْبَةَ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ تَأْوِيلَهُ لِهَذَا الْحَرْفِ، وَقَالَ: كَيْفَ تَمَدَّحُهُ بِهِذَا، وَقَدْ دَمَّتْهُ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ؟ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَلَا رَدَّ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ، لِأَنَّ النَّسْوَةَ تَعَاقَدْنَ أَلَّا يَكْتُمْنَ شَيْئًا

قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَكٍ أَوْ فَلَكٍ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لِكَ (١).

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْزَبٍ (٢).

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النَّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ (٣).

من أخبار أزواجهن ، فمنهن من كانت أوصاف زوجها كلها حسنة فوصفتها ، ومنهن من كانت أوصاف زوجها قبيحة فذكرتها ، ومنهن من كانت أوصافه فيها حسن وقبيح فذكرتهما . وإلى قول ابن الأعرابي وابن قتيبة ذهب الخطابي وغيره واختاره القاضي عياض . .

(١) قولها: قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء كل داء له شجك أو فلک أو جمع كلاً لك هكذا وقع في هذه الرواية (غياياء) بالغين المعجمة ، أو (عياياء) بالمهملة ، وفي أكثر الروايات بالمعجمة ، وأنكر أبو عبيد وغيره المعجمة ، وقالوا : الصواب المهملة ، وهو الذي لا يلفح ، وقيل : هو العين الذي تعييه مباضعة النساء ، ويعجز عنها . وقال القاضي وغيره : غياياء بالمعجمة صحيح ، وهو مأخوذ من الغيابة ، وهي الظلمة ، وكل ما ظل الشخص ، ومعناه لا يهتدي إلى سلك ، أو أنها وصفته بثقل الروح ، وأنه كالظل المتكاتف المظلم الذي لا إشراق فيه ، أو أنها أرادت أنه غطيت عليه أموره ، أو يكون غياياء من الغي ، وهو الإنهماك في الشر ، أو من الغي الذي هو الخيبة . قال الله تعالى : فسوف يلقون غيا وأما (طباقاء) فمعناه المطبقة عليه أموره حنقا ، وقيل : الذي يعجز عن الكلام ، فتطبق شفاته ، وقيل : هو العي الأحمق القدم . وقولها : (شجك) أي جرحك في الرأس ، فالشجاج جراحات الرأس ، والجراح فيه وفي الجسد . وقولها (فلک) الفل الكسر والضرب . ومعناه أنها معه بين شج رأس ، وضرب وكسر عضو ، أو جمع بينهما . وقيل : المراد بالفل هنا الخسومة وقولها : (كل داء له داء) أي جميع أدواء الناس مجتمع فيهِ .

(٢) قولها: قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرب ، والمس مس أرزب (الزرب نوع من الطيب مغروف . قيل : أرادت طيب ريح جسده ، وقيل : طيب ثيابه في الناس وقيل : لين خلقه وحسن عشرته . والمس مس أرزب صريح في لين الجانب ، وكرم الخلق

(٣) قولها: قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد (هكذا هو في النسخ (النادي) بالياء ، وهو الفصيح في العربية ، لكن المشهور في الرواية حذفها ليتم السجع . قال العلماء : معنى رفيع العماد وصفه بالشرف ، وسناء الذكر . وأصل العماد عماد البيت ، وجمعه عمد ، وهي العيدان التي تتمد بها البيوت ، أي بيته في الحسب رفيع في قومه . وقيل : إن بيته الذي يسكنه رفيع العماد ليراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيفصدوه ، وهكذا بيوت الأجواد .

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ
 قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ^(١).
 قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرَعٍ وَمَا أَبُو زَرَعٍ^(٢)

وقولها: طويل النَّجَادِ بِكسرِ النُّونِ تصفه بطول القامة، والنَّجَادُ حَمَائِلُ السِّنْفِ، فَالطَّوِيلُ يَحْتَاجُ إِلَى طُولِ حَمَائِلِ
 سِنْفِهِ، وَالْعَرَبُ تَمْدُحُ بِذَلِكَ .

قَوْلُهَا: (عَظِيمُ الرَّمَادِ) تصفه بالجودِ وَكَثْرَةِ الضِّيَافَةِ مِنَ اللُّحُومِ وَالْخُبْرِ، فَيَكْثُرُ وَقُدُّهُ، فَيَكْثُرُ رَمَادُهُ. وَقِيلَ لِأَنَّ
 نَارَهُ لَا تَطْفَأُ بِاللَّيْلِ لِتَهْتَدِي بِهَا الضِّيْفَانُ، وَالْأَجْوَادُ يُعْظَمُونَ النَّيْرَانَ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ، وَيُوقِدُونَهَا عَلَى التَّلَالِ
 وَمَشَارِفِ الْأَرْضِ، وَيَرْفَعُونَ الْأَقْبَاسَ عَلَى الْأَيْدِي لِتَهْتَدِي بِهَا الضِّيْفَانُ.

وقولها: (قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِي) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : النَّادِي وَالنَّادِ وَالنَّادِي وَالْمُنْتَدِي مَجْلِسُ الْقَوْمِ، وَصَفْتُهُ بِالْكَرَمِ
 وَالسُّودُدِ، لِأَنَّهُ لَا يُقْرَبُ الْبَيْتَ مِنَ النَّادِي إِلَّا مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ؛ لِأَنَّ الضِّيْفَانَ يَفْضِدُونَ النَّادِي، وَلِأَنَّ أَصْحَابَ النَّادِي
 يَأْخُذُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِمْ مِنْ بَيْتٍ قَرِيبِ النَّادِي، وَاللَّنَامُ يَتَّبَعُونَ مِنَ النَّادِي .

١) قَوْلُهَا: الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ، فَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ،
 إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ، مَعْنَاهُ أَنَّ لَهُ إِبِلًا كَثِيرًا فَهِيَ بَارِكَةٌ بِفَنَائِهِ ، لَا يُوجِّهُهَا تَسْرُحُ إِلَّا قَلِيلًا
 قَدَّرَ الضَّرُورَةَ، وَمُعْظَمُ أَوْقَاتِهَا تَكُونُ بَارِكَةً بِفَنَائِهِ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِ الضِّيْفَانُ كَانَتْ الْإِبِلُ حَاضِرَةً؛ فَيُفْرِهِمْ مِنَ الْبَانِهَا
 وَلُحُومِهَا .

وَالْمِزْهَرُ بِكسرِ المِيمِ الْعُودُ الَّذِي يَضْرِبُ، أَزَادَتْ أَنَّ زَوْجَهَا عَوَدَ إِلَيْهِ إِذَا نَزَلَ بِهِ الضِّيْفَانُ نَحَرَ لَهُمْ مِنْهَا ، وَأَتَاهُمْ
 بِالْعِيدَانِ وَالْمَعَارِفِ وَالشَّرَابِ ، فَإِذَا سَمِعَتْ الْإِبِلُ صَوْتَ الْمِزْهَرِ عَلِمْنَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ الضِّيْفَانُ ،
 وَأَنَّهِنَّ مَنحُورَاتُ هَوَالِكُ . هَذَا تَفْسِيرُ أَبِي عُبَيْدٍ وَالْجُمْهُورِ .

وقيل : مَبَارِكُهَا كَثِيرَةٌ لِكَثْرَةِ مَا يُنْحَرُ مِنْهَا لِلضِّيَافِ، قَالَ هَوْلَاءُ: وَلَوْ كَانَتْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ لَمَاتَتْ هُرَالًا، وَهَذَا
 لَيْسَ بِإِلَازِمٍ؛ فَإِنَّهَا تَسْرُحُ وَقَتًا تَأْخُذُ فِيهِ حَاجَتَهَا، ثُمَّ تَبْرُكُ بِالْفَنَاءِ: وَقِيلَ: كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ أَي مَبَارِكُهَا فِي الْحُقُوقِ
 وَالْعَطَايَا وَالْحَمَالَاتِ وَالضِّيْفَانِ كَثِيرَةٌ، مَرَاعِيهَا قَلِيلَةٌ؛ لِأَنَّهَا تُصْرَفُ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ . قَالَ الْقَاضِي
 عِيَاضُ : وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ النَّيْسَابُورِيُّ: إِنَّمَا هُوَ إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ بِضَمِّ الْمِيمِ، وَهُوَ مُوقِدُ النَّارِ لِلضِّيَافِ .
 قَالَ: وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ الْمِزْهَرَ بِكسرِ المِيمِ الَّذِي هُوَ الْعُودُ إِلَّا مَنْ خَالَطَ الْحَضَرَ. قَالَ الْقَاضِي: وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ؛
 لِأَنَّهُ لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ بِضَمِّ الْمِيمِ، وَلِأَنَّ الْمِزْهَرَ بِكسرِ المِيمِ مَشْهُورٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَلِأَنَّهُ لَا يَسْنَلُمُ لَهُ أَنَّ هَوْلَاءَ
 السَّنَوَةَ مِنْ غَيْرِ الْحَاضِرَةِ، فَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أَنَّهُنَّ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ .

٢) قَوْلُهَا (قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ قَالَ النَّوَوِيُّ : وَفِي بَعْضِ النُّسخِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَفِي بَعْضِهَا الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ
 ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ، وَفِي رِوَايَةِ الرَّبِيرِ وَهِيَ أُمُّ زَرَعٍ بِنْتُ أَكَيْمِلِ بْنِ سَاعِدَةَ .

قَوْلُهَا (زَوْجِي أَبُو زَرَعٍ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ " نَكَحَتْ أَبَا زَرَعٍ . " قَوْلُهَا (فَمَا أَبُو زَرَعٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي
 ذَرٍّ " وَمَا أَبُو زَرَعٍ " وَهُوَ الْمُحْفُوظُ لِلْأَكْثَرِ ، زَادَ الطَّبْرَانِيُّ فِي رِوَايَةٍ " صَاحِبُ نَعْمٍ وَزَرَعٍ .

أَنَاسٍ مِنْ حُلِيِّ أُنْذِيٍّ^(١) وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِيٍّ^(٢).

وَبَجَّحَنِي فَبَجَّحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي^(٣) وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقِّ فَجَعَلَنِي فِي

أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ^(٤). فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ^(١) وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ^(٢)

(١) قَوْلُهَا (أَنَاسٍ مِنْ حُلِيِّ أُنْذِيٍّ) هُوَ هُوَ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ (أُنْذِيٍّ) عَلَى التَّثْنِيَةِ ، وَالْحُلِيُّ بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا لُغْتَانِ مَشْهُورَتَانِ . وَالنُّوسُ بِالنُّونِ وَالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ الْحَرَكَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُتَدَلٍّ ، يُقَالُ مِنْهُ : نَاسٌ يَنُوسُ نَوْسًا ، وَأَنَاسُهُ غَيْرُهُ أَنَاسَةٌ ، وَمَعْنَاهُ حَلَانِي قِرْطَةً وَشُنُوفًا فَهِيَ تَنُوسُ أَي تَتَحَرَّكُ لِكَثْرَتِهَا .

(٢) قَوْلُهَا: (وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِيٍّ) وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ أَسْمَنِي، وَمَلَأَ بَدَنِي شَحْمًا، وَلَمْ تُرِدْ اخْتِصَاصَ الْعَضُدَيْنِ، لَكِنْ إِذَا سَمِنْتَ سَمِنَ غَيْرُهُمَا .

(٣) قَوْلُهَا : (وَبَجَّحَنِي فَبَجَّحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي) هُوَ بِتَشْدِيدِ جِيمِ (بَجَّحَنِي) فَبَجَّحَتْ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا لُغْتَانِ مَشْهُورَتَانِ ، أَفْصَحُهُمَا الْكَسْرُ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْفَتْحُ ضَعِيفَةٌ ، وَمَعْنَاهُ فَرَحَنِي فَفَرِحْتُ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ : وَعَظَمَنِي فَعَظَمْتُ عِنْدَ نَفْسِي . يُقَالُ : فَلَانَ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَي يَتَعَطَّمُ وَيَفْتَخِرُ .

(٤) قَوْلُهَا: (وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقِّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ) أَمَا قَوْلُهَا : (فِي غُنَيْمَةٍ) فَبِضْمِ الْعَيْنِ تَصْغِيرُ الْعَنَمِ ، أَرَادَتْ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ غَنَمٍ لَا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَإِبِلٍ؛ لِأَنَّ الصَّهِيلَ أَصْوَاتُ الْخَيْلِ، وَالْأَطِيطُ أَصْوَاتُ الْإِبِلِ وَحَنِينِهَا، وَالْعَرَبُ لَا تَعْتَدُ بِأَصْحَابِ الْعَنَمِ، وَإِنَّمَا يَعْتَدُونَ بِأَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ . وَأَمَا قَوْلُهَا : (بِشِقِّ) ، فَهُوَ بِكَسْرِ الشَّيْنِ وَفَتْحِهَا، وَالْمَعْرُوفُ فِي رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ وَالْمَشْهُورُ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ كَسْرُهَا ، وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ فَتَحُّهَا . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : هُوَ بِالْفَتْحِ . قَالَ : وَالْمُحَدَّثُونَ يَكْسِرُونَهُ . قَالَ : وَهُوَ مَوْضِعٌ ، وَقَالَ الْهَرَوِيُّ الصَّوَابُ الْفَتْحُ . قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ : هُوَ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ وَابْنُ حَبِيبٍ : يَعْنِي بِشِقِّ جَبَلٍ لِقَلَّتِهِمْ وَقِلَّةِ غَنَمِهِمْ ، وَشِقٌّ الْجَبَلِ نَاحِيَتُهُ . وَقَالَ الْقَبْتِيُّ وَيَقُطُونَهُ : بِشِقِّ ، بِالْكَسْرِ ، أَي بِشَطْفٍ مِنَ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : هَذَا عِنْدِي أَرْجَحُ ، وَاخْتَارَهُ أَيْضًا غَيْرُهُ ، فَحَصَلَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ . وَقَوْلُهَا : (وَدَائِسٍ) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي بَيْدَرِهِ . قَالَ الْهَرَوِيُّ وَغَيْرُهُ : يُقَالُ : دَاسَ الطَّعَامَ دَرَسَهُ ، وَقِيلَ : الدَّائِسُ الْأَيْدِيَّ . قَوْلُهَا : (وَمُنَقٍّ) هُوَ بِضْمِ الْمِيمِ وَفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْقَافِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْسِرُ النُّونَ ، وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ فَتَحُّهَا . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : هُوَ بِفَتْحِهَا قَالَ : وَالْمُحَدَّثُونَ يَكْسِرُونَهَا ، وَلَا أَدْرِي مَا مَعْنَاهُ . قَالَ الْقَاضِي : رِوَايَتُنَا فِيهِ بِالْفَتْحِ ، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ أَبِي عُبَيْدٍ . قَالَ : ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ مِنَ النَّفِيقِ ، وَهُوَ أَصْوَاتُ الْمَوَاشِي . تَصِفُهُ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ ، وَيَكُونُ مُنَقٍّ مِنْ أَنْقٍ إِذَا صَارَ ذَا نَفِيقٍ ، أَوْ دَخَلَ فِي النَّفِيقِ .

وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ^(٣).

أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ؟ ، عُكُومُهَا رَدَاخٌ وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ^(٤). ابْنُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ وَيُسْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ^(٥).

وَالصَّحِيحُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ فَتَحُهَا ، وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنْقَى الطَّعَامُ أَيُّ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ وَقَشُورِهِ ، وَهَذَا أَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْهَرَوِيِّ : هُوَ الَّذِي يُنْقَى بِالْعَرِيَالِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرَعٍ ، وَيُدُوسُهُ وَيُنْقِيهِ .
(١) قَوْلُهَا (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبِحُ ، وَأَزْفُدُ فَأَتَصَبِّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ ، مَعْنَاهُ لَا يُقْبِحُ قَوْلِي فَيُرِدُّ ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي .

(٢) قَوْلُهَا: وَمَعْنَى (أَتَصَبِّحُ) أَنَامُ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ بَعْدَ الصَّبَاحِ أَوَّلُ النَّهَارِ ، أَيُّ أَنَّهَا مَكْفِيَةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ .

(٣) قَوْلُهَا: وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ بِالنُّونِ بَعْدَ الْقَافِ ، هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ بِالنُّونِ . قَالَ الْقَاضِي: لَمْ نَرَوْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ إِلَّا بِالنُّونِ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ بَعْضُهُمْ : فَأَتَقَنَّحُ بِالْمِيمِ . قَالَ: وَهُوَ أَصَحُّ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : هُوَ بِالْمِيمِ . وَبَعْضُ النَّاسِ يَزْوِيهِ بِالنُّونِ ، وَلَا أَدْرِي مَا هَذَا ؟ وَقَالَ آخَرُونَ: النُّونُ وَالْمِيمُ صَحِيحَتَانِ . فَأَيُّهُمَا مَعْنَاهُ أَرَوَى حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ مِنْ شِدَّةِ الرَّيِّ ، وَمِنْهُ قَمَحَ الْبَعِيرُ يَقْمَحُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ الرَّيِّ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَلَا أَرَاهَا قَالَتْ هَذِهِ إِلَّا لِعِزَّةِ الْمَاءِ عِنْدَهُمْ . وَمَنْ قَالَهُ بِالنُّونِ فَمَعْنَاهُ أَقَطَعَ الْمَشْرَبَ ، وَأَتَمَّهُلُ فِيهِ . وَقِيلَ هُوَ الشَّرْبُ بَعْدَ الرَّيِّ .
قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: قَتَحَتِ الْإِبِلُ إِذَا تَكَارَهَتْ ، وَتَقْتَحْتُهُ أَيُّضًا .

(٤) قَوْلُهَا: أُمُّ أَبِي زَرَعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، عُكُومُهَا رَدَاخٌ ، وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ قَوْلُهَا: (عُكُومُهَا رَدَاخٌ) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ : الْعُكُومُ الْأَعْدَالُ وَالْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتَعَةُ ، وَاحِدُهَا عَكْمٌ بِكَسْرِ الْعَيْنِ . وَرَدَاخٌ أَيُّ عِظَامٌ كَبِيرَةٌ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرَاةِ: رَدَاخٌ إِذَا كَانَتْ عَظِيمَةً الْأَكْفَالِ . فَإِنْ قِيلَ: رَدَاخٌ مُفْرَدَةٌ ، فَكَيْفَ وَصَفَ بِهَا الْعُكُومَ ، وَالْجَمْعُ لَا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِالْمُفْرَدِ: قَالَ الْقَاضِي: جَوَابُهُ أَنَّهُ أَرَادَ كُلَّ عَكْمٍ مِنْهَا رَدَاخٌ ، أَوْ يَكُونُ رَدَاخٌ هُنَا مَصْنَدًا كَالذَّهَابِ .

قَوْلُهَا : وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ : بَفَتْحِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِ السَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ أَيُّ وَاسِعٌ ، وَالْفَسِيخُ مِثْلُهُ ، هَكَذَا فَسَّرَهُ الْجُمْهُورُ . قَالَ الْقَاضِي: وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا أَرَادَتْ كَثْرَةَ الْخَيْرِ وَالنُّعْمَةِ .

(٥) قَوْلُهَا: ابْنُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ وَيُسْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ زَادَ فِي رِوَايَةِ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ " وَتَرْوِيهِ فَيْقَةُ الْيَعْرَةِ ، وَيَمِيسُ فِي حَلْقِ النَّتْرَةِ " الْمَسَلُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ ، وَشَطْبَةٌ بِشَيْنٍ مُعْجَمَةٌ ثُمَّ طَاءَ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ مَوْحَدَةٌ ثُمَّ هَاءٌ ، وَهِيَ مَا شَطَبَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ، أَيُّ شَقٌّ ، وَهِيَ السَّعْفَةُ لِأَنَّ الْجَرِيدَةَ تَشَقُّقٌ مِنْهَا فُضْبَانٌ رِقَاقٌ مُرَادُهَا أَنَّهُ مُهْفَفٌ خَفِيفُ اللَّحْمِ كَالشَّطْبَةِ

بِنتِ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ؟ ، طَوَّعُ أَبِيهَا ، وَطَوَّعُ أُمَّهَا ، وَمِلْءُ كِسَائِهَا ،
وَعَيْظُ جَارَتِهَا^(١) جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ؟ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا
وَلَا تُقِفْتُ مِيرَتَنَا تَقْفِيثًا وَلَا تَمَلُّ بَيْنَنَا تَعْشِيثًا^(٢) .

، وَهُوَ مِمَّا يُمَدَّحُ بِهِ الرَّجُلُ ، وَالْمَسَلُّ هُنَا مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْمَسْئُولِ أَيُّ مَا سُلِّ مِنْ قِشْرِهِ ، وَقَالَ ابْنُ
الْأَعْرَابِيِّ وَغَيْرُهُ : أَرَادَتْ بِقَوْلِهَا : (كَمَسَلَّ شَطْبَةً) أَنَّهُ كَالسَّيْفِ سَلَّ مِنْ غَمْدِهِ .

قَوْلُهَا (وَتَشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ) الذَّرَاعُ مُؤَنَّثَةٌ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ وَالْجَفْرَةُ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ
الْمَعْرِزِ ، وَقِيلَ : مِنَ الضَّانِّ ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفَصِلَتْ عَنْ أُمِّهَا ، وَالذَّكْرُ جَفْرٌ ؛ لِأَنَّهُ جَفَرَ
جَنْبَاهُ أَيُّ عَظْمًا . قَالَ الْقَاضِي : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ : الْجَفْرَةُ مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْرِزِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنُ
دُرَيْدٍ : مِنَ أَوْلَادِ الضَّانِّ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدُحُ بِهِ .

(١) قَوْلُهُ (بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ " وَمَا " بِالْوَاوِ بَدَلَ الْفَاءِ . قَوْلُهُ (طَوَّعُ أَبِيهَا وَطَوَّعُ
أُمُّهَا أَيُّ أَنَّهَا بَارَةٌ بِهِمَا ، زَادَ فِي رِوَايَةِ الرَّبِيعِ " وَزَيْنُ أَهْلِهَا وَنِسَائِهَا " أَيُّ يَتَجَمَّلُونَ بِهَا . وَفِي
رِوَايَةِ لِلنَّسَائِيِّ " زَيْنُ أُمِّهَا وَزَيْنُ أَبِيهَا " بَدَلَ " طَوَّعُ " فِي الْمَوْضِعَيْنِ . وَفِي رِوَايَةِ لِلطَّبْرَانِيِّ وَفَرَّغَتْ عَيْنَ لِأُمِّهَا
وَأَبِيهَا ، وَزَيْنُ لِأَهْلِهَا وَزَادَ الْكَادِي فِي رِوَايَتِهِ عَنْ ابْنِ السَّكِّيتِ " وَصَفَّرَ رِدَاؤَهَا " وَزَادَ فِي رِوَايَةِ " قَبَاءُ هَضِيمَةُ
الْحَشَا ، جَانِلَةُ الْوَشَاحِ ، عَكْنَاءُ فَعْمَاءُ ، نَجْلَاءُ دَعَجَاءُ رَجَاءُ قَنَوَاءُ ، مُؤَنَّقَةٌ مُفَنَّقَةٌ .
قَوْلُهَا: طَوَّعُ أَبِيهَا وَطَوَّعُ أُمَّهَا : أَيُّ مُطِيعَةٌ لِهَمَا مُنْقَادَةٌ لِأَمْرِهِمَا .

قَوْلُهَا: وَمِلْءُ كِسَائِهَا كِنَايَةٌ عَنْ كَمَالِ شَخْصِهَا وَنِعْمَةِ جِسْمِهَا ، مُمْتَلِئَةُ الْجِسْمِ سَمِينَةٌ . وَقَالَتْ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى:
(صَفَّرَ رِدَاؤَهَا) بِكَسْرِ الصَّادِ ، وَالصَّفْرُ الْخَالِي ، قَالَ الْهَرَوِيُّ : أَيُّ ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، وَالرِّدَاءُ يَنْتَهِي إِلَى الْبَطْنِ . وَقَالَ
غَيْرُهُ : مَعْنَاهُ أَنَّهَا خَفِيفَةٌ أَعْلَى الْبَدَنِ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الرِّدَاءِ ، مُمْتَلِئَةٌ أَسْفَلَهُ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْكِسَاءِ ، وَيُوَيِّدُ هَذَا أَنَّهُ
جَاءَ فِي رِوَايَةٍ : (وَمِلْءُ إِزَارِهَا) . قَالَ الْقَاضِي : وَالْأَوْلَى أَنَّ الْمُرَادَ امْتِلَاءَ مَنْكِبَيْهَا ، وَقِيَامَ نَهْدِيهَا بِحَيْثُ يَرْفَعَانِ
الرِّدَاءَ عَنْ أَعْلَى جَسَدِهَا ، فَلَا يَمَسُّهُ فَيَصِيرُ خَالِيًا بِخِلَافِ أَسْفَلِهَا

قَوْلُهَا: (وَعَيْظُ جَارَتِهَا) قَالُوا: الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرَّتُهَا ، يَعِظُهَا مَا تَرَى مِنْ حَسَنِهَا وَجَمَالِهَا وَعَفَّتِهَا وَأَدَبِهَا . وَفِي
الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: (وَعَقْرُ جَارَتِهَا) هَكَذَا هُوَ فِي النَّسَخِ (عَقْرُ) بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْقَافِ . قَالَ الْقَاضِي: كَذَا
ضَبَطْنَاهُ عَنْ جَمِيعِ شَيْوَخِنَا . قَالَ: وَضَبَطَهُ الْجَيَانِيُّ (عَبْرُ) بِضَمِّ الْعَيْنِ وَاسْتِئْذَانِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ
الْأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ الْجَيَانِيُّ أَصْلَحَهُ مِنْ كِتَابِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَفَسَّرَهُ الْأَنْبَارِيُّ بِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْإِعْتِبَارِ أَيُّ تَرَى
مِنْ حُسْنِهَا وَعَفَّتِهَا وَعَقْلِهَا مَا تُعْتَبَرُ بِهِ ، وَالثَّانِي مِنَ الْعِبْرَةِ وَهِيَ الْبُكَاءُ أَيُّ تَرَى مِنْ ذَلِكَ مَا يُكْبِهَا لِغَيْظِهَا
وَحَسَدِهَا ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالْقَافِ فَمَعْنَاهُ تَعِظُهَا ، فَتَصِيرُ كَمَقْفُورٍ . وَقِيلَ : تَدَهِّشُهَا مِنْ قَوْلِهَا عَقْرُ إِذَا دَهَشَ ..

(٢) قَوْلُهَا: جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ فِي رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ " خَادِمُ أَبِي زَرَعٍ " وَفِي رِوَايَةِ الرَّبِيعِ " وَوَلِيدُ أَبِي
زَرَعٍ " وَالْوَلِيدُ الْخَادِمُ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى .

قَوْلُهَا : (لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا) هُوَ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ بَيْنَ الْمُثَنَّاتِ وَالْمُتَلَنَّنَةِ أَيُّ لَا تَشْبِعُهُ وَتُظْهِرُهُ ، بَلْ تَكْتُمُ سِرَّنَا
وَحَدِيثَنَا كُلَّهُ ، وَرَوِي فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ (تَبْتُ) وَهُوَ بِالنُّونِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ ، أَيُّ لَا تُظْهِرُهُ .

قَالَتْ خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيْ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ
يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقْتَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا
وَأَخَذَ خَطِيًّا وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِّي أُمَّ
زَرَعٍ وَمِيرِي أَهْلِكَ قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرَعٍ^(١)

قَوْلُهَا : (وَلَا تَنْقُتْ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا) الْمِيرَةُ الطَّعَامُ الْمَجْلُوبُ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدُهُ ، وَلَا تَفَرِّقْهُ ، وَلَا تَذْهَبْ بِهِ ، وَمَعْنَاهُ
وَصَنَفُهَا بِالْأَمَانَةِ .

قَوْلُهَا : (وَلَا تَمَلَأْ بَيْنَنَا تَغْشِيئًا) هُوَ بِالْعَيْنِ بِالْمُهْمَلَةِ ، أَي لَا تَتْرُكِ الْكُنَاسَةَ وَالْقَمَامَةَ فِيهِ مُفَرِّقَةً كَغُشِّ الطَّائِرِ ، بَلْ
هِيَ مُصْلِحَةٌ لِلْبَيْتِ ، مُعْتَبِيَةٌ بِتَنْظِيفِهِ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ لَا تَخُونُنَا فِي طَعَامِنَا فِي زَوَايَا الْبَيْتِ كَأَعْشَاشِ الطَّيْرِ وَرُوي فِي
غَيْرِ مُسْلِمٍ (تَغْشِيئًا) مِنْ الْغِشِّ ، قِيلَ فِي الطَّعَامِ ، وَقِيلَ : مِنَ النَّمِيمَةِ أَي لَا تَتَحَدَّثْ بِنَمِيمَةٍ .

١) قَوْلُهَا : قَالَتْ خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ " خَرَجَ مِنْ عِنْدِي " قَوْلُهَا : وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ : هُوَ جَمْعُ
وَطْبٍ وَهِيَ وَعَاءُ اللَّبَنِ الَّتِي يُمَخَضُ فِيهَا .

قَوْلُهَا : (يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ) قَالَ الْقَاضِي : قَالَ بَعْضُهُمْ : الْمُرَادُ بِالرَّمَّانَتَيْنِ هُنَا نَدْيَاهَا ،
وَمَعْنَاهُ أَنَّ لَهَا نَهْدَيْنِ حَسَنَيْنِ صَغِيرَيْنِ كَالرَّمَّانَتَيْنِ .

قَوْلُهَا : (فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا) سَيِّدًا شَرِيْفًا ، وَقِيلَ : سَخِيًّا ، وَالثَّانِي هُوَ الْفَرَسُ الَّذِي يَسْتَشْرِي
فِي سَبِيْرِهِ أَي يُلْحِقُ وَيَمْضِي بِلَا فُتُورٍ ، وَلَا انْكِسَارٍ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ .

قَوْلُهَا : (وَأَخَذَ خَطِيًّا) وَالْخَطِيُّ الرَّمْحُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْخَطِّ قَرْيَةٍ مِنْ سَيْفِ الْبَحْرِ ؛ أَي سَاحِلِهِ
عِنْدَ عَمَّانَ وَالْبَحْرَيْنِ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ : قِيلَ لَهَا : الْخَطُّ لِأَنَّهَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالسَّاحِلُ يُقَالُ الْخَطُّ ؛ لِأَنَّهُ
فَاصِلٌ بَيْنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ ، وَسُمِّيَتْ الرَّمَاخُ خَطِيَّةً لِأَنَّهَا تُحْمَلُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَتُنْقَفُ فِيهِ .

قَوْلُهَا : (وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا) أَي أَتَى بِهَا إِلَى مُرَاحِهَا بِضَمِّ الْمِيمِ هُوَ مَوْضِعُ مَبِيْتِهَا . وَالتَّعْمُ الْإِبِلُ
وَالْبَقَرُ وَالنَّعْمُ ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا بَعْضُهَا وَهِيَ الْإِبِلُ ، وَادَّعَى الْقَاضِي عِيَاضٌ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ اللُّغَةِ
عَلَى أَنَّ النَّعْمَ مُخْتَصَّةٌ بِالْإِبِلِ ، وَالتَّرْبِيُّ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ ، وَمِنْهُ التَّرْوَةُ فِي الْمَالِ وَهِيَ كَثْرَتُهُ .

قَوْلُهَا : (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا) أَي مِمَّا يَرُوحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالنَّعْمِ وَالعَبِيدِ .
وَقَوْلُهَا (زَوْجًا) أَي اثْنَيْنِ ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا ، وَالتَّزْوُجُ يَقَعُ عَلَى الصَّنْفِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكُنْتُمْ
أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً قَوْلُهَا فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ : (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ ذَابِحَةٍ زَوْجًا) . أَي مِنْ كُلِّ مَا يَجُوزُ ذَبْحُهُ مِنَ
الْإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالنَّعْمِ وَغَيْرِهَا ، وَهِيَ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ .

قَوْلُهُ : مِيرِي أَهْلِكَ : أَي أَعْطَيْتُهُمْ وَأَفْضَلِي عَلَيْهِمْ وَصَلِيَهُمْ .

قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُنْتُ لَكَ كَأَبِي

زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ ^(١)(٢) وهذا ما ذكرناه من مسامرتة وموانسته ﷺ لأزواجه من الترويح لقلوبهن، ومن حسن العشرة لهن.

• ومن حسن العشرة أيضاً :

الحرص علي ملاطفة الزوجات، ولا سيما إن كن حديثات السن ، فعن عائشة رضي

الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : " إني لأعلم إن كنت عني راضية ،

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : هُوَ تَطْيِيبٌ لِنَفْسِهَا ، وَإِبْطَاحٌ لِحُسْنِ عِشْرَتِهِ إِيَّاهَا ، وَمَعْنَاهُ أَنَا لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ ، (وَكَانَ) زَائِدَةً ، أَوْ لِلدَّوَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا أَي كَانَ فِيهَا مَضَى ، وَهُوَ بَاقٍ كَذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) صحيح البخاري _ كتاب النكاح _ باب حسن المعاشرة مع الأهل رقم ٤٨٩٣ ، صحيح مسلم _ كتاب فضائل الصحابة _ باب ذكر حديث أم زرع _ رقم ٢٤٤٨.

(٢) قَالَ الْعُلَمَاءُ : فِي حَدِيثِ أُمِّ زَرَعٍ هَذَا فَوَائِدٌ مِنْهَا : اسْتِخْبَابُ حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ لِلْأَهْلِ ، وَجَوَازُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمِّ الْخَالِيَةِ ، وَأَنَّ الْمُشَبَّهَ بِالشَّيْءِ لَا يَلْزَمُ كَوْنُهُ مِثْلَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْهَا أَنَّ كِنَايَاتِ الطَّلَاقِ لَا يَقَعُ بِهَا طَلَاقٌ إِلَّا بِالنِّيَّةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ : كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ وَمِنْ جُمْلَةِ أَفْعَالِ أَبِي زَرَعٍ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أُمَّ زَرَعٍ كَمَا سَبَقَ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَاقٌ بِتَشْبِيهِهِ لِكَوْنِهِ لَمْ يَتَوَّطَّطِ الطَّلَاقُ . قَالَ الْمَازِرِيُّ : قَالَ بَعْضُهُمْ : وَفِيهِ أَنَّ هَوْلَاءِ النَّسْوَةِ ذَكَرَ بَعْضُهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ بِمَا يَكْرَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ غِيْبَةً لِكَوْنِهِمْ لَا يُعْرَفُونَ بِأَعْيَانِهِمْ أَوْ أَسْمَائِهِمْ ، وَإِنَّمَا الْغِيْبَةُ الْمُحْرَمَةُ أَنْ يَذْكَرَ إِنْسَانًا بِعَيْنِهِ ، أَوْ جَمَاعَةً بِأَعْيَانِهِمْ .

قَالَ الْمَازِرِيُّ : وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْإِعْتِدَارِ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ امْرَأَةً تَغْتَابُ زَوْجَهَا ، وَهُوَ مَجْهُولٌ ، فَأَقْرَعَ عَلَى ذَلِكَ . وَأَمَّا هَذِهِ الْقَضِيَّةُ فَإِنَّمَا حَكَتْهَا عَائِشَةُ عَنْ نِسْوَةِ مَجْهُولَاتٍ غَائِبَاتٍ ، لَكِنْ لَوْ وَصَفَتْ الْيَوْمَ امْرَأَةً زَوْجَهَا بِمَا يَكْرَهُ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ السَّامِعِينَ كَانَ غِيْبَةً مُحْرَمَةً فَإِنْ كَانَ مَجْهُولًا لَا يُعْرَفُ بَعْدَ الْبَحْثِ فَهَذَا لَا حَرَجَ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَيَجْعَلُهُ كَمَنْ قَالَ : فِي الْعَالِمِ مَنْ يَشْرَبُ أَوْ يَسْرِقُ . قَالَ الْمَازِرِيُّ : وَفِيهَا قَالَهُ هَذَا الْقَائِلُ احْتِمَالًا . قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : صَدَقَ الْقَائِلُ الْمَذْكَورُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَ السَّامِعِ وَمَنْ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ غِيْبَةً ، لِأَنَّهُ لَا يَتَأَدَّى إِلَّا بِتَعْيِينِهِ .

قَالَ : وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَا يَكُونُ غِيْبَةً مَا لَمْ يُسَمَّ صَاحِبَهَا بِاسْمِهِ ، أَوْ يُنْبَهَ عَلَيْهِ بِمَا يَفْهَمُ بِهِ عَنْهُ ، وَهَوْلَاءِ النَّسْوَةِ مَجْهُولَاتُ الْأَعْيَانِ وَالْأَزْوَاجِ ، لَمْ يَنْبُتْ لَهُنَّ إِسْلَامٌ فَيُحْكَمُ فِيهِنَّ بِالْغِيْبَةِ لَوْ تَعَيَّنَ ، فَكَيْفَ مَعَ الْجَهَالَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . (صحيح مسلم شرح النووي)

وإذا كنت عليّ غضبي " . فقلت: من أين تعرف ذلك ؟ فقال: "إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عليّ غضبي ؛ قلت: لا ورب إبراهيم " قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ! ما أهرج إلا اسمك. متفق عليه. (١)

وعنها قالت : والله لقد رأيت النبي ﷺ يقوم علي باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه ، لأنظر إلي لعبهم بين أذنه وعاتقه ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علي اللهو . متفق عليه . (٢)

وعنها قالت : كنت ألعب بالبنات (٣) عند النبي ﷺ ، وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول الله ﷺ ، إذا دخل ينقمعن (٤) فيسر بهن (٥) إلي فيلعبن معي " متفق عليه (٦) .

وهذا من حسن خلقه ﷺ كان يراعي سن عائشة رضي الله عنها .. بل كان يلاطفها أثناء السفر ليهون عليها مشقة السفر فعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره ، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدين ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال لي : " تعالي حتى أسابقك " فسابقته

(١) مشكاة المصابيح - باب عشرة النساء وما لكل واحدة من الحقوق ٢/٩٦٨

(٢) المرجع السابق.

(٣) المراد بها اللعب التي تلعب بها الصبية.

(٤) أي يستترن حياءً منه

(٥) أي يرسلهن سرّياً ويردهن إليّ.

(٦) المرجع السابق.

فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت ، خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : " تقدموا " فتقدموا ، ثم قال لي " تعالي حتى أسابقك " فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : " هذه بتلك " . رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني .

وأوضح ﷺ أن ملاعبة المرأة ليست من جنس اللهو واللعب فقال ﷺ : " كل شئ ليس من ذكر الله ، لهو ولعب ، إلا أن يكون أربعة : " ملاعبة الرجل امرأته ... ألخ الحديث " . رواه النسائي وصححه الألباني .

اللهم طوع لنا نفوسنا لقبول هذه الحياة.. وأذهب عن الغلظة والشدة وسوء الخلق .

• فض النزاع :

الود بين الزوجات إن كن أكثر من واحدة ، هو أساس السعادة والمحبة في البيت فكان ﷺ لدوام هذا الود إذا أخطأت إحداهن عاقبها ، ولو كانت من أحب الناس إليه مثل عائشة رضي الله عنها ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفة كذا وكذا - تعني قصيرة - فماذا فعل رسول الله ﷺ الذي كان يحب عائشة رضي الله عنها ، فقد سأله عمرو بن العاص ﷺ عن أحب الناس إليه فقال ﷺ : " عائشة " (١)

(١) فعن عمر بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ بعثه علي جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : " عائشة " ، قلت : من الرجال ؟ قال : " أبوها " ، قلت : ثم من ؟ قال : " عمر

فهل يحابيها وهي تخطأ في حق صفية رضي الله عنها، رغم أن صفية غير موجودة، ولكن ما حدث من عائشة فهو غيبة محرمة لم يقبلها النبي ﷺ فقال: " لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته " رواه أحمد والترمذي وأبو داود (١).

وكيف لو بلغ صفية قول النبي ﷺ لعائشة؟.. إنه الحب لرسول الله ﷺ فعن أنس ؓ قال بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: " ما يبكيك "؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لأبنة نبي (٢)، وإن عمك لنبي (٣)، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ " ثم قال: " اتق الله يا حفصة! " رواه الترمذي والنسائي (٤).

انظر كيف عالج رسول الله ﷺ هذا الموقف بحكمة عجيبة أرضي صفية ورفع شأنها ' ولم يتعرض لحفصة بسوء غير أن قال لها: " اتق الله ' ولاسيما وهي بنت حبيبه عمر بن الخطاب .

" ، فعد رجالا ، فسكت مخافة أن تجعلني في آخرهم . متفق عليه . (مشكاة المصابيح . كتاب المناقب . باب مناقب أبي بكر رضا الله عنها ٣ / ١٦٩٨) .

(١) مشكاة المصابيح . كتاب الآداب . باب حفظ اللسان والغيبة ولشتم ٣ / ١٣٦٢ .

(٢) يريد هارون عليه السلام .

(٣) يريد موسى عليه السلام .

(٤) مشكاة المصابيح . كتاب المناقب . مناقب أزواج النبي ﷺ ٣ / ١٧٤٥ .

وعن صفية رضي الله عنها قالت: حج رسول الله ﷺ بنسائه ، فلما كان ببعض الطريق بك جملتي ، وكنت من أحسرهن ظهراً فبكيت، فجاء النبي ﷺ فجعل يمسح دموعي بردائه ويبيده ، وتقول: وجعلت لا أزداد إلا بكاءً وهو ﷺ ينهاني فلما أكثرت زبرني وانتهرني ، وأمر الناس بالنزول، فنزلوا ، ولم يكن يريد أن ينزل ، قالت: فنزلوا ، وكان يومي ، فلما نزلوا ضرب خباء النبي ﷺ ودخل فيه، قالت: فلم أدر علام أهجم من رسول الله ﷺ. وخشيت أن يكون في نفسه شيء مني ، فانطلقت إلي عائشة ، فقلت لها : تعلمين أنني لم أكن أبيع يومي من رسول الله ﷺ بشيء أبداً ، وإني وقد وهبت يومي لك علي أن ترضي رسول الله ﷺ عني ، قالت: نعم ، فأخذت عائشة لها قد دثرته بزعفران فرشته بالماء ليذكي ريحه ، ثم لبست ثيابها ، ثم انطلقت إلي رسول الله ﷺ فرفعت طرف الخباء ، فقال لها : " مالك يا عائشة ، إن هذا ليس يومك ؟ " قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . فقال مع أهله فلما كان عند الرواح ، قال لزينب بنت جحش: " يا زينب أفقري أختك صفية جملاً ، وكانت من أكثرهن ظهراً، فقالت : أنا أفقر يهوديتك، فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها ، فهجرها فلم يكلمها ، حتى قدم مكة، وأيام مني في سفره حتى رجع إلي المدينة والمحرم وصفر فلم يأتها ولم يقسم لها ، ويئست منه فلم كان شهر ربيع الأول دخل عليها فرأت ظله، فقالت: إن هذا لظل رجل، وما يدخل علي النبي ﷺ فمن هذا ؟ دخل النبي ﷺ، فلما رآته قالت: يا رسول الله ! ما أدري ما أصنع حين دخلت علي ؟ قالت: وكان لها جارية ، فكانت تخبؤها من النبي ﷺ فقالت: فلانة لك، فمشي النبي ﷺ إلي سرير زينب وكان قد رفع فوضعه بيده ثم أصاب أهله ورضي عنهم (١).

(١) سُبُلُ الْهَدْيِ وَالرِّشَادِ فِي سِيْرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ ١٢ / ١٣٢ .

حياة البساطة

في بيت سيد الخلق محمد ﷺ

طعام النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود فأرسل إلى بعض نساءه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء فقال النبي ﷺ: من يضيف ضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته: هل عندك شيء ؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني ، قال : فعلليهم بشيء، وإذا أردوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل فقعد وأكل الضيف وياتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: " لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " متفق عليه (١).

وكان رسول الله ﷺ بيت الليالي المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير " . رواه الترمذى عن ابن عباس (٢) .

(١) رياض الصالحين - باب الإيثار والمواساة ص ٢٥٨ .

(٢) المرجع السابق - باب فضل الجوع وخشونة العيش والافتقار على القليل من المأكل والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات ص ٢٣٩ .

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض " متفق عليه (١)

وما كان ينخل الشعير وما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله تعالى وكان يمر الشهرين وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار وكانوا يعيشون عن الأسودان وقال أبو هريرة: خرج رسول الله ﷺ من الدينا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري .

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير . متفق عليه . (٢)

وكان ﷺ يدعو ويقول: " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا " متفق عليه (٣)

وكان ﷺ يقول : " قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه " رواه مسلم . (٤).

وفى يوم من الأيام اجتمع نساء النبي ﷺ ، يسألانه النفقة فنزلت آية التخيير:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

(١) المرجع السابق ص ٢٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٣٩ .

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِّحَنَّ سَرَاْحًا جَمِيْلًا وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴿١﴾.

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُخَيِّرَ نِسَاءَهُ
بَيْنَ أَنْ يُفَارِقَهُنَّ فَيَذْهَبْنَ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَحْصُلُ لَهُنَّ عِنْدَهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا وَبَيْنَ
الصَّبْرِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ وَلَهُنَّ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الثَّوَابِ الْجَزِيْلِ
فَاخْتَرْنَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ اللّٰهُ وَرَسُوْلَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَجَمَعَ اللّٰهُ تَعَالَى لَهُنَّ
بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَسَعَادَةِ الْآخِرَةِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ
بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ
أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهَا حِينَ أَمَرَهُ اللّٰهُ تَعَالَى أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ
قَالَتْ فَبَدَأَ بِي رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ " إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا فَلَا
عَلَيْكَ أَنْ لَا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوِيكَ " وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوِيَّ
لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ قَالَتْ ثُمَّ قَالَ " إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَالَ " يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ " " إِلَى تَمَامِ الْآيَتَيْنِ فَقُلْتُ لَهُ فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوِيَّ
فَأَنِّي أُرِيدُ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ .

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا لَمَّا نَزَلَ الْخِيَارُ
قَالَ لِي رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ لَكَ أَمْرًا فَلَا
تَقْضِي فِيهِ شَيْئًا حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوِيكَ " قَالَتْ قُلْتُ وَمَا هُوَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ؟

قَالَتْ فَرَدَّهُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَتْ فَرَدَّهُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَتْ فَقَرَأَ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَتْ فَقُلْتُ بَلْ نَخْتَارُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ قَالَ فَفَرِحَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ بَدَأَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ " يَا عَائِشَةُ إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَا تَفْتَاتِي فِيهِ بِشَيْءٍ حَتَّى تَعْرِضِيهِ عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَأُمُّ رُومَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا " قَالَتْ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَلَا أُوأْمِرُ فِي ذَلِكَ أَبَوِيَّ أَبَا بَكْرٍ وَأُمُّ رُومَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَفْرَأَ الْحَجْرَ فَقَالَ " إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَذَا وَكَذَا " فَقُلْنَا وَنَحْنُ نَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ كُلَّهُنَّ .

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ إِلَى نِسَائِهِ أَمَرَ أَنْ يُخَيَّرَهُنَّ فَدَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ " سَأَذْكُرُ لَكَ أَمْرًا فَلَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَاكَ " فَقُلْتُ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ "

إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرُكُمْ" وَتَلَا عَلَيْهَا آيَةَ التَّخْيِيرِ إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ قَالَتْ : فَقُلْتُ وَمَا الَّذِي تَقُولُ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبِي ؟ فَإِنِّي اخْتَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَسَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَعَرَضَ عَلَى نِسَائِهِ فَتَتَابَعْنَ كُلُّهُنَّ فَاخْتَرْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُتِرْتُ آيَةَ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبِيكَ " قَالَتْ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبِيَّ لَمْ يَكُنَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ قَالَتْ ثُمَّ قَالَ " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ " الْآيَتَيْنِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ أَفِي هَذَا اسْتَأْمِرَ أَبِيَّ ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ . ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ كُلُّهُنَّ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ . وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ جَمِيعًا عَنْ قُتَيْبَةَ عَنِ اللَّيْثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا مِثْلَهُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : خَيْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَرَنَاهُ فَلَمْ يُعِدْهَا عَلَيْنَا شَيْئًا أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ بِبَابِهِ جُلُوسٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَأْذَنَ فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ ثُمَّ أَدْنَى

لَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَدَخَلَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٍ وَحَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاكِتٌ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَكْلَمَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلَّهُ يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ ابْنَةَ زَيْدٍ - امْرَأَةَ عُمَرَ - سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ أَنْفًا فَوَجَّاتٍ عُنُقَهَا فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ " هُنَّ حَوْلِي يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ " فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَائِشَةَ لِيَضْرِبَهَا وَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى حَفْصَةَ كِلَاهُمَا يَقُولَانِ تَسْأَلَانِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ فَنَهَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ قَالَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِيَارَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ " إِنِّي أَذْكَرُ لَكَ أَمْرًا مَا أَحَبُّ أَنْ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبِيكَ " قَالَتْ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ فَتَلَا عَلَيْهَا " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ " الْآيَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَفِيكَ أَسْتَأْمِرُ أَبِييَّ ؟ بَلْ أَخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَذْكَرَ لِامْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ مَا اخْتَرْتَ فَقَالَ " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنَّفًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا لَا تَسْأَلَنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتَ إِلَّا أَخْبَرْتَهَا " اِنْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ دُونَ الْبُخَارِيِّ فَرَوَاهُ هُوَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ زَكَرِيَّا بْنِ إِسْحَاقَ الْمَكِّيِّ بِهِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْبَرِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ نِسَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَمْ يُخَيَّرْهُنَّ الطَّلَاقَ وَهَذَا مُنْقَطِعٌ .

قَالَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ نِسْوَةٍ خَمْسٌ مِنْ فُرَيْشٍ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَأُمَّ حَبِيبَةَ وَسَوْدَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ " وَكَانَتْ تَحْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ

النَّضِيرِيَّةَ وَمَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةِ وَجُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ أَجْمَعِينَ.

وحدث هذا الأمر بعد غزوة الأحزاب مباشرة ، ومعلوم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال عندما هُزم الأحزاب، ورجعوا لديارهم خائبين، قال بلسان الخبير العسكري المحنك (اليوم نغزوهم ولا يغزونا) مما يعني بداية مرحلة جديدة للدعوة ، فجاءت هذه القصة إرهاباً وتوطئة ومقدمة لهذه المرحلة، ونسائه - رضي الله عنهن - يفقهن ذلك جيداً، وقد مررن بمرحلة كبيرة من ضيق العيش ويتحملن ويصبرن، ويعلمن بأن زمن الغنائم والرخاء قد أقبل .

وهذه الحادثة تذكرنا بشدة الحال التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض وخزائنها والخلود فيها فلم يأبه بذلك كله ولم يلتفت له ، إيثاراً لما عند الله عز وجل ، وعزوفاً عن الدنيا وزينتها ، ولعلنا نقتبس وصفاً لحال النبي صلى الله عليه وسلم في وسط تلك الأحداث ، لنعرف ما كان عليه من شظف العيش و خشونته ، إذ جاء في صحيح مسلم (١٤٧٩) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لما اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نسائه و قبيل نزول آيات التخيير - قال " فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه إزاره و ليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة ، وإذا أفيق معلق - الجلد الذي لم يتم دباغه - قال : فابتدرت عيناى ، قال " ما يبكيك يا ابن الخطاب ! " قلت : يا نبي الله ، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار ، وأنت رسول الله و

صفوته وهذه خزانتك ! فقال: يا بن الخطاب ، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة وتكون لهم الدنيا ؟ قلت : بلى الخ " فترك النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا وهي مقبلة إليه بكنوزها وزينتها ومناصبها والخلد فيها طوعاً واختياراً ، وهنا سر العظمة والعلو ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وكذا خير نساؤه -رضي الله عنهن - فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فاجتمع لهن خير الدنيا والآخرة.

وقد تضمنت الآيات منهجاً متكاملًا في حل المشكلات الزوجية ، يجدر الوقوف عندها، والإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في معالجتها ، إذ أنها تساعد في حل مشاكل تثن من وطأتها وكثرتها البيوت، فرغم الوقت الطويل لأحداث هذه المشكلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، لم يسجل على النبي صلى الله عليه وسلم أي لفظ فيه توبيخ أو تعنيف أو إدلال عليهن بالرغم من مقامه الرفيع ، وفضله السابغ صلوات الله و سلامه عليه ، وقد جاء في الحديث، السابق ذكره " فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالساً حوله نساؤه واجما ساكتا.. فلم يكن هناك إهانة أو توبيخ كما يفعله الكثير منا عند حدوث مشاكل في بيوتنا ولعل في هذا تذكيراً بهذا الخلق النبوي الرفيع .

وفي غمرة المشكلة ، ، لم يتخلى النبي صلى الله عليه وسلم عن أخلاقه ، فلما قام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضرب عائشة ، وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة ، كلاهما يقولان: تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده، فنهاما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفع عنهما الضرب.

وهذا على خلاف ما فعله عمر مع زوجته حين سألته النفقة، قال عمر - رضي الله عنه - : يا رسول الله! لو رأيت ابنة زيد . امرأة عمر . سألتني النفقة أنفأ فوجأت عنقها، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ولكن النبي

صلى الله عليه و سلم لا يتعامل بهذا الأسلوب حتى في مثل هذه الظروف ، وبعض بيوت المسلمين اليوم لا تعرف الرفق في وقت السلم والرخاء، فكيف في وقت الأزمات و المشاكل .

وتميزت هذه المشكلة بخروج نطاقها من بيت النبوة ، وشيوعها وانتشارها في مجتمع الصحابة ، فاجتمعوا في المسجد ، وبينهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد طلق نسائه ، لتتعلم الأمة كيف تواجه المشاكل .

وهذه الحادثة تدل على كمال شففته ورحمته ورغبته الصادقة في تقديم الخير للناس ، دخوله على كل واحد من أزواجه التسع ، وقراءة آيات التخيير عليها ، ثم التوجيه بعدم العجلة والاستشارة ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام على كثرة مشاغله، وكثرة أزواجه ، وموجدته وغضبه عليهن ، كان بإمكانه أن يجمعهن بمكان واحد ، ثم يقرأ عليهن ما نزل ، ثم يطالبهن بالرد فورا ، وهو الذي أخبره ربه: ﴿

عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مِّنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ

قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿١﴾. ولكنها أخلاق

النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه، ودخوله على كل واحدة من أزواجه، تعطينا صورة واضحة على مدى أخلاقه وشففته ورحمته التي لا تفارقه في الغضب والرضى

لباس النبي ﷺ

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة فقالت : نسجتها لأكسوكها ، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره ، فقال فلان : أكسنيها ما أحسنا فقال " نعم " فجلس النبي ﷺ في المجلس ، ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها إليه فقال له القوم : ما أحسنت إليها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلا فقال إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني قال سهل فكانت كفته . رواه البخاري (١)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أخرجت لنا عائشة (رضي الله عنها) كساء وإزار غليظا ما قالت قبض رسول الله ﷺ في هذين " متفق عليه (٢).

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَرَدْتَ اللَّحُوقَ بِي فَلْيُكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكِبِ وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرْقِعِيهِ " قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ وَصَالِحُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الَّذِي رَوَى عَنْهُ ابْنُ أَبِي ذُنَيْبٍ ثِقَةٌ (٣).

(١) رياض الصالحين باب الإيثار والمواساة ص ٢٥٩.

(٢) المرجع السابق - باب فضل الجوع وخشونة العيش ص ٢٣٥ .

(٣) سنن الترمذي « كتاب اللباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في ترفيع الثوب -

السكن

عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: " قَالَ لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ بَيْتٌ يَسْكُنُهُ وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفٌ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ " (١).

بيوت

أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

أخبرنا محمد بن عمر قال سألت مالك بن أبي الرجال أين كان منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام في وجه المنبر هذا أبعد وأنه لم يجتمع هؤلاء النسوة اللاتي ذكر عوف بن الحارث جميعاً عند النبي صلى الله عليه وسلم كانت زينب بنت خزيمة قبل أم سلمة فتوفيت زينب فأدخل أم سلمة في بيتها وفي تلك السنة تزوج زينب بنت جحش وكانت سودة قبل عائشة في النكاح وقبل هؤلاء جميعاً وقدم بها وبعايشة المدينة بعد قدوم رسول الله المدينة وأم حبيبة بنت أبي

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهُوَ حَدِيثُ الْحُرَيْثِ بْنِ السَّائِبِ وَسَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنَ سَلْمِ الْبَلْخِيِّ يَقُولُ قَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمَيْلٍ جِلْفُ الْخُبْزِ يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ إِدَامٌ ((سنن الترمذي « كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم _ باب منه _ رقم ٢٣٤١)) .

سفيان قدمت في السفينتين في سنة سبع وصفية كانت في تلك السنة وكانت حفصة قبل أم سلمة وقبل زينب بنت خزيمة.

أخبرنا محمد بن عمر حدثني بن أبي سبرة عن محمد بن عبد الله العبسي عن محمد بن عمرو بن عطاء العامري قال كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها أزواجه وإن سودة بنت زمعة أوصت ببيتها لعائشة وإن أولياء صفية بنت حيي باعوا بيتها من معاوية بن أبي سفيان بمائة وثمانين ألف درهم قال بن أبي سبرة فأخبرني بعض أهل الشام أن معاوية أرسل إلى عائشة أنت أحق بالشفعة وبعث إليها بالشراء واشترى من عائشة منزلها يقولون بمائة وثمانين ألف درهم ويقال بمائتي ألف درهم وشرط لها سكنها حياتها وحمل إلى عائشة المال فما رامت من مجلسها حتى قسمته ويقال اشتراه بن الزبير من عائشة بعث إليها يقال خمسة أجمال بخت تحمل المال فشرط لها سكنها حياتها فما برحت حتى قسمت ذلك فقيل لها لو خبات لنا منه درهما فقالت عائشة لو ذكرتموني لفعلت.

قال محمد بن عمر عن بن أبي سبرة عن أبي بكر بن عمرو إن سالما أخبره أن حفصة تركت بيتها فورثه بن عمر فلم يأخذ له ثمنًا وهدم وأدخل في المسجد.

وعن عكرمة أن ورثة أم سلمة باعوا بيتها بمال قال محمد بن عمر يقال إنه لم يبع.

وعن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل في منزل أبي أيوب بعث أبا رافع وزيد بن حارثة وأعطاهما بغيرين وخمس مائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهر وأمرهما أن يقدموا عليه بعياله وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الدثلي بغيرين أو ثلاثة وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل إليه أهله فخرج زيد

بن حارثة بأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وأم كلثوم ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأراد الخروج بزینب بنت رسول الله فحبسها زوجها أبو العاص بن الربیع وكانت رقية قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك إلى المدينة وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن وأسامة بن زيد وكانوا مع عيال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وخرج عبد الله بن أبي بكر بأم رومان وأختيه عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر حتى قدموا جميعا المدينة ورسول الله يبني المسجد وأبياتا حول المسجد فأنزلهم في بيت لحارثة بن النعمان وبنى رسول الله لعائشة بيتها الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل بابا في المسجد وجاء باب عائشة يخرج منه إلى الصلاة وكان إذا اعتكف يخرج رأسه من المسجد إلى عتبة عائشة فتغسل رأسه وهي حائض.

وعن أبي جعفر قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وتزوج علي فاطمة وأراد أن يبني بها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلب منزلا فطلب علي منزلا فأصابه مستأخرا عن النبي قليلا فبنى بها فيه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليها قال إني أريد أن أحولك إلي فقالت لرسول الله فكلم حارثة بن النعمان أن يتحول عني تريد أن يتحول لي عن منزله فقال رسول الله قد تحول حارثة عنا حتى قد استحييت فبلغ حارثة فتحول وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك وهذه منازلتي وهي أسقب بيوت بني النجار بك وإنما أنا ومالي لله ولرسوله والله يا رسول الله للذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع فقال رسول الله صدقت بارك الله عليك فحولها إلى بيت حارثة.

قال محمد بن عمر وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله وكلما أحدث رسول الله أهلا تحول له حارثة بن النعمان عن منزله حتى صارت منازلها كلها لرسول الله وأزواجه.

وعبد الله بن يزيد الهذلي قال رأيت منازل أزواج رسول الله حين هدمها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك وزادها في المسجد كانت بيوتا باللبن ولها حجر من جريد مطرور بالطين عدت تسعة أبيات بحجرها وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي إلى منزل أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن فسألت بن ابنها فقال لما غزا رسول الله دومة الجندل بنت أم سلمة حجرتها بلبن فلما قدم رسول الله فنظر إلى اللبن دخل عليها أول نسائه فقال ما هذا البناء فقالت أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس فقال يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان.

وعن عامر قال لم يوص رسول الله إلا بمساكن أزواجه وأرض تركها صدقة.

وعن معاذ بن محمد الأنصاري قال سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن أبي أنس يقول وهو فيما القبر والمنبر أدركت حجر أزواج رسول الله من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبي في مسجد رسول الله فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم قال عطاء فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ والله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشيء من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله في حياته فيكون ذلك مما يزهده الناس في التكاثر والتفاخر فيها يعني الدنيا قال معاذ فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمران بن أبي أنس كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة

لا حجر لها على أبوابها مسح الشعر ذرعت الستر فوجدته ثلاث أذرع في ذراع والعظم أو أدنى من العظم فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتني في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد وإنهم ليبيكون حتى أخضل لحاهم الدمع وقال يومئذ أبو أمامة ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويروا ما رضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده

أخبرنا محمد بن عمر عن عبد الله بن عامر الأسلمي قال قال لي أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو في مصلاه فيما بين الأسطوان التي تلي حرف القبر التي تلي لأخرى إلى طريق باب رسول الله هذا بيت زينب بنت جحش وكان رسول الله يصلي فيه وهذا الصف كله إلى باب أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس اليوم إلى رحبة المسجد فهذه بيوته رأيتها بالجريد قد طرت بالطين عليها مسح الشعر. (١).

وظلت بيوت أزواج النبي ﷺ حتى سنة ثمان وثمانين، فأمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد.

فقدم الرسول إلى عمر بن عبد العزيز في ربيع الأول، وقيل: في صفر - سنة ثمان وثمانين بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له: قدم القبلة إن قدرت وأنت تقدر لمكان

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد _ باب ذكر منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم _ الجزء الثامن.

أخوالك فإنهم لا يخالفونك فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموه قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع لهم الأثمان فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان.
فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده فأجاب القوم إلى الثمن فأعطاهم إياه وبدأ بهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة بعث بهم الوليد.

وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ﷺ وأن يعينه فيه فبعث إليه بمائة ألف مثقال من ذهب وبمائة عامل وبأربعين حملاً من الفسيفساء فبعث به إلى عمر وتجرد عمر لذلك واستعمل صالح بن كيسان على ذلك.

فكان مسكن النبي ﷺ بسيطاً جداً، فكانت غرفة عائشة ضيقة فكان النبي ﷺ يغمز رجل عائشة وهي نائمة حتى تقبض رجلها حتى يستطيع السجود أثناء قيامه بالليل، فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: " كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِجْلَايَ فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي فَقَبَضْتُ رِجْلِي، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا، قَالَتْ: وَالْبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحٌ " متفق عليه (١).



(١) صحيح البخاري _ كتاب الصلاة _ باب الصلاة على الفراش وصلى أنس على فراشه وقال أنس كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فيسجد أحدنا على ثوبه _ رقم ٣٧٥ ، وصحيح مسلم _ كتاب الصلاة _ باب الاعتراض بين يدي المصلي _ رقم ٥١٢ .

فراش النبي ﷺ

عن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمَ حَشْوُهُ لَيْفٍ. متفق عليه. (١).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سئلت عائشة (رضي الله عنها) ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: من آدم حشوه ليف، وسئلت حفصة، ما كان فراش رسول الله ﷺ عليه وسلم في بيتك؟ قالت: " مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة، قلت: لو ثنيته أربع ثنيات، لكان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح، قال: " ما فرشتم لي الليلة " قالت: قلنا: هو فراشك، إلا أنا ثنيناها بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك، قال: " ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة ". رواه الترمذي في الشمائل .



(١) صحيح البخاري _ كتاب الرقاق _ باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا _ رقم ٦٩٠١، صحيح مسلم _ كتاب اللباس والزينة _ باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما وجواز لبس الثوب الشعر وما فيه أعلام _ رقم ٢٠٨٢ .

الزينة

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

مع جانبها من جوانب الحياة في بيت النبوة، فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتحات من ورق وهي خواتم كبيرة من فضة يتختم بها النساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما هذا يا عائشة؟» فقلت: صنعته أتزين لك يا رسول الله، قال: «أتؤدين زكاتهن؟» قلت: لا، أو ما شاء الله، قال: «هو حسبك من النار». رواه أبو داود (٢).

هذا الحديث فيه بيان لجانب من الحياة البيتية للنبي ﷺ، وفيه بيان ما كانت عليه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من الحرص على مراعاة جانب النبي ﷺ، وألا يجد منها إلا كل جميل وطيب، ولذا كانت تحرص على أن تتزين لرسول الله ﷺ بما جرت عادة النساء أن يتزين به في ذلك الوقت.

(١) سورة الأعراف - الآيتان ٣٢، ٣٣.

(٢) في "سننه" (رقم ١٥٦٥).

وفي هذا تنبيه للنساء ذات الأزواج أن يحرصن على التزين لأزواجهن بما أباح الله، فعن امرأة ابن أبي الصقر، أنها كانت عند عائشة فسألتها امرأة؟ فقالت: يا أم المؤمنين، إن في وجهي شعرات أفأنتفهن أتزين بذلك لزوجي؟ فقالت عائشة: أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه، وإذا أقسم عليك فأبريه، ولا تأذني في بيته لمن يكره (١).

وكان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك، مع طيب فمه ، فعن شريح بن هاني قال: قلت لعائشة: بأي شيء كان النبي ﷺ يبدأ إذا دخل بيته؟ قالت: " بالسواك ". رواه مسلم (٢).

والبعض يترك فمه بالأيام ما يرضه فيه السواك، فيورثه ذلك رائحة كريهة وبخراً، مما يجعل جلساءه ينفرون منه ويستقذرونه.

والأمر كذلك بالنسبة لنظافة الشخص وهيئته ينبغي ملاحظته واختيار الحسن الجميل بلا تكلف، ومن عناية الإسلام بذلك أمره بالوضوء للصلوات، والغسل كل جمعة، ولبس الجديد أو التنظيف لها.

ومن أدلة العناية بذلك ما رواه الإمام أحمد في "المسند" (٣) عن النبي ﷺ أنه قال: «حب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في

(١) مصنف عبد الرزاق _ كتاب الصلاة . باب إذا كانت المرأة أقرأ من الرجال _ رقم ٥١٠٤

(٢) صحيح مسلم _ رقم ٢٥٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣ / ١٢٨ ، والحاكم (١٦٠/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (رقم ٣١٢٤).

الصلاة». رواه الترمذي (١).

وهكذا ما جاء بيانه في سنن الفطرة من الاستحداد (٢)، وبتف الإبط، وحف الشارب، والاستنجاء، وغسل البراجم (٣)، وقص الأظافر وتقليمها.

وفيما يتأكد على الزوجين في هذا الباب ما ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير

قول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٤) إذ قال:

أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله" اهـ.

(١) قال ابن القيم (رحمه الله): صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (حبيب إلي من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة) هذا لفظ الحديث، ومن رواه: (حبيب إلي من دنياكم ثلاث) فقد وهم، ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث، والصلاة ليست من أمور الدنيا التي تضاف إليها. وكان النساء والطيب أحب شيء إليه، وكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وكان قد أعطي قوة ثلاثين في الجماع وغيره، وأباح الله له من ذلك ما لم يبحه لأحد من أمته. وكان يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة، وأما المحبة فكان يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك، فقيل: هو الحب والجماع، ولا تجب التسوية في ذلك؛ لأنه مما لا يملك. وهل كان القسم واجبا عليه أو كان له معاشرتهن من غير قسم؟ على قولين للفقهاء. فهو أكثر الأمة نساء، قال ابن عباس: تزوجوا فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء (زاد المعاد في هدي خير العباد) «فصل في هديه في النكاح ومعاشرته صلى الله عليه».

(٢) وهو استعمال ما يزيل الشعر النابت حول القبل، وذلك بالنسبة لكل من الرجل والمرأة، لأن ترك الشعر يسبب تجمع الأوساخ والرائحة الكريهة.

(٣) البراجم: هي العقد الكائنة حول مفاصل الأصابع، ويدخل في حكمها عموم المغابن، ومسافط الأعضاء، مما قد لا ينتبه لغسله فتجتمع حوله الأوساخ.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

وقال ابن عباس . رضي الله عنهما .: إني لأحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

ذكر بعض أصحاب كتب الأدب والسلوك أن امرأةً ذهبت إلى عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . تطلب طلاقها من زوجها، ولما استدعاه للوقوف على سبب طلب زوجته، ولعله أن يصلح بينهما، وجده أشعث أغبر غير مُغتِنٍ بهندامه ولا هيئته، فعرف عمر ما كرهت زوجته منه.

فأشار إلى رجل أن اذهب به وقصّ شعره وقلم أظافره وألبسه حسناً وائتني به، فذهب وفعل ذلك، ثم أتاه، فأوماً إليه أن خذ بيدها، فأخذ بيدها ولم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، سبحان الله، أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟!!

فلما عرفته ذهبت معه، فقال عمر: هكذا فاصنعوا معهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن، كما تحبون أن يتزين لكم.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: (رحمه الله) منبهاً النساء إلى ما ينبغي عليهن في هذا الباب: إن المرأة تحظى عند الرجل بعد تمام خُلُقها وكمال حُسْنها بأن تكن مواظبة على النظافة والزينة، عالمة بما يزيد في حسنها من أنواع الحلي واختلاف الملابس ووجوه التزين، وما يوافق الزوج ويستحسنه في ذلك كله، ولتحذر كل الحذر من أن يقع بصره على شيء يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة، أو تغير مستنكر(١).

وقال بعض أصحاب كتب الأدب والسلوك: ينبغي على المرأة أن تتجمل لبعْلِها، وتزيد في تحسين نفسها ما أمكن ذلك، بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ، وتزيين

(١) كتاب النساء لابن الجوزي.

الألوان في البدن وما أحاط به.

فربما يتبين لزوجها التقصير منها فتطمح نفسه إلى غيرها.

وتضاعف الزوجة من تزيينها في الأوقات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن ونهى الأرقاء والأطفال من الدخول عليهن فيها: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظُّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ ﴾ ^(١) وعلي المرأة العاقلة ألا تبالغ في الزينة، فإن البساطة والاعتدال فيهما الجمال كل الجمال وفي الإغراء والإغواء الضرر كل الضرر.

أما في البدن: بتسويك الأسنان وتخليها، وتنقية العين وتكحيلها، وتقليم الأظافر وتسويتها.

وأما الثياب: فبدوام نظافته.

فالمراة الفطنة الحسنة التَّبَعْلُ تراعي جميع ذلك وما سواه مما تتم به سعادة الزوج ومتعته، وتحرص على ألا يسبق طرف بعلها أو أنفه لحالة يذمها أو يكرهها من أجلها، وخاصة في الأوقات التي يعتاد قربه منها.

والناظر في أحوال كثير من النساء اليوم يجد غالب تزيينهن إنما هو عندما يردن الخروج لمناسبة أو زيارة ونحو ذلك.

(١) سورة النور - الآيات ٥٨.

حتى إن زوجاً خاطب زوجته أن تتجمل له وتهتم به مثلما تفعل إذا أرادت الخروج، فردت عليه مندهشة: أنت غريب عني أيها الرجل؟.

وفي هذا الباب يقع من كثير من المسلمات مخالفات شرعية متنوعة، وأنبه لبعض منها هنا باختصار، فمن ذلك:

أن بعضهن يلبسن الثياب الضيقة أو غير الساترة، ويخرجن بها إلى الأسواق، وربما زدن على ذلك كشف وجوههن أو بعض الوجه مع ظهور زينتها من كحل وغيره من طيب وعطر ونحو ذلك، وهذا نوع من التبرج المحرم.

والعجب من بعض الأزواج وأولياء الأمور أنهم لا ينكرون ذلك، مع مخالفته للستر والحشمة.

وهكذا لبس بعض النساء الملابس غير ساترة عند النساء بحيث تكشف ما جرت عادة النساء المسلمات بستره، متحججات بأنهن عند نساء مثلهن، والذي دلت عليه النصوص الشرعية أن الضيق والعارى لا يجوز لبسه حتى عند النساء، لما فيه من الفتنة، ولكونه مخالفاً لما جاءت به الشريعة من الحشمة والعفاف والحياء.

وهكذا تشبه بعض المسلمات في لبسهن بالكافرات، مما ينبغي على المسلمة أن تحذره، فقد جاء فيه الوعيد الشديد، ومن ذلك قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» (١).

وهذا التشبه يورث الميل إلى الكافرات ويفضي إلى محبتهم، وهذا يعرضها لأن

(١) أخرجه أحمد (٥٠/٢)، وأبو داود (رقم ٤٠٣١)، وجود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (رقم ٦١٤٩).

تحشر معهن يوم القيامة، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب» (١).

وهذا عام في الرجال والنساء، وعام في محبة أهل الإيمان والصلاح وأهل الكفر والفسوق.

ومما يحزن أن تلك المظاهر تقع من بعض أخواتنا المسلمات العفيفات، اللاتي يؤمل منهن الصلاح والإصلاح، ونأمل لنا ولهن السعادة في الدنيا والآخرة.

والزينة غير محرمة لقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ

لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٢)، ما دامت لا تخالف الشرع، فقد قال رسول الله

ﷺ: « إن الله جميل يحب الجمال » (٣)، وخير ما يتجمل به المرء هو تقوى الله

وطاعته، والأخلاق الكريمة، والمعاملة الحسنة.



(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٦٨٨)، ومسلم (رقم ٢٦٣٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٩١)، والترمذي (رقم ١٩٩٩)، والحاكم (٢٦/١)، وأبو يعلى في مسنده (رقم

١٠٥٥).

القناعة

أختي المسلمة: صفتان يبغضهما الله عز وجل (التبذير، الإسراف):

قال تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢).

وقال رسول ﷺ: " ارض بما قسمه الله تكن أغني الناس " (٣)

وقال رسول ﷺ: " ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس " متفق عليه . (٤)

فالغني ليس بوجود الأشياء، إنما الغني بمعرفة الله (ﷻ) خالق الأشياء، ولذا كان أحد الصالحين يناجي ربه فيقول:

يا لله ما ذا وجد من فقدك ؟ وما ذا فقد من وجدك ؟

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف _ الآية ٣١ .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد والترمذي ، عن أبي هريرة (مشكاة المصابيح كتاب الرقاق ٣ / ١٤٣٠ .

(٤) المرجع السابق .

من وجدك فقد وجد كل شيء .. ومن فقدك فقد فقد كل شيء.

وأنت أغلي من كل شيء.

فلا تنظري إلي أهل الترف والبذخ ، فلو فتشتي عن قلوبهم، لوجدتها قد ملأت بالنكد والتعاسة والشقاء، وصدق ربنا حيث قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ ^(١) وقال: " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط،

تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش..... الخ) رواه البخاري ^(٢)

فقد كتب الله التعاسة لمن يبحث عنها في غير موضعها.. فالذي همه جمع المال، عبد للدينار والدرهم، والتي همه في لبس الثياب، وتبحث كل يوم عن الموضة، فهي عبد للقטיפه والخميصة (الثياب الفاخرة من الخز أو الصوف)

فاحذري أن تُصيبك دعوة النبي ﷺ: " تعس وانتكس، وإذا شيك فلا

انتقش ... " فكيف يفلح من دعا عليه النبي ﷺ ؟ .

وتأسي بسيدة النساء فاطمة بنت رسول الله ، فقد ذهب علي رضي الله عنه هو وفاطمة يسألان رسول الله ﷺ خادماً فقال رضي الله عنه للنبي ﷺ: « إِنَّ فَاطِمَةَ جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثْرَتْ فِي يَدِهَا وَحَمَلَتْ بِالْقُرْبَةِ حَتَّى أَثْرَتْ فِي نَحْرِهَا فَلَمَّا أَنْ جَاءَكَ الْخَدَمُ أَمَرْتَهَا أَنْ تَأْتِيكَ فَتَسْتَخْدِمَكَ خَادِمًا يَقِيهَا حَرًّا مَا هِيَ فِيهِ، قَالَ: " اتَّقِ اللَّهَ يَا

(١) سورة طه _ الآية ١٢٤ .

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب الرقاق ٣/٢٨١٤

فَاطِمَةُ وَأَدِّي فَرِيضَةَ رَبِّكَ وَاعْمَلِي عَمَلِ أَهْلِكَ فَإِذَا أَخَذْتَ
مَضْجَعَكَ فَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبِّرِي أَرْبَعًا
وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ مِائَةٌ فَهِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ خَادِمٍ قَالَتْ رَضِيْتُ عَنْ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ « (١).

وَعَنْ سُؤَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ ، قَالَ: أَصَابَتْ عَلِيًّا ﷺ خِصَاصَةً ، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عنها لَوْ أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلْتِهِ ، فَأَتَتْهُ ، قَالَ: وَكَانَ عِنْدَ أُمِّ أَيْمَنَ فَأَتَتْهُ فَدَقَّتِ الْبَابَ ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ أَيْمَنَ : " إِنَّ هَذَا لَدَقُّ فَاطِمَةَ ، وَلَقَدْ أَتْتَنَا فِي سَاعَةٍ مَا
عَوَّدْتَنَا أَنْ تَأْتِينَا فِي مِثْلِهَا ، قُومِي فَافْتَحِي لَهَا الْبَابَ " ، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ،
فَقَالَ: " يَا فَاطِمَةُ ، لَقَدْ أَتَيْتَنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدْتَنَا أَنْ تَأْتِينَا فِي مِثْلِهَا ؟
" ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ طَعَمَهَا التَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالْحَمْدُ فَمَا
طَعَمْنَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا اقْتَبَسَ فِي آلِ
مُحَمَّدٍ نَارٌ مِنْذُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَلَقَدْ أَتَيْتَنَا أَعْنَزًا فَإِنْ شِئْتَ أَمَرْنَا لَكَ
بِخُمْسَةِ أَعْنَزٍ ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهِنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَنْفًا " ، فَقَالَتْ : عَلَّمْنِي كَلِمَاتٍ عَلَّمَكُنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ: " قُولِي :

(١) رواه البخاري ٣١١٣ ، مسلم ٢٧٢٧ ، أبو داود ٢٩٨٨ ، الترمذي ٣٤٠٨ ..

يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ ، وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ، وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ" ، ففعلتُ، قَالَ: فَأَنْصَرَفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ ؓ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَتْ: ذَهَبْتُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَتَيْتُكَ بِالْآخِرَةِ، فَقَالَ: خَيْرٌ أَيَّامِكَ خَيْرٌ أَيَّامِكَ (١).

كيف رضيت وقتعت وامتلكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد التقيت مع أحد الأخوة ينتمي إلي عائلة بعض ملوك الدول العربية، فأخذ يحدثني عن حاله قبل معرفة عمل الدعوة والتبليغ والالتحاق به، فقال: كنت متزوجاً من إحدى الفتيات الجميلات، وكانت تركب بجواري في السيارة، فكان الذي يرانا يظن أنني من أسعد الناس، وفي الحقيقة كنت من أشقى الناس، بسبب هذه الزوجة، فمن اعتز بشيء غير الله أدله الله به، وما عرفت السعادة ولا شعر قلبي بها، إلا بعد أن عرفت هذا العمل العظيم، عمل الدعوة والتبليغ والخروج في سبيل الله، حيث مجالس الإيمان والكلام عن الله .

أختي المسلمة: عليك بالقناعة والزهادة في الدنيا. وإياك والطمع، فإن الطمع حروفه فارغة جوفاء، وإليك هذه القصة العجيبة، التي حكاها لنا الإمام الذهبي في تاريخه، قصة الرجل والكنز: خرج الولي بن عبد الملك من الباب الأصغر، فوجد رجلاً عند الحائط بجوار المئذنة الشرقية، يأكل وحده، فجاء فوقف علي رأسه، فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً، فقال: ما شأنك انفردت من الناس؟ قال: أحببت الوحدة، قال: فما حملك علي أكل التراب؟ أما في بيت المسلمون ما يجري عليك؟ قال: بلي ولكن

(١) كنز العمال _ باب أدعية في سعة الرزق _ رقم ٥٠٢٢ .

رأيت القنوع، قال: فرد إلي مجلسه، ثم أحضره، فقال: إن لك لخبراً ! لتخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عيناك، قال: نعم، كنت جمالا، ومعني ثلاثة أجمال موقرة أحمالا، حتى أتيت مرج الصفر، فقعدت في خربة أبول، فرأيت البول ينصب في شق، فاتبعته حتى كشفته، فإذا غطاء علي حفير ، فنزلت ، فإذا مال صبيب، فأنخت رواحي وأفرغت أعكامي، ثم أوقرتها ذهباً، وغطيت الموضع، فلما سرت غير يسير، وجدت معي مخللة فيها طعام، فقلت أنا أنزل الكسوة ، ففرغتها، ورجعت لأملأها، فخفي عني الموضع، وأتعبني الطلب، فرجعت إلي الجمال فلم أجدها، ولم أجد الطعام، فأليت علي نفسي ألا آكل شيئاً إلا الخبز والتراب، فقال الوليد: كم تك من العيال؟ فذكر عيالا، قالوا يُجري عليك من بيت المال، ولا تستعمل في شيء فإن هذا هوا لمحروم، قال ابن جابر: فذكر لنا أن الإبل جاءت إلي بيت مال المسلمين فأناخت عنده فأخذها أمين الوليد، فطرحها في بيت المال رواته ثقات قاله الكتاني (١)

فهذا نتيجة الطمع والحرص علي الدنيا.



النبى ﷺ

يُمزح مع النساء

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لامرأة عجوز: إنه لا تدخل الجنة عجوز " فقالت: وما لهن؟ وكانت تقرأ القرآن، فقال لها: "أما تقرئين القرآن؟ **إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً** ﴿^(١) رواه رزين ^(٢)

وأخرجه الترمذي في الشمائل: عن الحسن رضي الله عنه قال "أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: "يا أم فلان أن الجنة لا تدخلها عجوز" قال: فقلت تبكى، فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: **﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾** ﴿^(٣).

(١) سورة الواقعة - الآيتان ٣٥ - ٣٦ .

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب الآداب - باب المزاح - ١٣٧٠/٣ .

(٣) والحديث أخرجه الترمذي في "الشمائل"، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي، وغيرهم، وحسنه الألباني في "غاية المرام"، وانظر كتاب حياة الصحابة - كتاب أخلاق النبي ﷺ وأصحابه - مزاح رسول الله ﷺ ٥٦٢/٢ .

وعن زيد بن أسلم مرسلًا : أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي ﷺ فقالت إن زوجي يدعوك قال: " من هو ؟ أهو الذي بعينه بياض " أي يا رسول الله ؟ والله ما بعينه بياض فقال رسول الله ﷺ : " بل إن بعينه بياضا " ، فقالت : لا والله : فقال النبي ﷺ : " وهل من أحد إلا بعينه بياض " (١).

وجاءته امرأة أخرى ، فقالت: يا رسول الله ! احملني على بعير، فقال رسول الله ﷺ احملوها على ابن بعير، فقالت: ما أصنع ما يحملني يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : " هل يجيء بعير إلا ابن بعير " وكان مزح معها (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة، فصنعت حريرة - دقيق يطبخ بلبن أو دسم - وجئت به، فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلن أو لأطخن به وجهك، فقالت، ما أنا بذائقته، فأخذت بيدي من الصحيفة شيئاً منه فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ﷺ ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحيفة شيئاً فمسحت به وجهي ! وجعل رسول الله ﷺ يضحك (٣).

وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً، فلما بايعه النبي ﷺ قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء - ذلك قبل أن تنزل آية

(١) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء، وانظر حياة الصحابة - كتاب أخلاق النبي ﷺ وأصحابه - مزاح رسول الله ﷺ ٥٦٢/٢ .

(٢) حياة الصحابة - كتاب أخلاق النبي ﷺ وأصحابه - مزاح رسول الله ﷺ ٥٦٢/٢ .

(٣) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد كما في تخريج الإحياء.

الحجاب - أفلا أنزل لك عن إحداهن فتتزوجها !، وعائشة جالسة تسمع، فقالت: أهي أحسن أم أنت ؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه؛ لأنه كان دميماً^(١).

فكان رسول الله ﷺ رغم همومه الكثيرة من أجل الدين حيث المسؤولية العظيمة التي وضعت علي عاتقه ، يمزح ولا يقول إلا حقاً، ويحيا مع أصحابه حياة فطرية عادية، يشاركونهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم، كما يشاركونهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم.

يقول زيد بن ثابت، وقد طلب إليه أن يحدثهم عن حال رسول الله ﷺ فقال: كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي فكتبته له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وقال: فكل هذا أحدثكم عن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - ؟(٢).

وقد وصفه أصحابه بأنه كان من أفكاه الناس في(٣).

وكما رأينا في تسابقه مع عائشة رضي الله عنها، حيث سبقته مرة، وبعد مدة تسابقاً فسبقها، فقال لها: هذه بتلك!

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلأ أو معضلاً وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن كما في مجمع الزوائد " ١٧/٩ .

(٣) كنز العمال برقم ١٨٤٠٠ .

وقد روي أنه وطأ ظهره لسبطيه الحسن والحسين، في طفولتهما ليركبا، ويستمتعا دون تزمت ولا تحرج، وقد دخل عليه أحد الصحابة ورأى هذا المشهد فقال: نعم المركب ركبتما، فقال عليه الصلاة والسلام: "ونعم الفارسان هما!"

وقال أنس: كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول: "يا أبا عمير ما فعل النغير"؟ (متفق عليه). لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور.

وكان ﷺ يحب إشاعة السرور والبهجة في حياة الناس، وخصوصاً في المناسبات مثل الأعياد والأعراس.

ولما أنكر الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- غناء الجاريتين يوم العيد في بيته وانتهرهما، قال له "دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد" ! وفي بعض الروايات: "حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة".

وقد أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده عليه الصلاة والسلام في أحد أيام الأعياد، وكان يحرضهم ويقول: "دونكم يا بني أرفدة" !

واستنكر يوماً أن تزف فتاة إلي زوجها زفافاً صامتاً، لم يصحبه لهو ولا غناء، وقال: "هلا كان معها لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو، أو الغزل". وفي بعض الروايات: "هلا بعثتم معها من تغني وتقول: أتيناكم أتيناكم .. فحيونا نحبيكم".

روي عنه الزبير بن بكار عدداً من النوادر الطريفة في كتاب "الفكاهة والمرح" نذكر بعضاً منها:

قال: وكان نعيمان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها، ثم جاء بها إلي النبي ﷺ، فيقول: ها أهديته لك، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها، أحضره إلي النبي ﷺ، قائلاً: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول: "أو لم تحده لي"؟ فيقول: إنه والله لم يكن عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله، فيضحك، ويأمر لصاحبه بثمنه.

وأخرج الزبير قصة أخرى من طريق ربيعة بن عثمان قال: دخل أعرابي علي النبي ﷺ، وأناخ ناقته بفنائمه، فقال بعض الصحابة للنعيمان الأنصاري: لو عقرتها فأكلناها، فإننا قد قرمنا إلي اللحم؟ ففعل، فخرج الأعرابي وصاح: واعقراه يا محمد! فخرج النبي ﷺ فقال: "من فعل هذا"؟ فقالوا: النعيمان، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباغة بنت الزبير بن عبد المطلب، واستخفي تحت سرب لها فوقه جريد، فأشار رجل إلي النبي -صلي الله عليه وسلم- حيث هو فأخرجه فقال له: "ما حملك علي ما صنعت"؟ قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك قال: فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك، ثم غرمها للأعرابي.

قال الزبير أيضاً: حدثني عمي عن جدي قال: كان مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام في المسجد يريد أن يبول، فصاح به، الناس، المسجد، فأخذه نعيمان بن عمرو بيده، وتنحي به، ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد فقال له: بل هنا قال: فصاح به الناس فقال: ويحكم، فمن أتى بي إلي هذا الموضع؟! قالوا نعيمان، قال: أما إن الله علي إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت! فبلغ ذلك نعيمان، فمكث ما شاء الله، ثم أتاه يوماً، وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد، فقال لمخرمة: هل لك في نعيمان قال: نعم

قال: فأخذه بيده حتي أوقفه علي عثمان، وكان إذا صلي لا يلتفت فقال: دونك هذا نعيمان، فجمع يده بعصاه، فضرب عثمان فشجه، فصاحوا به: ضربت أمير المؤمنين، فذكر بقية القصة. (ذكر هذه القصص الحافظ ابن حجر في ترجمة نعيمان من كتابه: "الإصابة" نقلًا عن كتاب الزبير بن بكار في كتابه: "الفكاهة والمرح").

ومن الطرائف أن صحابيًا آخر من أهل الفكاهة والمزاح، استطاع أن يوقع نعيمان في بعض ما أوقع فيه غيره من "المقالب" كما في قصة سويبط بن حرملة معه، وكان ممن شهد بدرًا أيضًا، قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" في ترجمة سويبط رضي الله عنه: وكان مزاحًا يفرط في الدعابة، وله قصة ظريفة مع نعيمان وأبي بكر الصديق ﷺ نذكرها لما فيها من الظرف، وحسن الخلق.

وروي عن أم سلمة قالت: خرج أبو بكر الصديق ﷺ في تجارة إلي بصري قبل موت النبي ﷺ بعام، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكانا قد شهدا بدرًا، وكان نعيمان علي الزاد، فقال له سويبط، وكان رجلاً مزاحًا، أطمعني فقال: لا حتي يجيء أبو بكر رضي الله عنه، فقال: أما والله لأغيطانك، فمروا بقوم فقال لهم سويبط: تشترون مني عبدًا؟ قالوا: نعم، قال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم: إني حر، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه، فلا تفسدوا علي عبي، قالوا: بل نشتره منك، قال: فاشتروه منه بعشر قلائص، قال: فجاءوا فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلًا، فقال نعيمان: إن هذا يستهزئ بكم، وإني حر، لست بعبد، قالوا: قد أخبرنا خبرك فانطلقوا به، فجاء أبو بكر ﷺ، فأخبره سويبط فأتبعهم، فرد عليهم القلائص، وأخذه، فلما قدموا علي النبي ﷺ أخبروه قال: فضحك النبي ﷺ وأصحابه منها حولاً أخرجهم ابن أبي شيبه وابن ماجه. وأخرجه أبو داود الطيالسي والرويانى فجعل المازح هو النعيمان والمبتاع سويبطاً، كما في ترجمته في "الإصابة".

حق الزوجة

عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : " استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء " متفق عليه (١) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك علي طريقة ، فإن استمتعت بها فاستمتع بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها " . رواه مسلم (٢)

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلق رضي منها خلق آخر " . رواه مسلم (٣) .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ : " خيركم ، خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، وإذا مات صاحبكم فدعوه " رواه الترمذي والدارمي وإسناده صحيح (٤)

عن عبد الله بن زمعة : قال : قال رسول الله ﷺ " لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم " .

(١) مشكاة المصابيح - كتاب النكاح - باب عشرة النساء ٩٦٧/٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق ٩٧١/٢ .

وفى رواية: " يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها في آخر يومه " ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة ، فقال : لم يضحك أحدكم مما يفعل "متفق عليه (١).

وعن لقيط بن صبرة قال ، قلت : يا رسول الله ! إن لي امرأة في لسانها شئ - يعنى البذاء - قال : " طلقها " قلت إن لي منها ولدا ، ولها صحبة . قال : " فمرها " يقول : "عظها فإن يك فيها خير فستقبل ولا تضربن ظعினتك ضربك أميتك" رواه أبو داود (٢).

وعن إياس بن عبد الله ، قال ، قال رسول الله ﷺ : " لا تضربوا إماء الله " فجاء عمر إلى رسول ﷺ فقال " ذئرن النساء على أزواجهن ، فرخص في ضربهن ، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن ، فقال رسول الله ﷺ " لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ، ليس أولئك بخياركم " رواه أبو داود وابن ماجه والدارمي (٣) .

وعن حكيم بن معاوية القشيري ، عن أبيه، قال قلت يا رسول الله ! ما هو حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال " أن تطعمها إذا طعمت ، وان تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت " رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه (٤)



(١) المرجع السابق ٩٦٨/٢ .

(٢) المرجع السابق ٩٧٣/٢ .

(٣) المرجع السابق ٩٧٣/٢ .

(٤) المرجع السابق ٩٧٢/٢ .

حق الزوج

عن حصين بن محصن إن عمة له أتت النبي ﷺ فقال لها : " أذات زوج أنت ؟ " قالت : نعم : قال : " فأين أنت منه ؟ قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه ، قال : " فكيف أنت له فإنه جنتك و نارك " رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد. (١)

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لمرت المرأة إن تسجد لزوجها " رواه الترمذى (٢).
وعن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة " . رواه الترمذى (٣)

وعن طلق بن على ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت علي التنور " . رواه الترمذى. (٤).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قيل : يا رسول الله ﷺ ! أي النساء خير؟ قال " التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره " رواه النسائي والبيهقي في شعب الإيمان (٥).

(١) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح - باب ثواب من زوج لله تعالى ص ٤٩٤ .

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب النكاح - باب عشره النساء ٩٧٢/٢ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

عن ثوبان: قال: قال رسول الله ﷺ: " أيما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة " رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود وابن ماجة والدارمي^(١).

قال بعض العلماء: يجب على المرأة دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها أمامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه أو خروجه، وترك الخيانة له عند غيبته في فراشه، وطيب الرائحة له، وتعاهد الفم بالسواك والطيب، ودوام الزينة بحضرتة، وتركها في غيبته وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيرا^(٢) وكذلك لا تخرج من بيته إلا بإذنه.



(١) المرجع السابق - باب الخلع والطلاق ٩٧٨/٢ .
 (٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي .

الخدمة

• خدمة المرأة لزوجها وأولادها :

بعض الأحاديث تدل على وجوب طاعة الزوجة لزوجها ، وخدمتها إياه ، في حدود استطاعها، قال ﷺ : " لا يحل لامرأة أن تصوم (وفي رواية: لا تصم المرأة) وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه " متفق عليه .

قال الإمام النووي (رحمه الله): وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام وحقه فيه واجب علي الفور، فلا يفوته تطوع، ولا بواجب على التراخي (أ.هـ) فإذا وجب على المرأة أن تطيع زوجها في قضاء شهوته منها، فالأولى يجب عليها إطاعته فيما هو أهم من ذلك مما فيه تربية أولادها وصلاح أسرتها ونحو ذلك من الحقوق والواجبات .

وقال الحافظ في الفتح: وفي الحديث أن حق الزوج أكد على المرأة من التطوع بالخير، لأن حقه واجب، والقيام بالواجب مقدم على قيام بالتطوع. ومما لا شك فيه أن أول ما يدخل في ذلك الخدمة في منزله ، وما يتعلق به من تربية أولاده ونحو ذلك.

وقد اختلف العلماء في ذلك، فقال شيخ الإسلام ابن تيميه (رحمه الله): تنازع العلماء: هل عليها أن تخدمه في مثل فراش المنزل، ومناولة الطعام والشراب، والخبز، والطحن، والطعام لمماليكه، وبهائمه، مثل علف دابته ونحو ذلك ؟.

فمنهم من قال: لا تجب الخدمة، وهذا القول ضعيف كضعف من قال لا تجب عليه العشرة والوطء ! فإن هذا ليس معاشرة له بالمعروف، بل الصاحب في السفر الذي هو نظير الإنسان وصاحبه في المسكن، إن لم يعاونه على مصلحته، لم يكن قد عاشره بالمعروف.

وقيل وهو الصواب: وجوب الخدمة فإن الزوج سيدها في كتاب الله ﷻ ، وهي عانية عنده بسنه رسول الله (١) وعلى العاني والعبد الخدمة ، ولأن ذلك هو المعروف.

ثم من هؤلاء من قال: تجب الخدمة اليسيرة.

ومنهم من قال: تجب الخدمة بالمعروف، وهذا هو الصواب.

فعلينا أن نخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة (٢).

وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى، أنه يجب على المرأة خدمة البيت، وهو قول مالك وأصبغ كما في الفتح ٩ / ١٨٤ ، وأبي بكر بن أبي شيبة وكذا الجوزجاني من

(١) يشير إلى قول رسول الله ﷺ " ... ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن ، فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا لكم على نسائكم حقا ، ونسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم : فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون، ألا وحقهن عليكم: أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن " . رواه الترمذي وابن ماجة عن عمرو بن الأحوص .. وقول ﷺ : بفاحشة مبينة أي ظاهرة ... وفي النهاية : كل خصلة قبيحة ، فهي فاحشة من الأقوال والأفعال .. ولذا قال السندی في حاشيته : والمراد التشوز وشكاسة الخلق ، وإيذاء الزوج وأهله باللسان واليد ، لا الزنا ، إذ لا يناسب قوله : " ضربا غير مبرح " ، وهذا الملائم لقوله تعالى ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن ﴾ الآية

(٢) الفتاوى ٢٣٤/٢ .

الحنابلة كما في الاختيارات الفقهية ص ١٤٥ - وطائفة من السلف والخلف كما في الزاد ٤/٤٦ ، ولم نجد لمن قال بعدم الوجوب دليلاً صالحاً .

وقول بعضهم: إن عقدة النكاح، إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام مردود بأن الاستمتاع حاصل للمرأة أيضاً بزواجها، فهما مستويان في هذه الناحية، وجعل المهر في مقابلة البضع ومن العلوم أن الله تبارك وتعالى قد أوجب على الزوج شيئاً آخر لزوجته، ألا وهو نفقتها وكسوتها ومسكنها، فالعدل يقتضي أن يجب عليها مقابل ذلك شئ آخر أيضاً لزواجها وما هو إلا خدمتها إياه ، ولا سيما أنه القوام عليها بنص القرآن الكريم .. وإذا لم تقم هي بالخدمة فسيضطر هو إلي خدمتها في بيتها، وهذا يجعلها هي القوامة عليه ، وهو عكس للآية القرآنية كما لا يخفى ، فثبت أنه لا بد لها من خدمته ، وهذا هو المراد .

وأيضاً فإن العقود المطلقة إنما تنزل على العرف، والعرف خدمة المرأة لزواجها ، وقيامها بمصالح بيتها .

وأيضاً فإن قيام الرجل بالخدمة يؤدي إلي أمرين متباينين تمام التباين، أن ينشغل الرجل بالخدمة عن السعي وراء الرزق وغير ذلك من المصالح، وتبقى المرأة في بيتها عطلاً عن أي عمل يجب عليها القيام به، ولا يخفى فساد هذا في الشريعة التي سوت بين الزوجين في الحقوق، بل وفضلت الرجل عليها درجة ولهذا لم يُزل الرسول ﷺ شكوى ابنته فاطمة عليها السلام حينما: أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي وبلغها أن جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة ؓ ، فلما جاء، أخبرته عائشة رضي الله عنها، قال عليّ ؓ فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: على مكانكما، فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: " ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتما

مضاجعكما، أو أويتما إلي فراشكما ، فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا
ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم " ، قال علي:
فما تركتها بعد، قيل: ولا ليلة صفين ؟ قال: ولا ليلة صفين ! متفق عليه.

فنرى أن النبي ﷺ لم يقل لعليّ: لا خدمة عليها، وإنما هي عليك وهو ﷺ لا
يحابي في الحكم أحدا كما قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد ٤/٥٥
وصح عن أسماء أنها قالت كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكان له فرس
، وكنت أسوسه ، وكنت أحتش له ، وأقوم عليه . رواه أحمد .
وصح عنها أيضا: أنها كانت تعلق فرسه وتسقى الماء، وتخز الدلو، وتعجن،
وتنقل النوى على رأسها في أرض له على ثلثي فرسخ . رواه أحمد .

ولما رأى الرسول ﷺ أسماء وهي تحمل العلف على رأسها، لم يقل للزبير: لا
خدمة عليها، وإن هذا ظلم لها بل أقره لاستخدامها، وأقر سائر أصحابه على
استخدم أزواجهن مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية، هذا أمر لا ريب فيه.
ولا يصلح التفرقة بين شريفة وذنينة، وفقيرة وغنية، فهذه أشرف نساء
العالمين " فاطمة (رضي الله عنها) كانت تخدم زوجها وجاءته ﷺ تشكو إليه
الخدمة.

وليس فيما سبق من وجوب خدمة المرأة زوجها ما ينافي استحباب مشاركة
الرجل لها في ذلك إذا وجد الفراغ والوقت المناسب، بل هذا من حسن المعاشرة بين
الزوجين ولذلك قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : وكان ﷺ يكون في مهنة

أهله ، يعنى خدمة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلي الصلاة "رواة البخاري والترمذى" (١)

• خدمة المرأة بحيرانها :

وهو أمر مستحب، وليس بواجب، عند نزول النوائب، فعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه قال: لقد أدركت الناس بالمدينة إذا مات ميت، تكلف جيرانهم يومهم ذلك طعامهم، فكأنني أنظر إليهم قد خبزوا خبزاً صغاراً، وصنعوا لحماً فيجعل في جفنة، ثم يأتون به أهل الميت، وهم يبكون على ميتهم مشتغلين فيأكلونه، ثم إن الناس تركوا ذلك . (٢).

• خدمة المرأة للضيوف :

لا بأس أن تقوم المرأة على خدمة الضيوف إذا كانت مستترة آمنة للفتنة، فسارة وإبراهيم عليهما السلام كانا يخدمان الضيوف معاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم ، ٤ ، ٤٥ - الفتاوى لابن تيمية ٢ / ٢٣٤ - آداب الزفاف في السنة المطهرة للألباني.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي - غزوة مؤتة ١ / ٤٥١ .

قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ * وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسْنَاهَا

بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿١﴾

يقول ابن كثير (رحمه الله) نقلا عن السدي: لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشى في صور رجال شبان ، حتى نزلوا علي إبراهيم فتضيفوه فلما رأهم أجهلهم ﴿ فراغ إلى أهله فجاء ﴾ " فذبحه ثم شواه في الرضف وأتاهم به ففعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم فذلك قوله : ﴿ وامرأته قائمة ﴾ وهو جالس .

وفي حديث سهل بن سعد ؓ قال: لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ وأصحابه، فما صنع لهم طعاما، ولا قدمه إليهم، إلا امرأته أم أسيد، بلت (٢) تمرات في تور (٣) من حجارة من الليل فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أمائته (٤) له فسقته، تتحفه بذلك فكانت امرأته يومئذ خادمتهم وهي العروس (٥) .

• يقول الحافظ ابن حجر في الفتح:

وفي الحديث جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة ، ومراعاة ما يجب عليها من الستر وجواز استخدام الرجل امرأته في مثل ذلك ، وشرب ما لا يسكر في الوليمة وفيه جواز إيثار كبير القوم في الوليمة بشيء دون من معه .

(١) سورة هود - الآيات من ٦٩ - ٧١ .

(٢) أي نقتت .

(٣) يعني إناء .

(٤) أي مرسته بيدها .

(٥) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والطبراني في الأوسط والبعغوى في شرح السنة وابن عوانة في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نساءه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلي أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك، لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال النبي ﷺ: " من يضيف هذا الليلة ؟ " فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله ! فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ وفى رواية : قال لامرأته: هل عندك شئ ؟ قالت لا، إلا قوت صبياني. قال فعليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوميمهم وإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وياتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال : " لقد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة ". متفق عليه . (١).



(١) رياض الصالحين - باب الإيثار والمواساة ص ٢٥٧ .

تعدد الزوجات

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (١).

فهذا نص في إباحة التعدد فقد أفادت الآية الكريمة بإباحته، فللرجل في شريعة الإسلام أن يتزوج واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، بأن يكون له في وقت واحد هذا العدد من الزوجات، ولا يجوز له الزيادة على الأربع، وبهذا قال المفسرون والفقهاء، وأجمع عليه المسلمون ولا خلاف فيه.

• شروط التعدد :

أولاً: العدل : لقوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) ، أفادت هذه الآية الكريمة أن العدل شرط لإباحة التعدد، فإذا خاف الرجل من عدم العدل بين زوجاته إذا تزوج أكثر من واحدة ، كان محظوراً عليه الزواج بأكثر من واحدة .
والمقصود بالعدل المطلوب من الرجل لإباحة التعدد له، هو التسوية بين زوجاته في النفقة والكسوة والمبيت ونحو ذلك من الأمور المادية مما يكون في مقدوره واستطاعته.

(١) سورة النساء - الآية ٣ .

وأما العدل في المحبة فغير مكلف بها، ولا مطالب بها لأنه لا يستطيعها، وهذا هو معنى قوله تعالى: (**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**)^(١).

ثانياً: القدرة على الإنفاق على الزوجات :

والدليل على هذا الشرط قوله تعالى : (وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله)^(٢) . فقد أمر الله في هذه الآية الكريمة من يقدر على النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستغف ، ومن وجوه تعذر النكاح : من لا يجد ما ينكح به من مهر ، ولا قدرة له على الإنفاق على زوجته^(٣).

الحكمة من إباحة التعدد :

- ١ - التعدد سبب لتكثير الأمة.
- ٢ - دائما يقلل عدد الرجال بسبب الحروب فيكثر النساء، فتننتشر الرزيلة.

(١) سورة النساء - الآية ١٢٩ .

(٢) سورة النور - الآية ٣٣ .

(٣) المفصل في أحكام المرأة ج ٦ ص ٢٨٦ .

٣- من الرجال من يكون قوي الشهوة، ولا تكفيه امرأة واحدة، ولو سُدَّ الباب عليه وقيل له لا يُسمح لك إلا بامرأة واحدة لوقع في المشقة الشديدة، وربما صرف شهوته بطريقة محرمة.

٤- التعدد ليس في دين الإسلام فقط بل كان معروفاً عند الأمم السابقة، وكان بعض الأنبياء متزوجاً بأكثر من امرأة، فهذا نبي الله سليمان كان له تسعون امرأة ، وقد أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجال بعضهم كان متزوجاً بثمان نساء، وبعضهم بخمس فأمرهم النبي ﷺ بإبقاء أربع نساء وطلاق البقية .

٥- قد تكون الزوجة عقيمة أو مريضة.

حول التعدد وشروطه:

الحق سبحانه وتعالى حينما يشرع الحكم مرة يشرعه إيجاباً ومرة يشرعه إباحة وهناك فرق في أن يلزمك الله أن تفعل وبين أن يبح لك أن تفعل إذا أخذت الحكم فخذ الحكم من كل جوانبه (لا أن تأخذ الحكم بإفادة التعدد ثم تكف عن الحكم بالعدالة، وإلا فسينشأ الفساد في الأرض وأول هذا الفساد أن تشكك الناس في حكم الله لأنك أخذت شقاً من الحكم ولم تأخذ الشق الآخر.

ما هو الشق الذي أخذته؟ التعدد ، والشق الذي لم تأخذه ؟ العدل.

لماذا تكره الزوجة التعدد ؟ .

لأنها رأت أنها إذا تزوجت بواحدة ألتفت بكليته وبخيره وبزمنه وببسمته وبعطفه وبحنانه عنها فالسؤال هنا تكره ولا ما تكره ؟ إذاً لا بد لها أن تكره إذاً الذين يأخذون حكم الله في إباحة التعدد يجب أن يلزموا أنفسهم بحكم الله أيضاً في العدالة فإن لم يفعلوا ذلك يشيعون التمرد على حكم الله والصراخ الذي تسمعون

ضد منهج الله (في التعدد) نشأ من ماذا؟! نشأ من أن الناس أخذوا حكم الله في إباحة التعدد ولم يأخذوا حكم الله في عدالة المعدد، العدالة في الأمور التي له فيها خيار أما الأمور التي لا خيار له فيها فلم يطالبه الله ومن السطحيين ومنهم بعض العلماء قالوا: الله قال أعدلوا ثم حكم أننا لا نستطيع أن نعدل، نقول له بالله هذا تشريع؟!..!

نقول له: أولم يشرع على عدم الاستطاعة: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) وما دام شرع على عدم الاستطاعة في العدل المطلق إذا أبقى الحكم ولا ألغى الحكم؟! أبقى الحكم^(٢).
الحق ما شهدت به الأعداء:

تقول الكاتبة الإنجليزية: " والله در العالم الفاضل " تومس " فإنه رأى الداء ووصف الدواء، وهو الإباحة للرجل بأن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذا الأسلوب يزول البلاء، وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بواحدة، وهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة، ولو كان تعدد الزوجات مباحًا لما نزل بنا هذا البلاء .



(١) سورة الأحزاب _ الآية ٥٢ .

(٢) الشيخ الشعراوي رحمه الله.

تعدد زوجات النبي ﷺ

إن الرسول محمد ﷺ أشرف وأكرم من أن يعرف قيمته بشر مثله؛ لكن الذي يقدر على تقييمه التقييم الطبيعي لمكانته هو ربه سبحانه الذي اصطفاه وأرسله ﴿

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١).

وإذا أردنا أن نعرف التقييم الحق لرسول الله ﷺ، فإننا نجد أن الله تعالى حين خاطب الأنبياء جميعاً عليهم السلام خاطبهم بأسماءهم، أما حين توجه بالخطاب إلى حبيبه الأعظم - صلوات ربي وسلامه عليه - لم يقل له: يا محمد، ولا يا أحمد، وإنما قال له: (يا أيها النبي)، ليس هذا فحسب وإنما أقسم الله تعالى بأشياء كثيرة من خلقه، من شتى الأجناس، فنجده يُقسم بالجماد مرة وبالحيوان مرة وبالملائكة أخرى، ولكنه - سبحانه - لم يُقسم ببشر مطلقاً إلا برسوله ﷺ حين قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢)، أي وحياتك يا محمد.. فكأن عمر رسول الله ﷺ وحياته أمر له مقامه عند ربه!!!!.

وإذا كان الناس حين يمدحون إنساناً بحُسن الخُلق ونُبل الصفات، فإنهم يمدحونه لأنهم عرفوا صفاته وقِيمَها بقدراتهم البشرية، وتقييم البشر للأشياء يخضع لعلمهم بهذه الأشياء؛ لذا فإن الحق حين يقيم الخُلق فإنه يقيمهم وفق أرفع مستوى خلقه في الإنسان، أي وفقاً لعلمه بخلقهم.. وحين يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ

(١) سورة الملك - الآية ١٤.

(٢) سورة الحجر - الآية ٧٢.

لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ^(١)، فليس المقصود هنا هو الخُلُق المتعارف عليه عند البشر، ولكنه الخُلُق المثالي وفقاً لعلم الله ، ورسول الله ﷺ اجتاز هذه المنزلة، فلم يكن صاحب خُلُق.. وإنما كان صاحب الخُلُق العظيم ؛ بتقييم الله العظيم الخبير بخلقه
!!!

وإذا آمننا به رسولاً مرسلًا من ربه ليهدي الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم، سعدنا في الدنيا والآخرة، وكان سبب إيماننا هو المعجزة التي جاءت على يديه وهو القرآن العظيم، فإن الرسول ﷺ يصبح هو الحَكَم في كل كمال!!! ولا ينبغي أن نأخذ تصرفاً من تصرفاته ثم نصب له ميزاناً من موازين الكمال، لنقيس تصرفات الرسول عليه، ونقول: هذا يليق، وهذا لا يليق!!!! لأن الأصل أن يكون فعله هو الكمال وهو المقياس.

أما أن نضع نحن على قدر علمنا مقياس للكمال ونقول: " تعالى يا محمد يا بن عبد الله، يا من بُعثت رسولاً لكي نقيس تصرفاتك على الميزان الذي وضعناه، فهذا لا يجوز أبداً.

إذن فالأصل أنه مادم ثبت عندي أنه رسول صادق في التبليغ عن الله تعالى، ففعله هو الميزان.

والعجيب في الأمر أن محمداً ﷺ لم يتزوج، وإنما زُوج، إذن المفروض أن يصعد الخلاف في المسألة إلى الله سبحانه، وليس لمحمد!!! لأن الآية تقول: ﴿

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مِّنْ مَّسَلِمَاتٍ

مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿١﴾، ففيه

دليل علي أن الذي يطلق لمحمد ويزوجه، هو ربه !!.

والدليل الآخر: هو الآية: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا

مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢).

فمن الذي زوج؟! الذي زوج هو الله سبحانه، إذن فمحمد ﷺ منفعل وليس فاعلاً للأمر!! فمن يريد البحث في هذه المسألة، عليه أن يصعد الأمر إلى الله سبحانه، ويقول: لماذا فعل ربنا هكذا?!

ثم الذين يبحثون هذا البحث نقول لهم: مادامت المسألة إحصائية، هل الرسول ﷺ وَسَّعَ عَلَيْهِ أم ضَيَّقَ؟ صحيح أنه ﷺ كان جامعاً لتسع زوجات، ومن كان جامعاً لأكثر من أربعة قال له أمسك أربعة وفارق سائرهن؛ لكنه هو لم يفعل ذلك، لماذا؟ لأن هؤلاء الأربع المباحات للمسلمين جميعاً مطلوبات، لأن الإباحة في المعدودات، وليس العدد، فالرسول لم يقل له ربه مباح لك تسعة فإن ماتت واحدة أو طلقته لك أن تتزوج غيرها، وإنما كل واحدة كان يتزوجها لسبب، فقد ظل حتى عمر الخمس وعشرين عاماً أعزب، فلو كان المراد من الزواج الجري وراء الشهوة أو السير مع الهوى أو مجرد الاستمتاع بالنساء لتزوج في سن الشباب لا في سن الشيخوخة، ولتزوج الأبقار الشابات لا الأرامل المسنات، وهو القائل لجابر بن عبد الله حين جاءه

(١) سورة التحريم _ الآية ٥ .

(٢) سورة الأحزاب _ الآية ٣٧ .

وعلى وجهه أثر التطيب والنعمة: " أَتَزَوَّجَتْ " قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: " بَكَرًا أَمْ ثَيِّبًا " قُلْتُ:

ثَيِّبًا، قَالَ: " أَفَلَا بَكَرٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ (١) " رواه أبو داود (٢) (٣).

(١) قُلْتُ نَعَمْ : (أَي تَزَوَّجْتُ) بَكَرٌ أَمْ ثَيِّبٌ : (بِحَذْفِ هَمْزَةِ الإِسْتِفْهَامِ أَي أَهِيَ بَكَرٌ أَمْ ثَيِّبٌ وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ بِالنُّصْبِ فِيهِمَا أَي أَتَزَوَّجْتُ بَكَرًا أَمْ ثَيِّبًا) قُلْتُ ثَيِّبًا ، أَي : تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا . وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ بِالرَّفْعِ أَي هِيَ ثَيِّبٌ (أَفَلَا بَكَرًا : (أَي فَهَلَّا تَزَوَّجْتُ بَكَرًا) تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ : (تَعْلِيلُ التَّرْوِيجِ الْبُكَرِ لِمَا فِيهِ مِنَ الأُلْفَةِ التَّامَّةِ فَإِنَّ الثَّيِّبَ قَدْ تَكُونُ مُتَعَلِّقَةً الْقَلْبِ بِالزَّوْجِ الأَوَّلِ فَلَمْ تَكُنْ مَحَبَّتُهَا كَامِلَةً بِخِلَافِ الْبُكَرِ . وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ اسْمَ امْرَأَةٍ جَابِرِ المَذْكُورِ سَهْلَةُ بِنْتُ مَسْعُودِ بْنِ أَوْسِ بْنِ مَالِكِ الأَنْصَارِيَّةِ الأَوْسِيَّةِ . قَالَه القَسْطَلَانِيُّ . وَفِي الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ الأَبْكَارِ إِلا لِمُقْتَضِي نِكَاحِ الثَّيِّبِ كَمَا وَقَعَ لِجَابِرٍ فَإِنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ هَلْكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ أَوْ تَسَعِ بَنَاتٍ فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا كَرِهْتُ أَنْ أُجِيبَهُنَّ بِمِثْلَهُنَّ ، فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ . هَكَذَا فِي البُخَارِيِّ فِي النِّفَقَاتِ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ ذَكَرَهَا فِي المَغَازِي مِنْ صَاحِبِهِ كُنَّ لِي تِسْعَ أَخَوَاتٍ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةٌ خَرْقَاءٌ مِثْلَهُنَّ وَلَكِنْ امْرَأَةٌ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتَمَشُطُهُنَّ ، قَالَ أَصَبْتُ .

(٢) سنن أبي داود « كتاب النكاح » باب في تزويج الأبقار_ رقم ٢٠٤٨ .

(٣) وفي صحيح البخاري: عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَفَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَوَةَ فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ فَلَحِقْتَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فَنَحَسَ بَعِيرِي بِعَنْزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ فَأَنْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجُودٍ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنَ الإِبِلِ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا يُعْجَلُكَ قُلْتُ كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا قُلْتُ ثَيِّبًا قَالَ فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ قَالَ فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ قَالَ أَمَهْلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا أَي عِشَاءً لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةَ وَتَسْتَحِدَّ المَغِيبَةَ. (صحيح البخاري « كتاب النكاح » باب تزويج الثيبات رقم: ٤٧٩١)

وفي صحيح مسلم: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَالَ عَرَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَاخَقَ بِي وَتَحْتِي نَاصِحٌ لِي قَدْ أَغْيَا وَلَا يَكَادُ يَسِيرُ قَالَ فَقَالَ لِي مَا لِبَعِيرِكَ قَالَ قُلْتُ عَلِيلٌ قَالَ فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الإِبِلِ فَدَامَهَا يَسِيرُ قَالَ فَقَالَ لِي كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ قَالَ قُلْتُ بِخَيْرٍ قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ قَالَ أَفْتَبِعِيهِ فَاسْتَحْبَبْتُ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاصِحٌ غَيْرُهُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ حَتَّى أَبْلُغَ المَدِينَةَ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَرُوسٌ فَاسْتَأْذَنْتُهُ فَأَذِنَ لِي فَتَقَدَّمْتُ النَّاسَ إِلَى المَدِينَةِ حَتَّى انْتَهَيْتُ فَلَقَيْتَنِي خَالِي فَسَأَلَنِي عَنْ البَعِيرِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا صَنَعْتُ فِيهِ فَلَا مَنِي فِيهِ قَالَ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ مَا تَزَوَّجْتُ أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا قُلْتُ لَهُ تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا قَالَ أَفَلَا تَزَوَّجْتَ بَكَرًا تُلَاعِبُكَ وَتُلَاعِبُهَا قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ تُؤْفَى وَالدِّي أَوْ

فالرسول ﷺ أشار عليه بتزوج البكر وهو ﷺ يعرف طريق الاستمتاع وسبيل الشهوة، فهل يعقل أن يتزوج الأرامل ويترك الأباكر ويتزوج في سن الشيخوخة ويترك سن الصبا إذا كان غرضه الاستمتاع والشهوة؟!.

فلما زوجه ربه من السيدة خديجة رضي الله عنها التي كان عمرها فوق الأربعين، (سيدة أكبر منه بخمسة عشر سنة ومتزوجة من قبله برجلين ولها أولاد). فكان أحد أسباب هذه الزيجة المباركة أن تسانده حين تبدأ الدعوة برجاحة عقلها، وسعة صدرها، ومكانتها في قومها؛ وبقي معها خمس وعشرون عاما دون أن يتزوج بغيرها.

وبعد أن ماتت، زوجه الله تعالى من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها، فما كان حظه منها جمال؛ بل وكان عمرها رضي الله عنها (٦٦) سنة حيث كانت أول أرملة في الإسلام - وأراد الله سبحانه ان يكرمها أن ويكرم النساء اللواتي مثلها حيث ابتداء بتزويجها لحبيبه ﷺ؛ ليكون قدوة للمسلمين من بعده في هذا العمل الإنساني .

ثم زوجه الله تعالى من السيدة عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنوات لدرجة أنها لم تدخل عليه إلا بعد ثلاث سنين لكي تكون مهياًة لبيت الزوجية، وكان صغر سنها ميزة لتتعلم منه الكثير (والعلم في الصغر كالنقش على الحجر) وعاشت بعده ٤٢ سنة تنشر العلم ؛ فالكثيرات من النساء يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة

استشهد ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج إلهن مثلهن فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن فتزوجت نبياً لتقوم عليهن وتؤدبهن قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت إليه بالبغير فأعطاني ثمنه ورده علي. (صحيح مسلم « كتاب المساقاة » باب بيع البعير واستثناء ركوبه _ رقم

والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول ﷺ عن بعض هذه المسائل، كما كان من خُلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان كما تروي كتب السنة أشد حياءً من العذراء في خدرها، فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة بل كان يكتفي في بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده ﷺ ، فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ: " خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكِ فَتَطَهَّرِي بِهَا " قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ قَالَ: " تَطَهَّرِي بِهَا " قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي " فَاجْتَبِذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَّبِعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِّ (١) .، فكان ﷺ يستحي من مثل هذا التصريح.

والحديث في علم السيدة عائشة يطول حيث أنها كانت أعلم الناس بالفرائض والنوافل؛ كما أنه كان متعارفاً على تزويج الصغيرات ليس عند العرب فحسب بل عند الروم والفرس، فطبيعة البيئة الصحراوية تجعل الفتاة تبلغ مبكرة !!! فقد كانت عادة زواج الصغيرات في العرف العربي عادة معروفة، فقد تزوج عبد المطلب الشيخ الكبير من هالة بنت عمّ آمنة في اليوم الذي تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هي آمنة بنت وهب ، وتزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في سنّ جدّها، كما أنّ عمر بن الخطاب عرض بنته الشابة حفصة على أبي بكر الصديق وبينهما من فارق السنّ مثل الذي بين الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها.

أما أم سلمة رضي الله عنها لقد كانت أرملة وصاحبة عيال.

(١) صحيح البخاري « كتاب الحيض » باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل _

وهكذا كل واحدة منهن كان لها قصة وأسباب.

فزينب بنت جحش رضي الله عنها مثلاً كان زواجه منها من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب لذلك مثلاً بدعة التبني التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم، يتبنى أحدهم ولدًا ليس من صلبه ويجعله في حكم الولد الصلب، ويتخذه ابنًا حقيقيًا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال؛ في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه، وكان ديناً تقليدياً متبعاً في الجاهلية.

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله، وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هي إبطال عادات الجاهلية وقد صرح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١).

وكان زواجه من السيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة، وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته؛ فقد أسرت السيدة جويرية مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفقد نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها الرسول ﷺ أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك، فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا . أي أنهم في

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٣٧.

الأسر . فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو وهذه الشهامة والمرورة أسلموا جميعاً ودخلوا في دين الله وأصبحوا من المؤمنين، فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها لأنه كان سبباً لإسلامهم وعتقهم وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

كما أن الرسول ﷺ جمع هذا العدد معاً لأن من يفارقها زوجها من المسلمين كانت ستجد زوجاً آخر.... أما زوجات النبي ﷺ فأمهات المؤمنين، لا يجوز لهن الزواج بأحد غيره.

أما عن قوله الذي يرويه أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال : " حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " (١).

وتأمل قوله: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" (٢).

ونقول تأمل كلمة " حُبِّبَ " ولم يقل أحبُّ ولم يقل أحببتُ، حتى لا ينصرف الأمر إلى أن هذا من غريزته، وإنما الله سبحانه هو الذي حبَّب إليه وجعل هذا الحب في قلبه ؛ تماماً مثل قول الله تعالى: (زَوْجِنَا كَهَا) ثم تأملوا قول الله تعالى له : ﴿

لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ

(١) السنن الكبرى للبيهقي « كِتَابُ الْوَصَايَا » جَمَاعُ أَبْوَابِ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ _ رِقْم ١٢٤٦٢ ،

ومستدرك الحاكم ١٦٠/٢ ، والسنن الكبرى للنسائي، والمعجم الأوسط للطبراني، ومسند الإمام أحمد .
(٢) يقول ابن القيم: هَذَا لَفْظُ الْحَدِيثِ، وَمَنْ رَوَاهُ (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثًا، فَقَدْ وَهَمَ، وَلَمْ يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا، وَالصَّلَاةُ لَيْسَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الَّتِي تُضَافُ إِلَيْهَا. وَكَانَ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ فِي الْجَمَاعِ وَغَيْرِهِ، وَأَبَاحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَحِّهُ لِأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِهِ (زاد المعاد في هدي خير العباد « فصل في هديه في النكاح ومعاشرته صلى الله عليه وسلم أهله).

حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿١﴾ أليس هذا

دليل على أن الله تعالى هو الذي يزوجه، ويطلقه، ثم هو الذي يمنعه ؟.

هذا هو كمال خُلق رسول الله ﷺ، ومن لم يفهم هذا الكمال أو يستوعبه،

فالمشكلة ليست في رسول الله ﷺ (٢).

زوجات النبي ﷺ حسب ترتيب الزواج

الترتيب	الزوجة	سنة الزواج	سنة الوفاة
١	خديجة بنت خويلد: أولى أزواج النبي ﷺ قد تزوجها (رضي الله عنها) وهو شاب مكتمل في الخامسة والعشرين من عمره، وكانت في الأربعين من عمرها. ولقد عاش معها نحوًا من ست وعشرين سنة، أي أنها ظلت معه حتى تجاوزت السادسة والستين!! ولم يتزوج عليها في حياتها!. وظل وفيًا لها بعد مماتها، حتى إن عائشة رضي الله عنها كانت تغار منها، وكان له منها أولاده الستة، القاسم، والطيب، وقد ماتا قبل البعثة، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وفاطمة، ومتن قبله إلا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر ولم يتزوج ﷺ في حياتها غيرها .	٢٨	٣ قبل الهجرة

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٥٢ .

(٢) الرسول ﷺ بين المعجزة والواقع لمحمد متولي الشعراوي - القاهرة : دار الروضة للنشر والتوزيع ،
بتصرف يسير..

<p>٥٤ هـ</p>	<p>٣</p> <p>ق.٥ هـ</p>	<p>سودة بنت زمعة:</p> <p>تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة، وقبل الهجرة، وكانت في مثل سن خديجة، أي في السادسة والستين من عمرها، ولم تكن في جمال خديجة، وكانت قد أسلمت مع زوجها، وهاجرا إلى الحبشة فرارًا من أذى الجاهليين من قريش، ومات بعد أن عادا، وكان أهلها لا يزالون على الشرك، فإذا عادت إليهم فتنوها في دينها، فتزوجها النبي ﷺ حماية لدينها من الفتنة. وكانت أرملة لحاجة بناته الأربع إلى أم بديلة ترعاهن وتبصرهن بما تبصر به كل أم بناتها.</p>	<p>٢</p>
<p>٥٨ هـ</p>	<p>١</p> <p>ق.٥ هـ</p>	<p>عائشة بنت أبي بكر الصديق:</p> <p>كانت في نحو التاسعة من عمرها، فما كانت تشتهي لأنها كانت ضاوية، ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة. فما كان زواجه منها لشهوة يبتغيها، وإنما كان لتوثيق صحبته بالصديق رضي الله عنه!. وزواجه منها كان بوحى، حيث رآها في المنام ورؤيا الأنبياء وحي. وكانت جميع زوجاته الطاهرات ثيبات (أرامل) فيما عدا عائشة رضي الله عنها. تزوجها وعندها ست سنوات وبنى بها في السنة الثانية من الهجرة وعندها تسع سنوات ومات عنها وسنها ثماني عشر سنة.</p>	<p>٣</p>

٤٥ هـ	٣ هـ	<p>حفصة بنت عمر: تزوجها النبي ﷺ بعد الهجرة، وكانت زوجًا لخنيس بن حذافة، مات عنها مؤمنًا. وكان زواجه بها لتوثيق الصحبة بأبيها رضي الله عنه، فقد كان له الوزير الثاني.</p>	٤
٣ هـ	٣ هـ	<p>زينب بنت خزيمة الهلالية: كانت قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوج بها النبي ﷺ ولم تعمر عنده سوى ثمانية أشهر. وكان يقال لها أم المساكين. قتل زوجها يوم أحد، وكان الزواج بها إيواءً لها، وتشجيعًا لها على إعانة المساكين.</p>	٥
٥٩ أو ٦٢ هـ	٤ هـ	<p>أم سلمة هند بنت أبي أمية: من المهاجرات الأول. كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة. وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا . وقد رأى النبي ﷺ أنها ذات عيال، يحتاجون إلى من يرعاهم، وكانت هي وزوجها مهاجرين، فانقطعت عن ذويها. وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين . عاشت نحوًا من تسعين سنة، وتوفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة.</p>	٦
٢٠ هـ	٥ هـ	<p>زينب بنت جحش: ابنة عمه رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. وهي</p>	٧

		<p>أخت حمنة، وأبي أحمد. من المهاجرات الأول. كانت عند زيد، مولى النبي ﷺ وهي التي يقول الله فيها: (وَأذِ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا). فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد. فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه .</p> <p>وفي رواية البخاري : كانت تقول: إن الله أنكحني في السماء . وكان ذلك لإبطال التبني.</p>	
<p>٥٠ هـ</p>	<p>٥ هـ</p>	<p>جويرية بنت الحارث:</p> <p>لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق، ومعه جويرية بنت الحارث، دفع بجويرية إلى رجل من الأنصار وديعة عنده، وأمره بالاحتفاظ بها. وقدم رسول الله ﷺ المدينة فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها، فغيبهما في شعب من العقيق، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد. أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها. فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا، فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فوالله ما اطلع على ذلك أحد، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له.</p> <p>ولقد كان الأسرى من قومها نحو مائة فلما تزوجها النبي ﷺ من أبيها، وكانت قد أسلمت، أطلق كل من كان في يده أحد من الأسرى أسراه، وقال: كيف نسترق أصهار رسول الله ﷺ، فعتق</p>	<p>٨</p>

		<p>بزواجه ﷺ منها أهل مائة من بيوت بني المصطلق. وتقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في ذلك: " ما كانت امرأة أبرك على قومها من جويرية، لقد عتق بها مائة بيت من بيوت قومها." فما كان الزواج للشهوة، لكن كان للحرية والعتق.</p>	
٥٠ هـ	٥٧ هـ	<p>صفية بنت حيي بن أخطب: بنت حِيي بن أخطب بن سعية، من سبط اللاوي ابن نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام. ثم من ذرية رسول الله هارون -عليه السلام. تزوجها قبل إسلامها : سلام بن أبي الحقيق ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، وكانا من شعراء اليهود ، فقتل كنانة يوم خيبر عنها ، وسُبِّتْ ، وصارت في سهم دحية الكلبي ؛ فقيل للنبي ﷺ عنها؛ وأنها لا ينبغي أن تكون إلا لك . فأخذها من دُحْيَةَ ، وعوضه عنها سبعة رؤس . سبيت مع أختها، وأمرهما بلال رضي الله عنه على قومهما من اليهود في خيبر، فلام النبي ﷺ بلالاً، وقال: أليس في قلبك رحمة؟ أتمرّ بالفتاتين على قتلى قومهما. وعرض الفتاتين ليزوجهما بعض أصحابه، فتزوجت أختها وبقيت هي فتزوجها النبي ﷺ، مواساة، وبراء، ورحمة.</p>	٩
٤٤ هـ	٧ هـ	<p>أم حبيبة رمة بنت أبي سفيان: تزوجها ﷺ والحرب قائمة بينه وبين المشركين بقيادة أبيها، أبي سفيان. كانت قد سافرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة، ولكنه تنصر، وخرج عن الإسلام، فكانت بين أمرين، إما أن ترجع</p>	١٠

		<p>إلى أبيها زعيم المشركين -آنذ- فتفتن في دينها، وإما أن تعود إلى المدينة ولا مأوى لها. فأواها النبي ﷺ بزواجه منها. إذ بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة فخطبها له ﷺ، ودفع النجاشي صداقها، وهو أربعمئة دينار، وبعث بها إلى النبي ﷺ. وبهذا الزواج أصاب النبي ﷺ هدفين: أنه وقاها من الشرك وأن تفتن في دينها.</p>	
١٦ هـ	٥٧ هـ	<p>مارية بنت شمعون القبطية: مارية القبطية هي جارية أهداها ملك مصر إلى رسول الله محمد ، مع أختها واسمها سيرين وعند وصولها إلى النبي أعلنت إسلامها وتزوجها النبي وأنجبت ولده إبراهيم ومات وهو صغير.</p>	١١
٥١ هـ	٥٧ هـ	<p>ميمونة بنت الحارث: وقد اختارها زوجاً له العباس بن عبد المطلب، لتوثيق ما بينه ﷺ، وبين القبائل العربية، وقد أصدقها العباس رضي الله عنه من ماله أربعمئة درهم. ويروى أنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، ذلك أنها لما علمت بخطبة النبي لها، قالت: البعير وما عليه الله ورسوله.</p>	١٢
		<p>من عقد عليهن ولم يدخل بهن: عمرة الكلابية.. قُتيلة الكندية .. سنا السُّلمية.. شراف الكلبية.. العالية الكلابية.. ليلى الأوسية.. أسماء بنت النعمان.</p>	١٣

ونستخلص مما سبق أن التعدد كان يرجع إلى أسباب:

أولاً: الأسباب الاجتماعية مثل: زواجه من خديجة ، وسودة بنت زمعة ، عائشة ، حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زينب بنت خزيمة ، أم سلمة هند بنت أمية .

ثانياً: الأسباب التشريعية مثل : زينب بنت جحش.

ثالثاً: الأسباب السياسية مثل: جويرية بنت الحارث، أما حبيبة رملة بنت أبي سفيان، صفية بنت حيي بن أخطب، ميمونة بنت الحارث .

رابعاً: الأسباب التعليمية: لتتعلم النساء من أمهات المؤمنين وخاصة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها.

وأما الجوارى فهما مارية القبطية التي ولدت إبراهيم وتوفى صغيراً، وريحانة بنت زيد القرظية

حليمة السعدية

عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته أنها قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء، فقدمت على أتان قمرء كانت أذمت بالركب، ومعى صبي لنا وشارف لنا، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، ما يجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغنيه. فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قيل: يتيم، تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه! إنما نرجو المعروف من أب الولد فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا. فوالله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلم أجد غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معى رضيع لأنطلقن إلى ذلك

اليتم فلاحذنه. فقال: لا عليك. فذهبت، فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، فأقبل على ثدياي بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روى، وقام صاحبي إلى شارفي تلك فإذا بها حافل، فحلب ما شرب، وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة، فقال لي صاحبي: يا حليلة، والله إني لأراك أخذت نسمة مباركة... الحديث، وذكر فيه من معجزاته ما هو مشهور به صلى الله عليه وسلم.

وعن عمارة بن ثويان: أن أبا الطفيل أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالجعرانة يقسم لحماً: وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير: فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته.

وكان اسم زوجها الذي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبنه: الحارث بن عبد الغزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصيحة بن نصر بن سعد بن بكر.



رفقا بالقوارير

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ في بعض أسفاره وغلّام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال رسول الله ﷺ: " يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير " وفي رواية: " رويدا يا أنجشة لا تكسر القوارير " (١).

قال العلماء: سماهم القوارير لضعف عزائمهن، تشبيها بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها .

وقيل معناه: أن أنجشة كان حسن الصوت، وكان يحدو بهن وينشد شيئا مت القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك .

وقيل: أن المراد به الرفق في السير لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرع في المشي واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ويخاف ضررهن وسقوطهن.. وهذا من رحمته ﷺ بالنساء.

فوائد الحديث:

- (١) جواز السفر بالنساء .
- (٢) مباحة النساء عن الرجال ومن سماع كلا منهم إلا الوعظ ونحوه (٢).

(١) صحيح مسلم شرح النووي - ٨١/١٥، والمعلم بفوائد مسلم ٣٠٦/٢.

(٢) المرجع السابق.

أفراحنا

عن نبيط بن جابر عن جدته أم نبيط، قالت: أهدينا جارية لنا من بني النجار إلى زوجها، فكنت مع نسوة من بني النجار، ومعى دف أضربه وأنا أقول:

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحيونكم
ولولا الذهب الأحمر
لما حلت بوادكم

قالت: فوقف علينا رسول الله ﷺ فقال: " ما هذا يا أم نبيط ؟ " فقلت:

بأبي أنت وأمي يا نبي الله! جارية منا من بني النجار نهديتها إلى زوجها، قال: "

فتقولين ماذا ؟ " قالت: فأعدت عليه قولي، فقال رسول الله ﷺ: " قولي: ولولا

الحنطة السمراء لما سمت عذارىكم (١).

وعن أم علقمة: أن بنات أخي عائشة، خُتِنَ، فقبل لعائشة: ألا ندعو لهن من يلهين، قالت: بلي، فأرسلت إلي عدي، فأتاهن، فمرت عائشة في البيت فرأته بتغني ويحرك رأسه طربا - وكان ذا شعر كثير - فقالت: أف، شيطان!!! أخرجوه.. أخرجوه

• (٢)

أختي المسلمة : هل تحبين أن تتأسين بأمك الصديقة بنت الصديق عائشة (رضي الله عنها)، لتحشرين معها وتدخلين مدخلها؟ فما بالك لو كانت الصديقة بيننا، فرأت الراقصات العاريات، والمغنيات الفاجرات؟ فما تظنين ماذا كانت تفعل .؟

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٣١٥/٨.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد - باب اللهو في الختان ص ٣٠٢، والبيهقي والمزي في التهذيب، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة .

بنات الصالحين

عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: بينما أنا قابلة قد ألقيت على ملحفة إذ جاءني أسود. يعالجني عن نفسي،، قالت: فبينما هو يعالجني عن نفسي أقبلت صحيفة من ورق صفراء تهوى من السماء حتى وقعت عنده فقرأها فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم " من رب لكن إلى لكن " أما بعد فدع أمتي بنت عبد الصالح، وقال: أولى لك فما زالت القرصة فيها حتى لقيت الله ﷻ (١).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : كَانَتْ ابْنَةُ عَوْفِ بْنِ عَفْرَاءَ مُسْتَلْقِيَةً عَلَى فِرَاشِهَا، فَمَا شَعَرَتْ إِلَّا بِزَنْجِيٍّ قَدْ وَثَبَ عَلَى صَدْرِهَا، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي حَلْقِهَا، فَإِذَا صَحِيفَةٌ صَفْرَاءُ تَهْوِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى صَدْرِي، فَأَخَذَهَا فَمَرَّهَا فَإِذَا فِيهَا: مِنْ رَبِّ لَكِنِ إِلَى لَكِنِ : اجْتَنِبِ ابْنَةَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهَا ، فَقَامَ وَأَرْسَلَ بِيَدِهِ مِنْ حَلْقِي، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رُكْبَتِي فَاسْتَوْرَمَتْ حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ رَأْسِ الشَّاةِ .
قَالَتْ : فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا بِنْتَ أَخِي إِذَا خِفْتِ، فَاجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَحَفِظَهَا اللَّهُ بِأَبِيهَا فَإِنَّهُ كَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ شَهِيدًا (٢).

عن يحيى بن سعيد : لما حضرت عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد الفقيه سيدة نساء التابعين لما حضرته الوفاة اجتمع عندها ناس من التابعين منهم عروة والقاسم بن محمد وأبو سلمة بينما هم عندها وقد أغمى عليها إذ سمعوا نقضا من

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٢) مكائد الشيطان للحافظ ابن أبي الدنيا _ الباب الأول _ مَنْعُ بَعْضِ الْجِنِّ بَعْضًا مِنَ التَّعَرُّضِ لِنِسَاءِ

السقف فإذا ثعبان أسود قد سقط كأنه جذع عظيم فأقبل يهوى نحوها إذا سقط رق أبيض فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم من رب كعب إلى كعب ليس لك على بنات الصالحين سبيل فلما نظر إلى الكتاب سما حتى خرج من حيث نزل (١) .



قدرة المرأة العقلية

وقد حكت لنا كتب السير والتاريخ عن قدرة المرأة العقلية وذكائها:

فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها لما هاجر رسول الله من مكة وكان معه أبو بكر الصديق فحمل معه جميع ماله، قَالَتْ أَسْمَاءُ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ حَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ جَمِيعَ مَالِهِ - خَمْسَةَ آلَافٍ، أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ - فَأَتَانِي جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ عَمِيَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَدْ فَجَعَكُم بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ، فَقُلْتُ: كَلَّا، قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا .

فَعَمَدْتُ إِلَى أَحْجَارٍ، فَجَعَلْتُهُنَّ فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ، وَغَطَّيْتُ عَلَيْهَا بِثَوْبٍ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَوَضَعْتُهَا عَلَى الثَّوْبِ، فَقُلْتُ: هَذَا تَرَكَهُ لَنَا، فَقَالَ: أَمَا إِذْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا، فَنَعَمْ (١).

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها فقيهة محدثة تنظم الشعر أيضاً، ويروي الشعبي فيقول: قيل لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ﷺ وكذلك الحلال والحرام.

وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها عن أبيك وغيره فما بال الطب ؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول ﷺ فلا يزال الرجل يشكو علته فيسأل عن دوائها فيخبره بذلك فحفظت ما كان يصفه وفهمته.

(١) سير أعلام النبلاء _ الصحابة رضوان الله عليهم _ أسماء بنت أبي بكر . ج٢ . ٢٠.

ومما يذكر في ذكاء المرأة:

(١) شن وطبقة:

كَانَ رَجُلٌ مِنْ دُهَاهِ الْعَرَبِ وَعُقْلَائِهِمْ ، يُقَالُ لَهُ: " شَنْ " فَقَالَ: وَاللَّهِ! لِأَطْوَفَنَ حَتَّى أَجِدَ امْرَأَةً مِثْلِي أَتَزَوَّجُهَا.

فبينما هو في بعض مسيره اذ وافقه رجل في الطريق فسأله شن : أين تريد ؟ فقال موضع كذا يريد القرية التي يقصدها (شن) فوافقه حتى أخذوا في مسيرهما فقال له (شن) :أتحملني أم أحملك ؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أو تحملني ؟ فسكت عنه (شن) وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا هما بزراع قد استحصدا فقال (شن): أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل: يا جاهل، إذا كان لم يحصد فكيف يؤكل ؟

فَسَكَتَ عَنْهُ (شَنْ) حَتَّى إِذَا دَخَلَ الْقَرْيَةَ لَقِيْتَهُمَا جَنَازَةً فَقَالَ لَهُ شَنْ: أترى صاحب هذا النعش حياً أو ميتاً ؟ فقال له الرجل ما رأيت أجهل منك ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي؟ فسكت عنه (شن) وأراد مفارقتها فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه ، وكان للرجل بنت يقال لها " طبقة " فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدثها بحدثه فقالت يا أبت ما هذا بجاهل .

أما قوله أتحملني ام أحملك فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا.

وأما قوله أترى هذا الزرع أكل أم لا فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا.

وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا.

فخرج الرجل فقعد مع (شن) فحادثه ساعة ثم قال : أتجيب أن أفسر لك ما

سألتني عنه ؟ قال نعم ففسرته ، فقال (شن) : ما هذا من كلامك ، فأخبرني عن صاحبه.

قال: ابنة لي، فخطبها إليه فزوجه إياها، وحمّلها إلى أهله.

فلما رأوها أنها تُشبهه أو تفوقه في الذكاء والدَّهَاءِ قالوا : وافقَ شَنَّ طبقة (١).

٢) المرأة والشيطان:

قالت المرأة لشيطان: أترى ذلك الرجل الذي يعمل خياطا ؟ أتستطيع أن توسوس له حتى يطلق زوجته؟ قال الشيطان: نعم وهو أمر بسيط! فذهب إليه الشيطان وأخذ يوسوس له من شتى الاتجاهات ولكن الخياط كان يحب زوجته كثيرا فلم يأبه ولم يفكر حتى بالأمر، فعاد الشيطان وقد اعترف بالهزيمة. فقالت المرأة : راقب الآن ما سيحدث ! وذهبت المرأة الى الخياط وقالت له أريد قطعة جميلة من القماش يريد ابني أن يهديها عشيقته {المتزوجة} فأعطاه الخياط القطعة ثم ذهبت الى بيت الخياط ودقت الباب ففتحت زوجة الخياط، فقالت لها المرأة أريد أن أدخل عندك لأقوم بالصلاة، فقالت لها زوجة الخياط: تفضلي وبعد أن صلت المرأة قامت بوضع قطعة القماش خلف الباب دون أن تلاحظها زوجة الخياط وخرجت!. وعندما عاد الخياط الى البيت شاهد قطعة القماش فتذكرها على الفور وتذكر قصة المرأة عن عشيقته ابنها (فقام بطلاق زوجته فورا).

فقال الشيطان : اعترف الآن بكيد النساء! فقالت المرأة : انتظر. ما بالك لو أعدتها الى نمته فورا قال الشيطان: كيف !؟

عادت المرأة في اليوم التالي الى الخياط وقالت له: إنها تريد قطعة قماش شبيهة بالتي أخذتها بالأمس لأنها ذهبت للصلاة عند امرأه مسكينة وقد نسيتها عندها وخجلت من العودة إليها! وعندها قام الخياط على الفور بإرجاع زوجته.

فالمراة صاحبة حيلة وذكاء، ولذلك قال العلماء في قول الله: (**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**) هذا مدح لهن دليل علي ذكائهن.

٣) المرأة والملك و الصياد:

يحكى: أن خسرو بن أبرويز كان يحب أكل السمك فكان يوماً جالساً وشيرين معه، فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة فأهداها لخسرو ووضعها بين يديه، فأعجبه فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت شيرين: بئس ما فعلت، فقال ولم: فقالت: لأنك إذا أعطيت أحداً من حشمك بعد هذا مثل هذه العطية احتقرها، وقال: أعطاني مثل ما أعطى الصياد، فقال الملك: لقد صدقت، ولكن يقبح بالملك استرجاع ما وهبه وقد فات ذلك الأمر، فقالت شيرين: أنا أدبر هذا الحال، فقال: وكيف ذاك، فقالت: تدعو الصياد وتقول له: هذه السمكة ذكر أم أنثى، فإن قال أنثى، فقل: إنما أردت ذكراً، وإن قال ذكر، فقل: إنما أردت أنثى، فنودي الصياد وكان ذا ذكاء وفطنة، فقال خسرو: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فقبل الصياد الأرض، وقال أدام الله إقبال الملك، هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا أنثى، فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، فمضى الصياد إلى الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب كان معه، وحملها على كاهله وهم بالخروج، فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم، والملك وشيرين ينظران إليه، فقالت: شيرين لخسرو أرايت

إلى خسة هذا الصياد، وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن عنقه ثمانية آلاف درهم، وانحنى على ذلك الدرهم فأخذه، ولم يسهل عليه أن يتركه، فكان يأخذه بعض غلمان الملك، فحرد خسرو من ذلك، ثم أعاد الصياد إليه، وقال له: يا ساقط الهمة، ألسنت بإنسان وضعت مثل هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد، وأسفت أن تتركه، فكان يتبلغ به بعض الصعاليك، فقبل الصياد الأرض، وقال: أطل الله إقبال الملك، لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي، وإنما رفعتَه عن الأرض لأن على أحد وجهيه اسم الملك وعلى وجهه الآخر صورته، فخشيت أن يجيء أحد بغير علم فيضع قدمه عليه، فيكون ذلك استخفافاً باسم الملك وصورته، فأكون أنا المأخوذ بهذا الذنب فعجب خسرو من كلامه، وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، فعاد الصياد ومعه اثنا عشر ألف درهم، وأمر خسرو منادياً ينادي لا يتدبر أحد برأي النساء فإن من تدبر بأرائهن أو اتتمر بمشورتهن خسر درهما درهمين.



جرأة وشجاعة

كانت المرأة في صدر الإسلام عندها الجرأة والشجاعة، بسبب إيمانها، فكانت تتصدي للحكام ، وتقف في وجوههم لتقول كلمة الحق فهذه أسماء بنت أبي بكر يدخل عليها الحجاج عندما قتل ولدها عبد الله بن الزبير فيقول لها : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت: رأيتك أفستد عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابا، ومبيرا، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه قال: فقام عنها ولم يراجعها. رواه مسلم (١).

وفي البداية والنهاية لابن كثير: يدخل عليها الحجاج بن يوسف بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير ، وقد صلبه على جذع فوق الثنية - فقال: رأيت كيف نصر الله الحق وأظهره فقالت: ربما أديل الباطل على الحق وأهله وإنك بين فرثها والجنة فقال: إن ابنك ألد في هذا البيت، وقد قال الله تعالى: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ندقه من عذاب أليم" وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم، قالت: كذبت كان أول مولود في الإسلام بالمدينة، وسرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنَّه بيده وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك برّاً بالوالدين صوّماً قوّماً بكتاب الله معظماً لحرم الله؛ يبغض من يعص الله عز وجل، أشهد على رسول الله صلى

الله عليه وسلم لسمعته يقول: سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شرٌّ من الأول، وهو مبير فانكسر الحجاج وانصرف(١).

وأخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى بسند جيد عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب المنبر ثم قال: أيها الناس ما إكثركم في صدقات النساء، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها، فلا أعرفن ما زاد رجل في صدق امرأة على أربعمئة درهم. ثم نزل فاعترضه امرأة من قريش فقالت له: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم؟ قال: نعم. فقالت أما سمعت ما أنزل الله يقول ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٢) فقال: اللهم غفرانك...! كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء. فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر، إن الله يقول

(١) البداية والنهاية ٣٣٥/٨

(٢) سورة النساء _ الآية ٢٠

﴿ **وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا** ﴾ من ذهب. قال: وكذلك هي في قراءة ابن مسعود

فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته.

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن عبد الله بن مصعب قال: قال عمر: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة: ما ذاك لك... قال: ولم...؟ قالت: لأن الله يقول {وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا...} الآية. فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ(١).



(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور _ تفسير الآية ٢٠ من سورة النساء .

ثمار

الورع والتقوى !!!

(١) القصة الأولى:

دخل أحد السلف إحدى المزارع، وكان جائعاً فشدته نفسه لأن يأكل وبدأت المعدة تفرقر، فنظر في الأشجار فرأى تفاحة فمد يده إليها ثم أكل نصفها ثم انتبه من غفلته بسبب الجوع، وقال لنفسه: ويحك ! كيف تأكل من ثمار غيرك بدون استئذان، وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة ، يطلب منه أن يحلله من هذه التفاحة ، فبحث عنه حتى دُل علي داره، فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة، قال له: دخلت بستانك الذي بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها ثم تذكرت أنها ليست لي وأريد منك أن تعذرنى وتسامحنى . فقال صاحب المزرعة: أسامحك بشرط.

قال: وما هو هذا الشرط.

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتي.. قال أتزوجها!

قال صاحب المزرعة: ولكن ابنتي: عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، صماء لا

تسمع.

فأخذ يفكر: ماذا أفعل ؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وترتيبها وخدمتها خير من نار جهنم جزاء ما أكل من التفاح، فقبل الزواج، ثم جاء يوم الزفاف وقد غلب عليه الهم، فلما دخل عليها، فإذا بها تقوم إليه وتقول له: السلام

عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها تخيل أن أمامه حورية من حور العين في الجنة.

قال بعد صمت: ماذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر!!! ثم أخبرها بما قال عنها أبوها، قالت صدق أبي، ولم يكذب.

قال: اصدقيني الخبر.

قالت: أبي قال عني إني خرساء لأنني لم أتكلم بكلمة حرام، ولا أتكلم مع رجل لا يحل لي، وإني صماء لأنني ما جلست في مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإني عمياء، لأنني لم أنظر إلي أي رجل لا يحل لي.

أتدري من هذا الرجل الورع؟؟؟

إنه ثابت بن النعمان (رحمه الله) وقد أنجب من هذه المرأة التقية الإمام العالم الورع التقي الزاهد أبو حنيفة النعمان الذي ملأ علمه طباق الثري.

٢) القصة الثانية:

كان بمدينة مرو رجل اسمه نوح بن مريم وكان رئيس مرو وقاضيا وكان له نعمة كبيرة وحال موفورة وكانت له ابنة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال قد خطبها جماعة من الأكابر والرؤساء وذوي النعمة والثروة فلم ينعم بها لأحد منهم وتحير في أمرها ولم يدر لأيهم يزوجها وقال إن زوجتها لفلان أسخطت فلاناً وكان له غلام هندي تقي اسمه مبارك وكان له كرم عامر الأشجار والفاكهة والثمار.

فقال للغلام أريد أن تمضي وتحفظ الكرم لينظره، فقال له: يا مبارك ناولني عنقود عنب فناوله عنقوداً من العنب فوجده حامضاً فقال له سيده أعطني غير هذا فناوله عنقوداً حامضاً، فقال له سيده: ما السبب في أنك لا تناولني من هذا

الكثير غير الحامض، فقال: لأنني لا أعلم أحامض هو أم حلو فقال له سيده سبحان الله لك في هذا الكرم شهر كامل ما تعرف الحامض من الحلو، فقال: وحقك أيها السيد أنني ما ذقته ولم أعلم أحامض أم حلو فقال له لم لا أكلت منه فقال لأنك أمرتني بحفظه ولم تأمرني بأكله فما كنت أخونك فعجب القاضي منه فقال له حفظ الله عليك أمانتك وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل فقال له القاضي أيها الغلام قد وقع لي رغبة فيك وينبغي أن تفعل ما أمرك به فقال الغلام أنا مطيع لله ولك فقال القاضي: أعلم أن لي بنتاً جميلة وقد خطبها كثير من الرؤساء والتقدمين ولا أعلم لمن أزوجها فأشر علي بما ترى فقال الغلام: إن الكفار في زمن الجاهلية كانوا يريدون الأصل والنسب والبيت والحسب واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يطلبون الدين والتقوى.

أما وفي زماننا هذا فالناس يطلبون المال فاختر من هذه الأربعة ما تريد فقال القاضي قد اخترت الدين والأمانة وجربت منك العفة والصيانة.

فقال الغلام أيها السيد أنا عبد رقيق هندي أسود أبتعتني بمالك كيف تزوجني بإبنتك وترضاني فقال له القاضي قم بنا إلى البيت لندبر هذا الأمر فلما صاروا إلى المنزل قال القاضي لزوجته اعلمي أن هذا الغلام الهندي دين تقي وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوجه ابنتي فما تقولين فقالت الأمر إليك ولكن أمضي إلى الصبية وأخبرها وأعيد عليك جوابها فجاءت المرأة إلى الصبية وأدت إليها رسالة أبيها فقالت مهما أمرتاني به فعلته ولا أخرج من تحت حكمكما ولا أعاندكما بالمخالفة بل أبركما فزوج القاضي ابنته بالمبارك واعطاهما مالا عظيماً فأولدها المبارك ولداً وسماه عبد

الله وهو معروف في جميع العالم وهو عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزاهد ورواية الأحاديث فما دامت الدنيا يحدث عنه يروى^(١).

٣) القصة الثالثة:

كَبُرَ عبد الله بن المبارك المحدث العظيم وتزوج ، ثم نزل به في بعض الأيام عشرة من العلماء ولم يكن عنده ما يضيفهم به وما كان يملك سوى فرس يحج عليها سنة ويغزو سنة، فذبح ذلك الفرس وطبخ منه، وقدمه بين يدي أضيافه، فقالت له زوجته: سبحان الله ما كنت تملك سوى هذا الفرس من الدنيا فلم ذبحته، فدخل سريعاً الى بيته وأخرج من متاع بيته بقدر مهرها وطلقها في وقته وساعته، وقال: امرأة تبغض الأضياف لا تصلح لنا، فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له يا امام المسلمين لي بنت وقد توفيت أمها، وهي في كل يوم تمزق دست ثياب حزناً وغمماً، واليوم تريد أن تقصد مجلسك فقل في تسليتها شيئاً لعل قلبها يرق، فلما جلس على المنبر ذكر من هذا الباب ما تسلت به الصبية، عن أمها فلما عادت الى البيت قالت: يا أبت قد تبت ولا أعود أسخط الله تعالى، ولكن لي اليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أنت تقول دائماً أرباب الأحوال وأبناء الدنيا يطلبونك ويخطبونك فناشدتك الله لا تزوجني لغير عبد الله بن المبارك فإن كان ماله دنيا فإن لنا دنيا، فزوجها أبوها بعبد الله بن المبارك وحمل إليه جهازاً كثيراً ومالاً كبيراً وأنفذ إليه عشرة أفراس ليجاهد عليها في سبيل الله، فرأى عبد الله في بعض الليالي في منامه قائلاً يقول: إن كنت طلقت من أجلنا عجوزاً فقد أعطيناك صبية بكرةً، وإن كنت ذبحت

(١) كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك .

فرساً واحداً، فقد أعطيناك عشرة أفراس وعضها لتعلم أن الحسنه بعشر أمثالها عندنا، ولا يضيع عندنا أجر المحسنين، وما عاملنا أحد فخر (١).

٤) القصة الرابعة:

يحكى أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح وله زوجة دينه تقيه ذات رأي وحزم فأوحى الله تعالى الى نبي الزمان أن قل لذلك العبد الصالح أني قدرت له أن يمضي نصف عمره بالغنى ونصفه بالفقر فإن اختار أن يكون غناه في شببته اغنياه وإن اختار أن يكون في شيخوخته قدرنا له ذلك فيسرناه له.

لما أعلم الرجل ذلك أخبر به زوجته وقال لها: قد جاء خطاب من الله تعالى وقص عليه ما سمعه وقال لها ما تريد فقالت له الاختيار إليك فقال الرجل: قد رأيت الفقر في الشببية فإذا كنت شاباً فقيراً احتملت وصبرت عليه فإذا صرت كبيراً غنياً كان لي ما أتقوت به وأشتغل بطاعة ربي وعبادته فقالت المرأة أيها الرجل: إذا كنا في الشببية في ضنك ولم نقدر على طاعة ربنا تعالى ولم تصل أيدينا الى فعل الخيرات وإعطاء الصدقات فالواجب أن تختار الغنى في زمان الشباب فيكون لنا شباب وغنى وطاعة، فنقدر حينئذ على عبادته بأجسامنا وأموالنا، فقال الرجل: نعم ما رأيت وكذلك نفعل فنزل الوحي على نبي ذلك الزمان، فقال قل: لذلك الرجل إذا آثرت طاعتنا واستفرغت جهدك في عبادتنا واتفقت نيتك ونية زوجتك على طاعتنا، فقد قضيت وقدرت أن أقضي جميع عمرك في الغنى وكن أنت وزوجتك على عبادتي ومهما رزقتكما فتصدقا به على بريتي ليكون لكما حظ الدنيا والآخرة (٢)

(١) المرجع السابق .

(٢) التبر المسبوك في نصيحة الملوك.

تأملات

قبل أن أنام بلحظات وأنا على الفراش قبل كم ليلة التفت إلى زوجتي وتأملت شكلها وهي نائمة فقلت في نفسي: المسكينة بعد أن عاشت بين أبويها وأهلها سنين جاءت لتنام بجانب رجل غريب عنها وتركت بيت الوالدين وتركت الدلع على الوالدين وتركت التمتع في بيت أهلها وجاءت إلى رجل يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر وتخدمه في ما يرضي الله وكل ذلك بأمر الدين .. سبحان الله.

ومن ثم تساءلت بيني وبين نفسي: كيف هان على بعض الرجال أن يضربوا زوجاتهم بكل قسوة بعد أن تركت بيت أهلها وأنت إليه .؟

كيف هان على بعض الرجال أن يخرج مع الصحبة ويذهب إلى المطاعم ويأكل ولا يبالي بمن في بيته .؟

كيف هان على بعض الرجال أن يجعل مدة جلوسه خارج البيت أكثر من جلوسه مع زوجته وأبنائه .؟

كيف هان على بعض الرجال أن يجعل البيت سجن لزوجته لا يخرجها ولا يأتس معها .؟

كيف هان على بعض الرجال أن يجعل زوجته تنام وفي قلبها قهر على شئ ما وفي عينها دمة تخنقها .؟

كيف هان على بعض الرجال أن يسافر ويترك زوجته وأولاده ولا يبالي بمصيرهم في مدة غيابه .؟

كيف هان على بعض الرجال أن يمشي مع امرأة غريبة وزوجته الطاهرة في البيت تنتظره .؟

كيف هان على بعض الرجال التخلي عن مسئوليته التي سيسأل عنها كما أخبرنا الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟.

كيف هان على بعض الرجال أن يرى زوجته تعمل وتصرف عليه وهو في البيت يأكل ويشرب بدون مبالاة يارب اجعلني اتقي فيك زوجي واجعل زوجي يتقيك في (١).

الرضا

○ قال الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجهها، ولها زوج قبيح، فقلت: يا هذه، أترضين أن تكوني تحت هذا ؟ فقالت: يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه، فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي، أفلا أرضي بما رضي الله به؟.

○ لله درك من امرأة لبيبة عاقلة مؤمنة تقية راضية، موقنة، بقول رسول الله ﷺ: " ارض بما قسمه الله تكن أغني الناس " (٢) (٣).

○ وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجهها، وكان هو من أقبح الناس وجهها ، فقال لها يوما: أنا وإياك في الجنة إن شاء الله تعالى.. فقالت له: وكيف ذلك ؟ فقال: لأنني أعطيت مثلك فشكرت.. وأعطيت مثلي فصبرت.. والصابر والشاكر في الجنة (٤).

(١) الدكتور عائض القرني .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد والترمذي ، عن أبي هريرة (مشكاة المصابيح كتاب الرقاق ٣/١٤٣٠ .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ص ٥٠٣ .

(٤) المرجع السابق.

- وقيل لأعرابية ظريفة: ما بال شفئك مشقة؟ فقالت: إن التين إذا حلا تشقق، والورد يتشقق إذا مسه الندي.
- ما أحلاها من كلمات مملوءة بالرضا.. (١) .

صرخة إلي الآباء

أحمل حُلماً بقلبي الصغير	أبي..كنت يوماً أعيش الحنان
وأبصرت عمري أمامي يطيّر	كبرت وتاهت بي الأمنيات
وقطعت دوني جميع الجسور	سجنت فوادي بحصنٍ منيع
تهيجُ جنوناً وتُبدي النفور	إذا جاء شخصٌ يريد زواجي
وهذا طويلٌ وذاك قصير	فهذا كبيرٌ وذاك صغير
ما بُعثت إلى الله يوم النشور	فماذا عسى أن تقول إذا

حسن الأخلاق

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢)

(١) المرجع السابق ص ٤٧٦

(٢) سورة النساء _ الآية ١٩٠ .

حسن الأخلاق بين كلا الزوجين، تورث المودة والمحبة بينهما، حتي ولو كانا في حال الفراق، وهذا ما حدث بين الحسن بن علي رضي الله عنهما، وزوجته عائشة الخثعمية، عندما أُصيب علي بن أبي طالب، بُويع الحسن بالخلافة، قالت له: لتهنك الخلافة يا أمير المؤمنين ! فقال: يُقتل علي وتظهرين الشماتة؟ اذهبي فأنت طالق ثلاثا، قال: فتلفعت بجلبابها، وقعدت حتى انقضت عدتها، فبعث إليها بعشرة آلاف متعة، وبقية ما بقي من صداقها، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، فلما أخبره الرسول، بكى وقال: لولا أني أبنت الطلاق لها لراجعتها. رواه الدار قطني عن سويد بن غفلة .

كما تدين تدان

كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة في نهاية الحسن والجمال والظرف والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة.

فجاء السقاء على عادته يوماً وقلب الماء في البات وكانت المرأة قائمة في وسط الدار فدنا منها واخذ بيدها ولواها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها.

فلما جاء زوجها من السوق قالت له أريد أن تعرفني أي شيء صنعت اليوم في السوق لم يكن لله تعالى فيه رضا فقال الرجل ما صنعت شيئاً فقالت المرأة ان لم تصدقني وتعرفني فلا أقعد في بيتك ولا تعود تراني ولا أراك فقال اعلمي أن في يومنا

هذا اتت امرأة الى دكاني فصنعت لها سواراً من ذهب فأخرجت المرأة يدها ووضعت السوار في ساعدها فحيرت من بياض يدها وحسن زندها فتذكرت هذا المثوي في سَاعِدِهَا سُورًا تَبْرٍ وَأَرَى كَنَارًا يُلُوحُ فَوْقَ مَاءٍ جَارِيٍّ ثُمَّ أَخَذَتْ يَدَهَا فَعَصَرَتْهَا وَلَوَيْتَهَا فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَمْ فَعَلْتُ مِثْلَ هَذَا الْحَالِ لَا جَرَمَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ الْبَيْتَ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَمْ نَرِ مِنْهُ خِيَانَةً أَخَذَ الْيَوْمَ يَدِي فَعَصَرَهَا وَلَوَاهَا فَقَالَ الرَّجُلُ الْأَمَانَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ مِمَّا بَدَأَ مِنِّي فَاجْعَلِيَنِي فِي حُلِّ فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ اللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةَ أَمْرِنَا إِلَى خَيْرٍ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ الرَّجُلَ السَّقَاءُ اجْعَلِيَنِي فِي حُلِّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَضَلَّنِي وَأَغْوَانِي فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ امْضِ فِي حَالِ سَبِيلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ الْخَطَأَ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ صَاحِبِ الدَّكَانِ فَاقْتَصِ اللَّهُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا^(١).

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم	وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين فإن أقرضته	كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا	سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة ماجد	ما كنت هتাকা لحرمة مسلم
من يزن يزن به ولو بجداره	إن كنت يا هذا لبيبا فافهم
من يزن في قوم بألفي درهم	يزن في أهل بيته ولو بالدرهم

قال العلماء: إذا تاب الزاني تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك .

جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ ، بل إذا حسنت توبته قد تبدل سيئاته إلى حسنات بسعة فضل الله ورحمته كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (٢).

ومقتضى مغفرة الله للذنوب وقبوله للتوبة أن لا يعاقب عليه.

أما من أصر على الزنا ولم يتب منه فقد ثبت في حقه أنواع من العقوبات في الدنيا، وفي القبر، وفي الآخرة، ولم نجد نصاً يدل على منعه من الحور العين ، لكن قاسه بعض العلماء على ما ثبت من الوعيد في حق من مات ولم يتب من شرب الخمر أنه لا يشربها في الآخرة، ووعيد من لم يتب من لبس الحرير في الدنيا بأنه لا يلبسه في الآخرة ، قال ابن القيم رحمه الله وهو يعدد العقوبات التي تقع على الزاني إذا لم يتب: ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن والله سبحانه وتعالى إذا كان قد عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة ، فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا. بل كل ما ناله العبد في الدنيا من حرام فاته نظيره يوم القيامة (٣) .

(١) سورة الزمر _ الآية ٥٣ .

(٢) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٨ : ٧٠ .

(٣) روضة المحبين لابن القيم ص ٣٦٥ .

عفة الربيع بن خثيم رحمه الله - :

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعها أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيا عليها. فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

مكارم الأخلاق

تخاصم رجل وزوجته في نفقة .. فقال القاضي للمرأة .. قومي واكشفي عن وجهك .. فقال الرجل لماذا؟! قال القاضي : ليراها الشهود وهي سافرة عن وجهها ، فقال الرجل: ما ادعته علىّ فهو حق .. فقالت المرأة: أنا برأت هذا الرجل من مهري في الدنيا والآخرة .

فقال القاضي: يكتب ذلك في مكارم الأخلاق.

قصة وعبرة

روي أن امرأة دخلت على داود عليه السلام فقالت: يا نبي الله ! ربك ظالم أم عادل ؟ فقال داود: ويحك يا امرأة هو العدل الذي لا يجور. فقال لها: ما قصتك ؟ قالت: أنا أرملة، عندي ثلاثة بنات أقوم عليهن من غزل يدي ، فلما كان أمس شددت غزلي بخرقة حمراء، وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه وأطعم أطفالي ، فإذا بطائر انقض علي وأخذ الخرقة والغزل وذهب ، وبقيت حزينة لا أملك شيئاً أطعم به أطفالي. فبينما كانت المرأة مع داود عليه السلام في الكلام إذا بالباب يطرق على داود، فأذن بالدخو ، وفوجئ حينها بعشرة من التجار، كل واحد بيده (١٠٠) دينار، قالوا: يا نبي الله أعطها لمستحقها . فقال داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال ؟ قالوا: يا نبي الله ! كنا في مركب ، فهاجت علينا الريح، وأشرفنا على الغرق، فإذا بطائر يلقي علينا خرقة حمراء وفيها غزل ، فسدنا به عيب المركب ، فهانت علينا الريح، وانسد العيب، ونذرنا إلى الله أن يتصدق كل واحد منا بـ (١٠٠) دينار، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت.

فالتفت داود عليه السلام إلى المرأة وقال لها: ربي يجزيك في البر والبحر وتجعلينه ظالماً؟! .. وأعطاهما المال، وقال: أنفقيه على أطفالك..

إنصاف البنات

دخل عمرو بن العاص رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب. فقال عمرو: انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال معاوية: لا تقل يا عمرو ذلك، والله ما مرض المريض، ولا نذب الموتى، ولا أعان على الإخوان إلا هن. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك حبيتهم إلى. (١)

أم عطية الأنصارية

وهي نسيبة بنت الحارث وقيل نسيبة بنت كعب من فقهاء الصحابة لها عدة أحاديث وهي التي غسلت بنت النبي زينب حدث عنها محمد بن سيرين وأخته حفصة بنت سيرين وأم شراحيل وعلي بن الأقرم وعبد الملك بن عمير وإسماعيل بن عبد الرحمن وعدة عاشت إلى حدود سنة سبعين وهي القائلة نهينا عن اتباع الجنابة ولم يعزم علينا حديثها مخرج في الكتب الستة. (٢)

قالت (رضي الله عنها): غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام. رواه مسلم. (٣)

(١) المستطرف في كل فن مستظرف .

(٢) سير أعلام النبلاء.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف .

أم الدرداء الصغرى

(هجينة بنت يحيى الوصائية)

روت علماً جماً عن زوجها أبي الدرداء وعن سلمان الفارسي وعن عائشة وعن أبي هريرة ؛ وعرضت القرآن على أبي الدرداء واشتهرت بالعلم والعمل وكانت تقية زاهدة ؛ عاشت طويلاً حتى أدركت خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان مرة جالساً في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء جالسة معه حين نودي لصلاة المغرب فقام وقامت تتوكأ عليه حتى دخل بها المسجد وكانت عالمة فقيهة يجلس إليها الرجال فيقرأون عليها وكان عبد الملك بن مروان يستمع إليها .

رفيدة الأنصارية

كانت رضي الله عنها ، تخرج للمعركة لتداوي الجرحى وتسقي العطشى فكان لها خيمة تداوي فيها الجرحى وتحسب ذلك عند ربها ، وعندما أصيب سعد بن معاذ في معركة الخندق قال رسول الله ﷺ : " اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب " .(١)

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري .

تلميذة عائشة

عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية الفقيهة ، تربية عائشة وتلميذتها، روى القاسم بن محمد أنه قال: أتيتها - لطلب العلم - فوجدتها بحرًا لا ينزف^(١).

أم البنين

أخت عمر بن عبد العزيز (رحمهما الله) كانت تعتق في كل جمعة رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله ﷻ. ومن أقوالها :

- أف للبخل ، لو كان قميصا ما لبسته ، ولو كان طريقا ما سلكته .
- ما تحلى المتحلون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة الله ﷻ في صدورهم.
- جعل لكل قوم نهمة في شئ وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء.. والله للصلة والمواساة أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ.. وهل ينال الخير إلا باصطناعه .^(٢)

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٨ .

(٢) صفة الصفوة ٤/١٧٤ .

خولة بنت الأزور

من مواقفها الرائعة موقفها يوم أسر النساء في موقعة صحورا (بالقرب من مدينة حمص السورية) .

فقد وقعت فيهن، وكانت قد أسرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن، وتضرم نار الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن.

فقالت: خذن أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم ، فقالت عفراء بنت عفار: والله ما دعوت إلا إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت.

ثم تناولت كل واحدة منهن عموداً من عمد الخيام، وصحن صيحة واحدة. وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابعن وراءها، فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض ومن كالحلقة الدائرة.

ولا تتفرقن فتملكن ، فيقع بكن التشتيت، واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم.

وهجمت خولة وهجمت النساء من ورائها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستमित، حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تبع وحمير	وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تستعر	اليوم تسقون العذاب الأكبر

سبق الفارس الملتئم جيش المسلمين، وفي شجاعة نادرة اخترق صفوف الروم، وأعمل السيف فيهم، فأربك الجنود، وزعزع الصفوف، وتطايرت الرعوس، وسقطت الجثث على الأرض، وتناثرت الأشلاء هنا وهناك، وتعالَت الصرَّخات من الأعداء والتكبيرات من جيش المسلمين.

ليت شعري من هذا الفارس؟ وأيم الله، إنه لفارس شجاع...كلمات قالها خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين في معركة أجنادين عندما لمح الفارس وهو يطيح بسيفه هامات الأعداء، بينما ظن بعض المسلمين أن هذا الفارس لا يكون إلا خالدًا القائد الشجاع.

لكن خالدًا قد قرب منهم، فسألوه في تعجب، من هذا الفارس الهمام؟ فلا يجبههم، فتزداد حيرة المسلمين وخوفهم على هذا الفارس ولكن! ما لبث أن اقترب من جيش المسلمين وعليه آثار الدماء بعد أن قتل كثيرًا من الأعداء، وجعل الرعب يدبُّ في صفوفهم، فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس بذل نفسه في سبيل الله! اكشف لنا عن لثامك.

لكن الفارس لم يستجب لطلبهم، وانزوى بعيدًا عن المسلمين، فذهب إليه خالد وخاطبه قائلاً: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي لفعلك، من أنت؟ فأجابه: إنني يا أمير لم أُعرض عنك إلا حياءً منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور. فلما علم خالد أنها امرأة سألها، وقد تعجَّب من صنيعها: وما قصتك؟ فقالت المرأة: علمتُ أن أخي ضرارًا قد وقع أسيرًا في أيدي الأعداء، فركبتُ وفعلتُ ما فعلتُ. قال خالد: سوف نقاتلهم جميعًا ونرجو الله أن نصل إلى أخيك فنفكه من الأسر.

واشتبك جيش المسلمين مع الأعداء وقتلوا منهم عددًا كبيرًا، وكان النصر للمسلمين، وسارت تلك الفارسة تبحث عن أخيها، وتسال المسلمين عنه، فلم تجد ما يشفى صدرها ويريح قلبها، فجلست تبكى على أخيها وتقول: "يا بن أُمى ليت شعري... فى آية بِيَدَاءِ طَرَحُوكَ، أم بأى سِنَانِ طَعْنُوكَ، أم بِالْحُسَامِ قَتْلُوكَ. يا أحمى لك الفداء، لو أنى أراك أنقذك من أيدى الأعداء، ليت شعري أترى أنى لا أراك بعدها أبدًا؟ لقد تركت يابن أُمى فى قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها، ليت شعري، لقد لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي، فعليك منى السلام إلى يوم اللقاء.

فما أن سمعها الجيش حتى بكوا وبكى خالد بن الوليد.

وما هى إلا لحظات حتى أتى الخبر بالبشرى بأن أخاها مازال على قيد الحياة، وأن جيش الأعداء قد أرسله إلى ملك الروم مكبلاً بالأغلال، فأرسل "خالد" "رافع بن عميرة" فى مائة من جيش المسلمين ليلحق بالأعداء ويفك أسر أخيها، فما إن سمعت بخروج "رافع بن عميرة" حتى أسرعت إلى خالد تستأذنه للخروج مع المسلمين لفك أسر أخيها، فذهبت معهم حيث أعدوا كمينًا فى الطريق، وما إن مرَّ الأعداء بالأسير حتى هجموا عليهم هجمة رجل، واحد وما لبثوا أن قضاوا عليهم وفكوا أسر أخيها وأخذوا أسلحة العدو.

تلك هى الفارسة الفدائية خولة بنت الأزور، صاحبية جليلة، أبّلت بلاء حسنًا فى فتوح الشام ومصر. وكانت من أشجع نساء عصرها .

وتمر الأيام، وتظهر بسالة تلك المرأة، ومدى دفاعها عن الإسلام، ففى موقعة "صجورا" وقعت هى ونسوة معها فى أسر جيش الروم.

ولكنها أبت أن تكون عبدة في جيش الروم، فأخذت تحت أخواتها على الفرار من الأسر، فقامت فيهن قائلة: يا بنات حمير وبقية تبع، أترضين لأنفسكن أن يكون أولادكن عبيدًا لأهل الروم، فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب؟ وإنى أرى القتل عليكن أهون مما نزل بكن من خدمة الروم.

فألهمت بكلامها حماس النسوة، فأبين إلا القتال والخروج من هذا الذل والهوان.

وقالت لهن: خذوا أعمدة الخيام، واجعلوها أسلحة لكن، وكنن في حلقة متشابكات الأيدي مترابطات، لعل الله ينصرنا عليهم، فنستريح من معرة العرب. فهجمت وهجم معها النسوة على الأعداء وقاتلن قتال الأبطال حتى استطعن الخروج من معسكر الأعداء وتخلصن من الأسر. ولم تنته معارك خولة في بلاد الشام، فقد أسر أخوها ضرار مرة أخرى في معركة مرج راهط، فاقتحمت الصفوف من أجله.

وخاضت مع المسلمين معركة أنطاكية حتى تم النصر فيها للمسلمين، كما اشتركت -أيضًا- في فتح مصر، وغدت مفخرة نساء العرب ورجالهم. وظلت السيدة خولة -رضى الله عنها- على إيمانها وحبها للفداء والتضحية، ودفاعها عن دين الله، ورفع لواء الإسلام حتى تُوفيت في آخر خلافة عثمان بن عفان -رضى الله عنه.

من الذاکرات

• أم المؤمنین جویریة بنت الحارث رضی الله عنها :

عن ابن عباس رضی الله عنهما، عن جویریة رضی الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: " ما زلت على الحال التي فارقتك عليها " فقالت: نعم، قال النبي ﷺ: " لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته " رواه مسلم^(١).

انظروا إلى هذه المرأة الجلیلة أم المؤمنین جویریة بنت الحارث رضی الله عنها كيف جلست من بعد صلاة الصبح في مسجدها (أي موضع صلاتها) ، حتى الضحى وهي تذكر ﷻ ، تركها النبي ﷺ وهي تذكر ربها ثم رجع وهي على تلك الحال، فكم كانت قلوبهم متعلقة بذكر الخالق العظيم حيث لا يفترون عن ذكره .. نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

(١) صحيح مسلم شرح النووي ٤٤/١٧.

صوامة قوامة

عَنْ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ فَجَاءَ خَالَهَا قُدَامَةُ وَعُثْمَانُ ابْنَا مَظْعُونٍ ، فَبَكَتْ ، وَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ مَا طَلَّقْتَنِي عَنْ شَيْعٍ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَجَلَّبَبْتُ ، فَقَالَ : " إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِي : رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ " رواه الطبراني برجال الصحيح ، والحاكم في المستدرک .

وعن أنس ؓ أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد طلقت حفصة؟ وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة" رواه الطبراني وغيره.

لما كانت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها لها حال مع الله ﷻ في الصيام والقيام ... فهذا الحال جعل الله ﷻ يذكرها في حال شدتها وحاجتها ، ويرسل جبريل عليه السلام ليأمر النبي ﷺ أن يراجعها ويذكر له هاتين الصفتين التي أحبها الله ﷻ بهما " فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ " .

أختي المسلمة اسألي الله ﷻ أن يرزقك هاتين الصفتين .

غيرة عائشة

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: لما كانت ليلتي التي كان رسول الله ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعها عند رجلية، وبسط طرف إزاره علي فراشه، فأضجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب ثم أجافه رويداً، فجعلت درعي في رأسي، واختمت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت علي إثره، حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول، فهرولت، فأحضر فأحضرت . أي عدا فعدوت . فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضجعت فدخل، فقال: مالك يا عائشة حشياً رابية . أي تضطرب بطنك كالتي أرهق الربو أحشائها . قالت: قلت: لا شيء . قال : " تخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير ، قالت: يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي، فأخبرته، فقال : " فأنت السوادُ الذي رأيتُ أمامي "؟ قالت: نعم، فلهديني) ضربني بمجمع كفه في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال : " أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله ؟ قال : " نعم ، فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك . أي أخفى النداء . فأحبيته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد

وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك ،
 وخشيت أن تستوحشي، فقال :. أي جبريل . : إن ربك يأمرك أن
 تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم " قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول
 الله ؟ قال : " قولي : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
 والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء
 الله بكم للاحقون " رواه مسلم .

ما أرفقك بزوجك يا رسول الله !!! حيث خرجت برفق وقد ظننت أن أم
 المؤمنين نائمة فخشيت أن توقظها ، وبعد عودتك من البقيع ما منعك ما رأيت
 منها أن تدلها بقولك " مالك يا عائش ؟ " ما أعظم حسن عشرتك وصدق
 الله حيث مدح أخلاقك فقال " وإنك لعلى خلق عظيم .

وما أدكى أم المؤمنين عائشة حين علمت أن الأمر ليس كما كانت تظن
 فغيرت بذكاء مجرى الحديث والحوار والعتاب بطريقة طيبة مهذبة مملوءة
 بالهفة للتعليم .. واستجاب لها رسول الله ﷺ وعلمها .

ثلاثة وثلاثة

ثلاثة أشياء تُسقط قيمة المرأة: حُب المال والأنانية وحُب السيطرة.
وثلاثة ترفعها: حُب التضحية والوفاء والفضيلة. (من كلام د. إبراهيم الفقي).

أربعة وأربعة

أربعة من النساء في الجنة، وأربعة في النار وذكر من الأربعة اللواتي في الجنة امرأة عفيفة، طائعة لله ولزوجها، ولودا صابرة، قانعة باليسير مع زوجها، ذات حياء، إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله، وإن حضر أمسكت لسانها عنه، وامرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وريتهم وأحسنن إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا.

وأما اللواتي في النار: فامرأة بذينة اللسان على زوجها، إن غاب عنها لم تصن نفسها، وإن حضر آذته بلسانها.. وامرأة تكلف زوجها مالا يطيق.. وامرأة لا تستر نفسها من الرجال، وتخرج من بيتها متبرجة.. وامرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم، وليس لها رغبة في صلاة، ولا في طاعة الله ﷻ، ولا طاعة رسوله ﷺ، ولا طاعة زوجها^(١).

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ،

(١) كتاب الكبائر للذهبي (بدون إسناد).

وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيِّئُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ : الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ " .
(١)

خمس بخمس

ذكر الحارث ابن أسد المحاسبي وأصبع، وخلف بن القاسم، وجماعة عن سعيد بن مسلمة قال: بينما امرأة عند عائشة إذ قالت: بايعت رسول الله ﷺ علي أن لا أشرك بالله شيئاً، ولا أسرق، ولا أزني، ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتان أفتره بين يدي ورجلي، ولا أعصي في معروف، فوفيت لربي .. فو الله لا يعذبني الله .

فأتاها في المنام ملك فقال لها: كلا، إنك تتبرجين، وزينتك تبدين، وخيرك تكندين، وجارك تؤذين، وزوجك تعصين، ثم وضع أصابعه الخمس علي وجهها وقال: خمس بخمس.. ولو زدت زدناك.. فأصبحت وأثر الأصابع في وجهها (٢).

(١) صحيح ابن حبان « كِتَابُ النِّكَاحِ » ذَكَرَ الْإِخْبَارَ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مِنْ... رَقْم ٤١٢٢ ، المعجم الكبير للطبراني « بَابٌ فِي إِكْرَامِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ رَقْم ٣٣٣ ، المعجم الأوسط للطبراني « بَابُ السَّيْنِ » مَنْ اسْمُهُ : سَعِيدٌ رَقْم ٣٧٣٠ ، المستدرک علی الصحیحین « كِتَابُ الْإِمَامَةِ وَصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ » بَابُ التَّأْمِينِ ١٤٤/٢ ، وصحيح الجامع الصغير رقم ٨٨٧ وصححه الألباني.

(٢) كتاب الروح لابن القيم - ص ٢٥٢ .

نسيان الجميل

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر ، إلى المصلى ، فمر على النساء ، فقال: " يا معشر النساء ! تصدقن ، فإني أريتكن أكثر أهل النار " فقلن : وبما يا رسول الله ؟ قال : " تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " قلن : ما نقصان ديننا وعقلنا ؟ قال : " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ " قلن : بلى . قال: " أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تصم ؟ " قلن : بلى . قال : " فذلك من نقصان دينها " متفق عليه (١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ ﷺ: إِنَّ

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الإيمان ١ / ١٤ .

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا
لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا
فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعَكَعْتَ قَالَ ﷺ: "إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عَنْقُودًا وَلَوْ
أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَأُرَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ
قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ" قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:"
بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ
أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ
مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " (١).

وكانت الخيرزان جارية اشتراها الخليفة المهدي من النخاس وأعتقها وتزوجها،
وأنفذ أمرها، وأعد لولديها بولاية العهد .. فكانت إذا غضبت، تقول له في وجهه: ما
رأيت منك خيراً قط !!! .

واشتري المعتمد بن عباد (ملك المغرب) جارية فأعتقها، وجعلها ملكة، وحين
رأت الجواري يلعبن في الطين، حنت لماضيها، فاشتتت أن تلعب في الطين مثلهن،
فأمر أن يوضع لها طيب لا يحصى علي شكل طين ، فخاضت فيه ولعبت ، فكانت

(١) صحيح البخاري « كتاب الكسوف » باب صلاة الكسوف جماعة_ رقم ١٠٠٤ .

إذا غضبت منه، قالت له: ما رأيت منك خيراً قط !!! فيتبسم ويقول لها: ولا يوم الطين ؟!!! (١).

(١) المعتمد بن عباد ملك أشبيلية في عصر ملوك الطوائف من بني عباد، ولد في باجة (إقليم في البرتغال حالياً) وتوفي في أغمات قرب مراكش بالمغرب ٤٣١ هـ: ٤٨٨ هـ، ١٠٤٠: ١٠٩٥ م اسمه محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي أبو القاسم المعتمد على الله.

كان المعتمد بن عباد حين آل إليه حكم إشبيلية سنة ٤٦١ هـ، ١٠٦٨ م وكان في الثلاثين من عمره، امتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية. واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية.

عاش ابن عباد في أيام ملوك الطوائف وهم ملوك تقاسموا الدولة الأموية في الأندلس وحكم كل واحد منهم جزءاً أو دويلة حتى بلغ مجموع تلك الدويلات إحدى وعشرين دولة، لكل دولة منها عرش وملك وجيش ضعيف، ولما رأى ضعفهم وتفرقهم ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة هجم على طليطلة فاجتاحها لاستردادها، ثم أرسل له رسولاً ومعه خمسمئة فارس يحمل رسالة تهديد من الفونسو بأن على المعتمد أن يتنازل عن حصون معينة وحشد الرسالة بالتهديد، فثار المعتمد وجمع العلماء فاتفقوا على الاستجداء بزعم المرابطين يوسف بن تاشفين في الشمال الأفريقي وتم القرار في الحال، فأمر المعتمد بقتل الفرسان المسيحيين جميعاً وضرب الرسول وبصق في وجهه، وفي الحال أصدر بن تاشفين نداء بـ) الجهاد (فتسابق شباب المسلمين إلى الساحة وأقبل المطوعون من أرجاء البلاد حتى ازدحمت البلاد بالمجاهدين المسلمين، وأقبل الفونسو في أربعين ألف جندي وكتب إلى أمير المسلمين ابن تاشفين يتهدده فكتب له على ظهر خطابه (جوابك هو ما سوف ترى) ثم التقى الجمعان في مكان قريب من بطليموس (Badajoz حالياً) على حدود البرتغال في سهل واسع من الأرض يقال له الزلاقة.

كانت استجابة يوسف بن تاشفين سريعة مذهلة، فقد أقبل في قرابة مئة سفينة ونيف وعشرين ألف جندي واندفع إلى الزلاقة فوجد المعتمد بن عباد قد سبقه وقضى ليلة كاملة يهاجم وتنهشه الجراح وفي اللحظة المناسبة وصل المرابطون وقائدهم إلى قلب المعركة وتكامل عدد الأسبان خمسين ألفاً. هرب القائد ألفونسو في بضعة رجال وكانت الواقعة في يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان حيث قتل جميع الجيش المسيحي فلم يعد منهم سوى ثلاثمائة.

كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أول الأمر يحترم المعتمد بن عباد ويقول هو ضيفنا، ولكن نفراً بين المعتمد وابن تاشفين ووشوا إلى ابن تاشفين أن المعتمد يميل إلى الترف.

انتهى أمر المعتمد أن وقع في قبضة يوسف بن تاشفين فحبسه في سجن أغمات، فقيراً مجرداً من ماله ومقيداً، وأظله عيد وهو في السجن فقال يصف هذا المشهد الذي يقطع نياط القلوب: =

صدق رسول الله ﷺ، فهي طبيعة المرأة، فلا بأس أن تتذكر بعد أن تنسى،
وتعرف جميل زوجها فمن لم يشكر الناس ويعرف حقوقهم ، لم يشكر الله عز وجل
.. وعدم شكر المرأة لزوجها يستوجب سخط الله عليها، فعن عبد الله بن عمرو-
رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: " لا ينظر الله إلى امرأة لا
تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه . " رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح
الإسناد، ولم يُخرجاه (١).



فجاءك العيد في أغمات مأسورا
يغزلن للناس ما يملكن قظميرا

= فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة

(١) المستدرک علی الصحیحین « کتاب النکاح » لا ینظر الله إلى امرأة لا تشکر لزوجها رواه الحاکم ٤ / ١٧٤ .

المرأة السوء

- المرأة السوء غل يلقيه الله ﷻ في عنق من يشاء من عباده.
- وقيل لأعرابي (كان ذا تجربة بالنساء) : صف لنا شر النساء، فقال:
 شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم .. المحياض .. الممرضات .. المصفرة ..
 الميشومة .. العسرة .. المباشومة .. السلطة .. البطرة .. النفرة .. السريعة ..
 الوثبة .. كأن لسانها حربة .. تضحك من غير عجب .. وتبكي من غير
 سبب .. وتدعو على زوجها بالحرب .. أنف في السماء وإست في الماء ..
 عرقوبها حديد .. منتفخة الوريد .. كلامها وعيد .. وصوتها شديد .. تدفن
 الحسنات .. وتفشى السنات .. تعين الزمان على بعلمها ، ولا تعين بعلمها على
 الزمن .. ليس في قلبها عليه رافة .. ولا عليها منه مخافة .. إن دخل خرجت
 ، وإن خرج دخلت .. وإن ضحك بكى .. وإن بكى ضحكت .. وإن طلقها كان
 حربته .. وإن أمسكها كانت مصيبته .. سعاء ورهاء .. كثيرة الدعاء .. قليلة
 الإرعاء .. تأكل لما .. وتوسع نما .. صخوب غضوب .. بذية دنية .. ليس تطفأ
 نارها .. ولا يهدأ إعصارها .. ضيقة الباع مهتوكة القناع .. صبيها مهزول ..
 وبيتها مزبول .. إذا حدثت تشير بالأصابع .. وتبكي في المجامع .. بادية من
 حجابها .. نباحة على بابها .. تبكي وهي ظالمة .. وتشهد وهي غائبة .. قد
 ذل لسانها بالزور .. وسال دمعها بالفجور .
- وقيل في وصف المرأة السوء: امرأة سمعنة نظرنة .. وهي التي إذا سمعت
 أو تبصرت فلم تر شيئاً تظننت تظنناً .

- قال أعرابي: مفنة معنة كالدُّب وسط الغنه إلا تره تظنه .
 - وقيل المرأة السوء على بعلمها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير .
 - وفي حكمة داود: المرأة السوء مثل شرك الصياد ، لا ينجو منها إلا من رضي الله عنه.
 - وقيل البلاء كله موكلاً بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها ولا تقر العين برؤيتها.
 - وعن عروة بن الزبير قال: ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء.
 - وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام: المرأة العاقلة تبني بيتها والسفيهة تهدمه.
 - وقال: الجمال كاذب والحسن مختلف وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة.
 - وقال بعضهم :
- لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذبها فيه نكير ومنكر
- وقال زيد بن عمر :
- أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت أبا الله إلا خزيها فتعود (١)
- وفي الدعاء: يُقَالُ كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَرْبَعَةً ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : أَمَّا اللّٰوَاتِي أَسْأَلُكَ ، فَلِسَانًا ذَاكِرًا وَقَلْبًا شَاكِرًا ، وَبَدَنًا صَابِرًا ، وَزَوْجَةً تُعِينُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي.

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص ٨٥٩ .

وَأَمَّا اللَّوَاتِي أَعُوذُ بِكَ مِنْهُنَّ ، فَأَعُوذُ بِكَ مِنْ مَنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ سَيِّدًا ، وَمِنْ
 امْرَأَةٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ وَقْتِ الْمَشْيِبِ ، وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ وَبَالًا عَلَيَّ ، وَمِنْ جَارٍ لَوْ
 رَأَى مِنِّي حَسَنَةً كَتَمَهَا ، وَلَوْ رَأَى مِنِّي سَيِّئَةً أَفْشَاهَا (١).

○ أختي المسلمة هذه الصفات المذمومة لا أراها إلا صفات نساء من أهل
 النار، عافاك الله ﷻ منها.



(١) وفي الطبراني: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ، وَمِنْ رَوْحِ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ الْمَشْيِبِ، وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ
 عَلَيَّ رَبًّا، وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا، وَمِنْ خَلِيلٍ مَآكِرٍ عَيْنُهُ تَرَانِي، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي؛ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا،
 وَإِذَا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا) الطبراني في الدعاء، ٣ / ١٤٢٥، برقم ١٣٣٩، وهناد في الزهد، برقم ١٠٣٨،
 وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧ / ٣٧٧، برقم ٣١٣٧، قلت: وهذا إسناد جيد، رجاله
 كلهم من رجال التهذيب.

أحاديث في النساء

(١) عن يحيى بن جعدة عن النبي ﷺ قال: خَيْرُ فَائِدَةٍ اسْتَفَادَهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا.

(٢) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: مَا اسْتَفَادَ رَجُلٌ أَوْ قَالَ عَبْدٌ بَعْدَ إِيمَانٍ بِاللَّهِ خَيْرًا مِنْ امْرَأَةٍ حَسَنَةِ الْخُلُقِ وَدُودٍ وَلُودٍ وَمَا اسْتَفَادَ رَجُلٌ بَعْدَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ شَرًّا مِنْ امْرَأَةٍ سَيِّئَةِ الْخُلُقِ حَدِيدَةِ اللِّسَانِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْهُنَّ غُنْمًا لَا يُحْدَى مِنْهُ وَإِنَّ مِنْهُنَّ غُلًّا لَا يُفْدَى مِنْهُ.

(٣) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قَالَ: مَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ الرَّجُلِ كَمَثَلِ التَّاجِ الْمُتَخَوِّصِ بِالذَّهَبِ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ وَمَثَلُ الْمَرْأَةِ السُّوءِ عِنْدَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ .

(٤) عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: ثَلَاثَةٌ يَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: رَجُلٌ أَعْطَى سَفِيهَاً مَالَهُ وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا تُؤْتُوا

السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْهَا أَوْ
لَمْ يُفَارِقْهَا وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَلَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهِ. (١).

٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالثَّلَاثِ الْفَوَاقِرِ، قَالَ: وَمَا هُنَّ؟
قَالَ: إِمَامٌ جَائِرٌ، إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَشْكُرْ وَإِنْ أَسَأْتَ لَمْ يَغْفِرْ وَجَارٌ
سُوءٌ إِنْ رَأَى حَسَنَةً غَطَّاهَا وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا وَامْرَأَةٌ السُّوءِ إِنْ
شَهِدْتَهَا غَاضَبْتِكَ وَإِنْ غَبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ.

٦) عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ جَدَّةِ بْنِ هُبَيْرَةَ كَانَتْ إِذَا زَوَّجَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ خَلَا بِهَا فَيَنْهَاهَا عَنْ
سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ وَأَمْرَهَا بِأَحْسَنِهَا.

(١) فالحديث أخرجه الحاكم في مستدرکه وصححه، عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً، ونصه قال صلى
الله عليه وسلم: " ثلاثة يدعون الله، فلا يستجاب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها،
ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل أعطى سفيهاً ماله، وقد قال عز وجل: (وَلَا تُؤْتُوا
السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ) (النساء: ٥) .

وأما عن فقه الحديث وتفسيره، فقد قال العلامة المناوي في فيض القدير: " ثلاثة يدعون الله فلا
يستجاب لهم: " رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق " (بالضم) " فلم يطلقها "، فإذا دعا عليها لا يستجيب
= له، لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها " .ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد
عليه"، فأنكره، فإذا دعا لا يستجيب له، لأنه المفرط المقصر بعدم امتثال قوله تعالى: (وَاسْتَشْهِدُوا
شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) البقرة: ٢٨٢.

" ورجل أعطى سفيهاً " أي: محجوراً عليه بسفه "ماله" أي شيئاً من ماله، مع علمه بالحجر عليه، فإذا
دعا عليه لا يستجيب له، لأنه المضيع لماله فلا عذر له، وقد قال تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ)
[النساء: ٥]. انتهى كلام العلامة المناوي. والله أعلم.

(٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: النِّسَاءُ ثَلَاثَةٌ: امْرَأَةٌ هَيِّنَةٌ لَيِّنَةٌ عَفِيفَةٌ مُسْلِمَةٌ وَدُودٌ وَلُودٌ تُعِينُ أَهْلَهَا عَلَى الدَّهْرِ وَلَا تُعِينُ الدَّهْرَ عَلَى أَهْلِهَا وَقَلَّ مَا يَجِدُهَا، ثَانِيَةٌ: امْرَأَةٌ عَفِيفَةٌ مُسْلِمَةٌ إِنَّمَا هِيَ وَعَاءٌ لِلْوَلَدِ لَيْسَ عِنْدَهَا غَيْرُ ذَلِكَ ، ثَالِثَةٌ : غُلٌّ قَمِلٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَنْزِعُهَا غَيْرُهُ، الرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ عَفِيفٌ مُسْلِمٌ عَاقِلٌ يَأْتِمُرُ فِي الْأُمُورِ إِذَا أَقْبَلَتْ وَيُسْنِبُ ، فَإِذَا وَقَعَتْ يَخْرُجُ مِنْهَا بِرَأْيِهِ وَرَجُلٌ عَفِيفٌ مُسْلِمٌ لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ فَإِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ أَتَى ذَا الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةَ فَشَاوَرَهُ وَاسْتَأْمَرَهُ ثُمَّ نَزَلَ عِنْدَ أَمْرِهِ، وَرَجُلٌ جَائِرٌ حَائِرٌ لَا يَأْتِمُرُ رُشْدًا وَلَا يُطِيعُ مُرْشِدًا(١) .

(٨) أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى : أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ : كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ لِبِعْلِهَا فِي الْجَمَالِ ، كَالْمَلِكِ الْمُتَوَجِّعِ بِالتَّاجِ الْمُخَوَّصِ بِالذَّهَبِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ السُّوءَ لِبِعْلِهَا كَالْحِمْلِ الثَّقِيلِ عَلَى ظَهْرِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، وَأَنَّ حُطْبَةَ الْأَحْمَقِ فِي نَادِي الْقَوْمِ كَالْمُعْنَى عِنْدَ رَأْسِ الْمَيْتِ، وَلَا تَعِدْ أَخَاكَ، ثُمَّ لَا تُنَجِرْ

لَهُ، فَإِنَّهُ يُورِثُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً، مَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ بَعْدَ الْجَهْلِ، وَمَا أَقْبَحَ الْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَاءِ، وَمَا أَقْبَحَ الضَّلَالَةَ بَعْدَ الْهُدَى (١).

(٩) وعن عمارة بن خزيمة بن عمرو قال كنا مع عمرو بن العاصي في حج أو عمرة فلما كنا بمر الظهران إذا امرأة في هودجها واضعة يدها على هودجها فلما نزل دخل الشعب ودخلنا معه فلما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة وإذا بغراب أعصم المنقار والرجل فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا كقدر الغراب في هذه الغربان، قال أبو عمر: الأعصم الأحمر. (٢).

(١٠) وعن عبادة أن رسول الله ﷺ قال: " مثل المرأة المؤمنة كمثل الغراب الأبلق في غربان سود لا ثانية لها ولا شبه لها ومثل المرأة السوء كمثل بيت مزرق ظهره خرب جوفه كظلمة لا نور لها يوم القيامة والله إني لأخشى أن لا تقوم امرأة عن فراش زوجها مجانبة له إلا هي عاصية لله ولرسوله " (٣).

(١) مصنف الرزاق _ كتاب الجامع _ حق الرجل على امرأته _ رقم ٢٠٥٩٣.

(٢) رواه الطبراني واللفظ له وأحمد ورجال أحمد ثقات.

(٣) رواه الطبراني وإسحاق بن يحيى بن لم يدرك عبادة ويقية رجاله ثقات.

(١١) وعن عبد الرحمن بن أبزي قال قال داود النبي ﷺ كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك كما تزرع تحصد ومثل المرأة الصالحة لبعلمها كالمملك المتوج بالمخوص بالذهب كلما رآها قرت بها عيناه ومثل المرأة السوء لبعلمها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير. قلت فذكر الحديث وهو في المواعظ بتمامه (١).

(١٢) وعن الحسن ، قال : أتت بنت لرسول الله ﷺ تشكو زوجها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : " ارجعي يا بنية ، لا امرأة بامرأة حتى تأتي ما يحب زوجها وهو وازع ، ولو كنت أمر شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لبعلمها من عظم حقه عليها ، وإن خير النساء التي إن أعطيت شكرت أمسك عنها صبرت " قال الحسن : ولو أقسمت ما هي بالبصرة لصدقت هاهنا: حمش وجوه، وشق جيوب، وتنف أشعار، ورن شيطان (٢).

(١) رواه الطبراني و رجاله رجال الصحيح.

(٢) مصنف عبد الرازق _ كتاب الجامع _ حق الرجل على امرأته _ رقم ٢٠٥٩٤.

(١٣) أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقِ كَالسَّقَاءِ الْوَاهِي فِي الْمَعْطَشَةِ ، وَمَثَلُ الْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ الْفَاجِرَةِ كَمَثَلِ خَنْزِيرٍ فِي عُنُقِهِ طَوْقٌ مِنْ ذَهَبٍ " (١) .

(١٤) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَدْعُوَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّهُ أَجَلٌ قَدْ حَضَرَ " ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَأَخْرُ ثَلَاثَةَ دَفَنَتُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " حَامِلَاتٌ ، وَالِدَاتٌ ، رَحِيمَاتٌ بِأَوْلَادِهِنَّ ، لَوْلَا مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَتْ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ " (٢) .

(١٥) أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ كَعْبًا ، قَالَ : أَوَّلُ مَا تُسْأَلُ عَنْهُ الْمَرْأَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ صَلَاتِهَا ، وَعَنْ حَقِّ زَوْجِهَا . (٣) .

(١٦) عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالْمَسْكِنُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ

(١) مصنف عبد الرزاق _ كتاب الجامع _ حق الرجل على امرأته _ رقم ٢٠٦٠٠ .

(٢) مصنف عبد الرزاق _ كتاب الجامع _ حق الرجل على امرأته _ رقم ٢٠٦٠٢ .

(٣) المرجع السابق _ رقم ٢٠٦٠٧ .

الصالح ومن شقاوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء " (١).

(١٧) وعن محمد بن سعيد يعني ابن أبي وقاص عن أبيه أيضا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة من السعادة المرأة الصالحة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطيفة فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق وثلاث من الشقاء المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق " (٢).



(١) صحيح رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني والبخاري والحاكم وصححه إلا أنه قال والمسكن الضيق ، وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: "أربع من السعادة المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وأربع من الشقاء الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق .."

(٢) رواه الحاكم وقال تفرد به محمد يعني ابن بكير الحضرمي فإن كان حفظه بإسناده على شرطهما قال الحافظ محمد هذا صدوق وثقه غير واحد.

أخبار النساء

- حكى عن بعض المشايخ أنه كانت له جارية سفيهة اللسان، قليلة الأحسان، وكانت تأخذ من عرضه وتؤذيه، وما كانت تراقب الله فيه، وكان من كبار المشايخ، وكانت القراءة تأوي إليه وتبيت عنده . فسمعوها وهي تأخذ من عرضه وتستطيل عليه. فقالوا له يوما: لم لا تبيعها وتستخلف غيرها وتستريح مما أنت فيه من مكائدها وسوء فعالها ؟.

قال: والله إني لأستحي من الله أن أبلى مسلماً بها.

- وحكى أيضا: أن بعض المشايخ كانت له زوجة سوء.. وكانت لا تزال تهينه في كل وقت، وتأخذ من عرضه وهو صابر عليها.. فلما كان في بعض الأيام، أخذ المصحف الشريف على عادته كي يقرأ.. فأول ما فتحه وجد فيه: (يَا عِبَادِ لَا

خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا

مُسْلِمِينَ. ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ)، فوضع المصحف من

يده على كرسيه ثم قال: اللهم لا تفعل، اللهم لا تفعل، اللهم لا تفعل، أسألك بهذا الكتاب العزيز، وبكل كتاب أنزلت ، وكل نبي أرسلت ، اللهم لا تفعل .. وجعل يقسم على الله تعالى ، فقالت له زوجته: ما بك يا رجل ؟ وما الذي دهاك ؟ فإني أراك تقسم على الله - سبحانه وتعالى - بهذه الأقسام ..؟ فقال: يا امرأة، وكيف لا

أقسم وقد قال الله عز وجل: (**أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ**) فإنني في هذه الدنيا

التي هي ساعة لا أقدر أن أقاسمك فيها، فكيف يكون في دار الأبد الأزلي؟ .
 قالت: يا رجل لا تدع الله بهذا فإنني تائبة واني لا أعود إلى مثل ذلك، ولا أوديك ،
 ولا أشغل لك قلبا، ولا أضيق لك صدراً في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله
 تعالى، لعل الله سبحانه يجمع بيننا في الآخرة .

• وحكي عن بعض الصالحين أنه كانت له زوجة، وكانت سليطة اللسان عليه،
 وكانت تبتليه بأشد البلاء فلما ماتت، فوقف على قبرها وقال اشهدوا علي رحمكم
 الله أنها طالقة مني ثلاثاً؟ .

قالوا: ويحك إنها قد بانت منك، وهي طالقة منك شئت أم أبيت، فما يحتاج إلى
 ذكر ذلك.؟ .

فقال: بلى، خيفة أن تكون زوجتي في الجنة، فإني لقيت منها في هذه الدنيا
 إبتلاءً شديداً، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يعذبني بها في الدنيا والآخرة .

• تنافرت امرأة وزوجها إلى أسلم بن قتيبة فقالت: أبغضه والله لخصال فيه
 فقال: وماهي؟ قالت: هو قليل الغيرة، سريع الطيرة، شديد العتاب، كثير الحساب،
 قد أفل نخره، وأدبر دفره، وهجمت عيناه، وأضطربت رجلاه، يفيق سريعا، وينطق
 وجيعا، يصبح خليا، ويمسي رحيماً، إن جاع جزع، وإن شبع جشع.

• نظر خالد بن صفوان إلى جماعته في مسجد البصرة فقال: ماهذه الجماعة؟
 قالوا: إن امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها: أريد امرأة؟ قالت: صفها لي.
 قال: أريد بكرةً كفيت، أو ثيباً، حلوة من قريب، تحفه من بعيد، كانت في نعمة
 فأصابتها حاجة، فيها أدب النعمة وذل الحاجة، إذا أجمعنا كنا أهل دنيا، وإذا

hفتفرقنا كنا أهل آخرة . قالت: قد أصبتها لك . قال: وأين هي ؟ قالت: في الجنة، فاصعد إليها .

• عن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء وسلمان أولاد يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهما، فأتوا منزلاً فانطلق سلمان وأصحابه لحاجتهم، وبقي عطاء يصلي في منزلة. فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فأوجز في صلاته ثم قال لها: ألك حاجة ؟ فقالت: نعم ، قال: وماهي ؟ قالت: قم فأصب مني فإني أردت ولا بعل لي . فقال لها: إليك عني ولا تحرقيني ونفسك في النار.. والمرأة تراوده عن نفسه، فجعل يبكي ويقول: إليك عني.. ثم أشتد بكاءه، فلما نظرت المرأة إله ملت بكاءه . فبينما هما في ذلك إذ أقبل سلمان، فجعل يبكي في ناحية من الدار لبكائه.. وكان أصحابه يأتون رجلاً رجلاً ، ويبكون ولا يسألون عن أمرهم، حتى كثر البكاء.

فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت، وقام القوم فتفرقوا. فلبث سلمان بعد ذلك دهرًا طويلاً لا يسأل أخاه عن قصته وقصة المرأة ، وذلك إجلالاً له ، وكان أسن منه.

• قال رجل لمعشوقته: أعطني خاتمك أذكرك به، فقالت: خاتمي من ذهب وأخاف أن يذهب، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود.

• قال رجل لحياة بنت شريح: أريد أن أتزوج، فما ترين ؟ قالت: كم المهر ؟ قال: مائه دينار ، قالت: لا تفعل، لك أن تتزوج بعشرة دنانير، فإن وافقتك ربحت تسعين ديناراً، وإن لم توافقك تزوج أخرى، فلا بد في عشرة نسوة أن توافقك امرأة واحدة.

- قال الغزالي: تعس عبد المرأة.. إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا.

وقد سمي الله الرجال ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (١).

وسمى الزوج سيذا، فقال تعالى (وألفيا سيدها لدى الباب) فإذا انقلب

السيد مسخرا فقد (بدل نعمة الله كفرا) ونفس المرأة على مثال نفسك إن

أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وإن كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها.

- قال الشافعي رضي الله عنه: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي، أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفضاظتك برفقك.

- وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج وكانت المرأة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه انزعي زج رمحه فإن سكت فقطعي اللحم على ترسه فإن سكت فكسري العظام بسيفه فإن سكت فاجعلي الإكاف على ظهره وامططيه فإنما هو حمارك.

- وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في

جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن (**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**) وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة.

- وقالوا: آخر عمر الرجل خير من أوله، يثوب حلمه، وتثقل حصاته، وتخدم شرارته، وتكمل تجارته.. وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها، ويذوب لسانها، ويعقم رحمها، ويسوء خلقها.
- وقد قال صلى الله عليه وسلم في خيرات النساء (إنكن صواحبات يوسف) (١) يعني أن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى.

(١) ونص الحديث: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ فَلَوْ أَمَرْتُمْ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ فَلَوْ أَمَرْتَ عَمَرَ قَالَ إِنَّكَ لَأَنْتَنَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً فَقَامَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلَاهُ يَخْطَانِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّيَ قَائِمًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ قَاعِدًا يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ مُفْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رواه البخاري - أبواب صلاة الجماعة والإمامة - باب الرجل يأتي بالإمام ويأتم الناس بالمأموم رقم ٦٨١، صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب استخلاف - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس رقم ٤١٨).

• قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(١). أي مالت قلوبكما.

• ويقال: إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها، فعلامه ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه، كأنها تنظر إلى إنسان غيره؛ وإذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر إليه.

• عن أبو الحسن المدائني: كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بشير، وكان شديد الغيرة، فأشرفت يوماً تنظر إلى وفد من جذام، كانوا عنده، فزجرها. فقالت: والله لأبغض الحلال من جذام، فكيف تخافني على الحرام فيهم. وقالت له يوماً: عجباً منك كيف يسودك قومك؟ وفيك ثلاث خلال: أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها، وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه. وأما الجبن فإني لي نفس واحدة، فأنا أحوطها، فلو كانت لي نفس أخرى جدت بها. وأما الغيرة فأمر لا أريد أن أشارك فيه، وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذف به في حجره. فقالت:

وهل هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجلها بعـل

فإن أنجبت مهراً عريقاً فبالحري وإن يك إقراراً فما أنجب الفحل

• وقال عمر بن الخطاب: يا بني السائب، إنكم قد أضويتم فانكحوا في النزاع.

• وقالت العرب: بنات العم أصبر، والغرائب أنجب.

(١) سورة التحريم - الآية ٤ .

- والعرب تقول: اغتربوا لا تزواوا. أي انكحوا في الغرائب، فإن القرائب يضيون البنين.
- وقالوا: إذا أردت أن يصلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها، وكذلك الفرعة.
- ولما خرجت الخوارج بالأهواز، أخذوا امرأة فهموا بقتلها، فقالت لهم: أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين؟ فأمسكوا عنها.
- قال رجل للرشيد، في بعض حديثه: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة. قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، فكيف طلق خمسا؟ قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوما فوجدهن متلاحيات متنازعات، وكان شنظيرا. فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك، يقول ذلك لامرأة منهن، اذهبي فأنت طالق. فقالت له صاحبتها: عجلت عليها الطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا. فقال لها: وأنت أيضا طالق. فقالت الثالثة: قبحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين. فقال: وأنت أيتها المعددة أيديهما طالق أيضا. فقالت له الرابعة، وكانت هلاية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق. فقال لها: وأنت طالق أيضا. وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة. قال: وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك. فأجابه من داخل بيته: هيه، قد أجزت، قد أجزت.
- ودخل المغيرة بن شعبه على زوجته فارعة الثقفية، وهي تتخلل، حين انفتلت من صلاة الغداة، فقال لها: إن كنت تتخللين من طعام اليوم إنك لجشعة، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لبشعة، كنت فبنت. فقالت: والله ما اغتبطنا إذا كنا

- ولا أسفنا إذ بنا، وما هو لشيء مما ذكرت، ولكني استكتت فتخللت للسواك. فخرج المغيرة نادما على ما كان منه. فلقية يوسف بن أبي عقيل، فقال له: إني نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف، فتزوجها فإنها ستنجب فتزوجها. فولدت له الحجاج.
- وقال الحسن بن علي بن الحسن لامرأته عائشة بنت طلحة: أمرك بيدك. فقالت: قد كان عشرين سنة بيدك فأحسننت حفظه، فلن أضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة، وقد صرفته إليك. فأعجبه ذلك منها وأمسكها.
 - ونكح رجل امرأة من العرب، فلما اهتداها رأيت ريع داره أحسن ريع، وشمل عياله أجمع شمل، فقالت: أما والله لئن بقيت لهم لأشتتن أمرهم، وقالت في ذلك: أرى ناراً سأجعلها إرينا ... وأترك أهلها شتى عزيزنا
 - وقيل لأعرابي: هل لك في النكاح؟ قال: لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها.
 - وعن الزهري قال: قال أبو الدرداء لامرأته: إذا رأيتني غضبت ترضيني، وإن رأيتك غضبت ترضيتك، وإلا لم نصطحب.
 - قال الزهري: وهكذا يكون الإخوان.
 - قال الأصمعي: كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب، فكنت إذا استأذنت عليه يقول: يا أمانة، انذني له. فتقول: ادخل. فاستأذنت عليه مراراً، فلم أسمعته يذكر أمانة، فقلت: يرحمك الله، ما أسمعك تذكر أمانة؟ قال: فوجم وجمة. فندمت على ما كان مني، ثم أنشأ يقول:

ونجوت من غل الوثاق

قلبي ولم تبك المآقي

النفس تعجيل الفراق

ظننت أمانة بالطلاق

بانة فلم يأل لها

ودواء ما لا تشتهييه

والعيش ليس يطيب من إلفين من غير اتفاق

- وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى. فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه. فدخل عليه أشعب، فقال له: أبلغ سعدى عني رسالةً، ولك مني خمسة آلاف درهم. فقال: عجلها. فأمر له بها. فلما قبضها قال: هات رسالتك، فأنشدها:

أسعدى ما إليك لنا سبيلٌ
ولا حتى القيامة من تلاق
بلى، ولعل دهرًا أن يواتي
بموت من خليلك أو فراق

- فأتاها فاستأذن فدخل عليها. فقالت له: ما بدا لك من زيارتنا يا أشعب؟ فقال: يا سيدتي. أرسلني إليك الوليد برسالة، وأنشدها الشعر. فقالت لجواريتها: خذن هذا الخبيث. فقال: يا سيدتي، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم. قالت: والله لأعاقبك أو لتبلغن إليه ما أقول لك. قال: سيدتي اجعلي لي شيئاً. قالت لك بساطي هذا. قال: قومي عنه. فقامت عنه وألقاه على ظهره. وقال: هاتي رسالتك، فقالت: أنشده:

أتبكي على سعدى وأنت تركتها ... فقد ذهب سعدى فما أنت صانع

- فلما بلغه وأنشده الشعر سقط في يده، وأخذته كظمة ثم سرى عنه، فقال: اختر واحدةً من ثلاث: إما أن نقتلك، وإما أن نطرحك من هذا القصر، وإما أن نلقيك إلى هذه السباع. فتحير أشعب وأطرق حيناً، ثم رفع رأسه فقال: يا سيدي، ما كنت لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدى. فتبسم وخلي سبيله.

- وممن طلق امرأته فتبعته نفسه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، أمره أبوه بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثل:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير شيء تطلق

- وقال رجل للحسن: إن لي بنية، فمن ترى أن أزوجها؟ قال: زوجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.
- وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة. فقال عمر: وصلك الله يا أمير المؤمنين، فقد كفيت المسألة، وأجزلت في العطية.
- قيل للحسن: فلان خطب إلينا فلانة، قال: أهو موسر من عقل ودين؟ قالوا: نعم، قال: فزوجوه.
- وقال رجل لحيوة بن شريح: إني أريد أن أتزوج، فماذا ترى؟ قال: كم المهر؟ قال مائة. قال: فلا تفعل. تزوج بعشرة وأبق تسعين. فإن وافقتك ربحت التسعين وإن لم توافقك تزوجت عشراً، فلا بد في عشرة نسوة من واحدة توافقك.
- وقال رجل: أردت النكاح فقلت: لأستشيرن أول من يطلع علي، ثم أعمل برأيه، فكان أول من طلع هبنقة القيسي، وتحتة قصبه، فقلت له: أريد النكاح فما تشير علي؟ قال البكر لك والثيب عليك، وذات الولد لا تقربها، واحذر جوادي لا ينفحك.
- وعن الأصمعي قال: أخبرني رجل من بني العنبر عن رجل من أصحابه، وكان مقلاً، فخطب إليه أكثر من مال، مقل من عقل، فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يزيد. فقال: لا تفعل ولا تزوج إلا عاقلاً ديناً، فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها. ثم شاور رجلاً آخر يقال له أبو العلاء، فقال له: زوجه فإن ماله لها وحمقه على نفسه. فزوجه فرأى منه ما يكره في نفسه وابنته، فقال:

ولهفي إذ أطعت أبا العلاء

ألهفي إذ عصيت أبا يزيد

وكانت زلفة من غير ماء

وكانت هفوة من غير ريح

- في البكر والثيب وكان يقال: البكر كالدرة تطحنها وتعجنها وتخبزها، والثيب عجالة راكب تمرّ وسويق.
- تُنهي المرأة عن الهرولة في السعي أمام الرجال، ويُدفع بها لتهرول أمام الملايين، وهذا بالطبع وفق الضوابط الشرعية، إلى متى يستغفلون المسلمين؟ (د. محمد الدويش).
- عن عروة بن الزبير قال: ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء. ثم قال: لعن الله فلانة، ألفت بني فلان بيضاً طوالاً فقلبتهم سوداً قصاراً.
- قال بعض شعراء بني أسد:

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

- قال الأصمعي: قال ابن زبير: لا يمنعكم من تزوج امرأة قصيرة قصرها، والقصيرة تلد الطويل؛ وإياكم والمذكرة فإنها لا تنجب.
- عن أوفى بن دلهم أنه كان يقول: النساء أربع، فمنهنّ معمع لها شيئها أجمع، ومنهنّ تبع تضرّ ولا تنفع، ومنهنّ صدع تفرّق ولا تجمع، ومنهنّ غيث همع إذا وقع ببلد أمرع.
- أبو عمرو بن العلاء قال: قال رجل: لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها. قيل له: كيف ذاك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأمها فإنها تجرّ بأحدهما.
- وقال الفرزدق يصف النساء:

يأنسن عند بعولهنّ إذا خلوا وإذا هم خرجوا فهنّ خفار

- وقال آخر: ابغني امرأة لا تؤهل داراً " أي لا تجعل دارها آهلة بدخول الناس عليها " ، ولا نؤنس جاراً " أي لا تؤنس الجيران بدخولها عليهم " ، ولا تنفث ناراً " أي لا تنم وتغري بين الناس " .
- وقال رجل لصاحب له: ابغني امرأةً بيضاء البياض، سوداء السواد، طويلة الطول، قصيرة القصر. يريد: كل شيء منها أبيض فهو شديد البياض، وكل شيء منها أسود فهو شديد السواد، وكذلك الطول والقصر.
- يحكي: أن رجلاً شاور حكيماً في التزوّج فقال له: افعل، وإياك والجمال الفائق، فإنه مرعى أنيق. فقال: ما نهتني إلا عما أطلب. فقال: أما سمعت قول القائل:
ولن تصادف مرعى ممرعاً أبداً ... إلا وجدت به آثار منتجع
- قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أي النساء أشهى؟ قال: المواتية لما تهوى. قال: فأبي النساء أسوأ؟ قال: المجانبية لما ترضى. قال معاوية: هذا والله النقد العاجل. قال عقيل: بالميزان العادل.
- قيل لعربي: فلان يخطب فلانة. قال: أموسر من عقلٍ ودينٍ؟ قالوا: نعم. قال: فزوجه.
- قالت امرأة خالد بن صفوان له يوماً: ما أجملك! قال: ما تقولين ذاك وما لي عمود الجمال، ولا عليّ رداؤه ولا برنسه. قالت: ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه؟ قال: أما عمود الجمال فطول القوام وفي قصرٍ؛ وأما رداؤه فالبياض ولست بأبيض؛ وأما برنسه فسواد الشعر وأنا أصلع. ولكن لو قلت: ما أحلاك وما أملحك، كان أولى.
- تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه نائلة بنت الفرافصة الكلبية - والفرافصة يومئذ نصرانية - وكان وليها مسلماً وهو أخوها، فحملها الفرافصة. فلما قدمت

على عثمان وضع لها سريراً وله آخر، فقال لها عثمان: إِمَّا أَنْ تَقُومِي إِلَيَّ وَإِمَّا أَنْ أَقُومَ إِلَيْكَ. فقالت: ما تجشمت إليك من عرض السماء أبعد مما بيننا، بل أقوم أنا. فقامت حتى جلست معه على السرير، فوضع قلنسوته فإذا هو أصلع، فقال: يا بنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعتي، فإن وراء ذلك ما تحيين. قالت: إني لمن نسوة أحب بعولتهن إيهن الكهول الصلغ. فقال: اطرحي درعك؛ ثم قال: اطرحي إزارك. قالت: ذك إليك. ومسح رأسها ودعا لها بالبركة؛ فكانت أحب نسائه إليه، وولدت منه جاريةً يقال لها مريم.

• قيل لرجل من العرب كان يجمع الضرائر: كيف تقدر على جمعهن؟ قال: كان لنا شبابٌ يصابرهن علينا، ثم كان لنا مالٌ يصبرهن لنا، ثم بقي خلق حسن، فنحن نتعاشر به ونتعاش.

• مرّت أعرابيةٌ بقوم من بني نمير، فأداموا النظر إليها، فقالت: يا بني نمير، والله ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين: لا بقول الله: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " . ولا بقول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا.

• ذكر عند القاسم بن محمد الغناء والسُّلو عنه، فقال لهم: أخبروني، إذا ميّز أهل الحقّ وأهل الباطل ففي أيّ الفريقين يكون الغناء؟ قالوا: في فريق الباطل. قال: فلا حاجة لي فيه. (١).

• تحذير: كلمة يا خراشي قيلت أول مرة من الناس في مصر قبل ألف عام وأصل هذه الكلمة تنبع من أن أول شيخ للأزهر كان ، يُسمى بالشيخ محمد

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة، المستطرف في كل فن مستظرف ، أخبار النساء لابن الجوزي.

الخراشى، وكان شيخا ينصر الحق ولو كان ضعيفا ولا يخاف الظلم مهما كانت قوته، فكانت كلمة خراشى هي النداء إلى الشيخ الخراشي كي ينصرهم على الظلم الواقع عليهم حتى ولو كان من صاحب سلطان، فإذا ظلمهم ظالم يقولون: يا خراشي، وإذا ظلمهم حاكم البلاد قالوا يا خراشي، وإذا اختلف الناس قالوا يا خراشى حتى عندما تصيبهم مصيبة يقولون يا خراشى، وكم في هذه الكلام من رائحة الشرك حيث الاستعانة بغير الله.

- هل تعلم أن الهدد: إذا غابت أنثاه لا يأكل ولا يشرب ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه.. فإن ماتت لا ينظر لأي أنثى بعدها أبداً!! ويصيح عليها طالما هو عايش. فهل أنت هدهدي؟ مشغول بالدعوة، أم مشغول بالنساء؟.



البسوس

روي عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ *

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾

قال: هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها، وكانت له امرأة يقال لها البسوس، وكان له منها ولد ، وكانت له محبة، فقالت له اجعلي منها دعوة واحدة، فقال لك واحدة، فماذا تأمرين .؟

قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها، رغبت عنه وأرادت شيئاً آخر، فدعا الله عليها أن يجعلها كلبه نباحاً، فذهبت فيها دعوتان، وجاء بنوها.

فقالوا: ليس لنا علي هذا قرار، قد صارت أمنا كلبشة نباح يعيرنا بها الناس، فادعُ الله أن يردها علي الحال التي كانت عليها، فدعا الله، فعادت كما كانت، وذهبت الدعوات، وهي البسوس، وبها قبل وقت المشيب .

يضرب المثل في الشؤم، فيقال: أشأم من البسوس. (٢)

(١) سورة الأعراف _ الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) أسباب النزول للواحي .

أريد زوجة سالحة

من يريد زوجة سالحة
 دعني أعطيك صفاتها في معانٍ واضحة
 تكون لك على درب الحياة صاحبة
 أمينة على مالك و لبيتك حافظة
 إذا نظرت إليها فابتسامتها ساحرة
 لكل همّ وغمّ بك لهما شافية
 إذا سألتني عن أخلاقها فهي ظاهرة
 ذاكرة، نعم الله تعالى شاكرة
 بحجابها جميلة وبحيائها نبيلة
 إذا سألتني عنها قلت صادقة عفيفة
 إذا أصابتك محنة كانت لك موسية
 فهذا قضاء و قدر الله به راضية
 إذا أمرتها فهي لك طائعة
 وإذا ذكرتك في مجلس كانت لك مادحة
 إذا مرضت أصبحت وأمست باكية
 في دجى الليالي تدعو لك بالعافية
 إذا إستشرتها كانت لك ناصحة
 وكيف لا وهي الزوجة السالحة



المرأة الصالحة

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه يقول: " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله " . رواه ابن ماجة (١).

وعن عبد الله بن عمرو ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة " رواه مسلم . (٢).

المرأة الصالحة في ضوء الإسلام، كنز من كنوز الدنيا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَا نَزَلَتْ: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ، كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا: مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَتْرَكَ مَا لَّا لَوْلَادِهِ يَبْقَى بَعْدَهُ . فَقَالَ عُمَرُ: أَنَا أَفْرَجُ عَنْكُمْ قَالَ: فَانْطَلَقُوا وَأَنْطَلَقَ عُمَرُ وَاتَّبَعَهُ ثَوْبَانُ فَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ إِلَّا لِطَيْبٍ

(١) مشكاة المصابيح - كتاب النكاح ٢/٩٣٠.

(٢) صحيح مسلم شرح النووي - باب استحباب نكاح البكر ١٠/٥٦ - والنسائي كتاب النكاح - باب المرأة الصالحة ٣/٣٨١ - ورواه ابن ماجة والإمام أحمد.

بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، وَإِنَّمَا فَرَضَ الْمَوَارِيثَ فِي أَمْوَالِ تَبَقَى بَعْدَكُمْ " قَالَ : فَكَبَّرَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : " أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُهُ الْمَرْءُ ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتُهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ " رواه الحاكم وقال هذا حديثٌ صحيحٌ الإسنادِ ولم يُخرجاهُ (١) .

وهذه الصفات الطيبة التي تصدر من المرأة، هي مقومات السعادة، فيعيش الزوجين حياةً سعيدةً هادئةً مطمئنةً.

اظفر بذات الدين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يدك ". متفق عليه (٢).



(١) المستدرک علی الصحیحین « کتاب التفسیر » تفسیر سورة التوبة « خير ما يکنز المرء المرأة الصالحة _ رقم ٣٣٣٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح - باب الأکفاء في الدين ٣٥/٩ - ومسلم في كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين - ٥١/١٠ - والنسائي ٣٨٠/٣ .

موجبات الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " ألا أخبركم بنسائكم في الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ! قال: " كل ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها أو، غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا اكتحل بغمض حتى ترضى " . رواه الطبراني بإسناد جيد .^(١)

الله أكبر !!!! لو طبقت كل امرأة مع زوجها هذا الحديث، كيف تكون أحوال البيوت؟.

هل مستعدة أختي المسلمة المؤمنة؟.



(١) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح - باب ثواب من زوج الله تعالى ص. ٤٩٣

من جميل

ما يروى في حلم النساء

- حلم صفية بنت حيي بن أخطب زوجة رسول الله ﷺ :

روي أبو عمر بن عبد البر: أن جارية لصفية، قالت لعمر: إن صفية تحب السبب وتصل اليهود فبعث إليها فسألها فقالت: أما السبب فإني لم أحبه منذ أن أبدلني الله تعالى يوم الجمعة وأما اليهود فإن لي فيهم رحما، فأنا أصلها ثم قالت للجارية، ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان فقالت: اذهبي فأنت حرة.

قال أبو عمر: وكانت صفية - رضى الله عنها - حليلة عاقلة فاضلة (١).



من جميل الشعر في النساء

○ قالت الشاعرة المسلمة :

وخير نساء العالمين هي التي تدير شئون البيت أو فيه تعمل
إذا بقيت في البيت فهي أميرة يوقرها من حولها ويُبجل
وإسهامها للشعب أن قدمت له رجالاً أعدوا للبناء وأهلوا
رعتهم صغاراً فهي كانت أساسهم تلقن كلاماً يقول ويفعل

الضعيفين

عن أبي شريح خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرِو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه قال : قال النبي صَلَّى
الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ » حديث
حسن صحيح رواه النسائي بإسناد جيد .
ومعنى « أُحَرِّجُ » : أُلْحِقُ الحَرْجَ ، وَهُوَ الإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا ، وَأُحَدِّثُ مَنْ ذَلِكَ
تَحْذِيرًا بَلِيغًا ، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْرًا أَكِيدًا .

لاحت أعلام الهداية

عن أبى عياش القطانى قال: بلغنا أنه كان ملك كثير المال ، وكانت له ابنة لم يكن له غيرها ، وكان يحبها حبا شديدا، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكث ذلك زمانا ، وكان إلى جانب الملك عابد، فبينما هو يقرأ ذات ليلة إذ رفع صوته وهو يقرأ: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١).

فسمعت الجارية قراءته، فقالت: لجواريتها: كفوا فلم يكفوا، وجعل عابد يُردد الآية، والجارية تقول: كفوا فلم يكفوا، فوضعت يدها في جيبها فشقت ثيابها، فانطلقوا إلى أبيها، فأخبروه بالقصة، فأقبل إليها فقال: يا حبيبتى ! ما حالك منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمها إليه، فقالت: أسألك بالله يا أبت الله ﷻ دار فيها نار وقودها الناس والحجارة ؟ قال: نعم، قالت: وما يمنعك يا أبت أن تخبرني ؟ والله لا أكلت طيبا ولا نمت علي لين حتى أعلم منزلي في الجنة أو النار .!!!!!!!.

(١) سورة التحريم - الآية ٦ .

أدوات تجميل

سئلت امرأة مؤمنة عن أدوات تجميلها فقالت: استخدم الصدق لشفتي.. والقرآن لصوتي.. والرحمة والشفقة لعيني.. والإحسان ليدي.. والاستقامة لقوامي. والإخلاص لله لقلبي.. ما أعفك أيتها المرأة!!!!.

أطيب الطيب

أتدرين ما هو أطيب الطيب؟ إنه عرق النبي ﷺ، فعن أم سليم رضي الله عنها، أن النبي ﷺ: كان يأتيها فيقبل عندها، فتبسط نطعا فيقبل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه، فتجعله في الطيب، فقال النبي ﷺ: " أم سليم! ما هذا؟ " قالت: عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب من الطيب.

وفي رواية: قالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. قال: " أصبت "

متفق عليه . (١)

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الفضائل والشمائل _ باب أسماء النبي ﷺ وصفاته ٣/١٦١١.

لا ضرر ولا ضرار!!!

عَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ" (١).

يقول ابن حجر في الفتح: قوله (باب المُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنْلِ ، وَمَا يُنْهَى مِنْ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ) أَشَارَ بِهَذَا إِلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي تَفْسِيرِ الْخَبْرِ قَالَ : قَوْلُهُ " الْمُتَشَبِّعُ " أَي الْمُتَزَيِّنُ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ يَتَكَثَّرُ بِذَلِكَ وَيَتَزَيَّنُ بِالْبَاطِلِ ؛ كَالْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَلَهَا ضَرَّةٌ فَتَدَّعِي مِنَ الْحِظْوَةِ عِنْدَ زَوْجِهَا أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَهُ تُرِيدُ بِذَلِكَ غِيْظَ ضَرَّتِهَا، وَكَذَلِكَ هَذَا فِي الرِّجَالِ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُهُ " كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ " فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْمُشْبِهَةَ لِثِيَابِ الزُّهَادِ يُوْهَمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَيَظْهَرُ مِنَ التَّخَشُّعِ وَالتَّقَشُّفِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ مِنْهُ، قَالَ: وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالثِّيَابِ الْأَنْفَسَ كَقَوْلِهِمْ فَلَانَ نَقِي الثَّوْبِ إِذَا كَانَ بَرِيئًا مِنَ الدَّنَسِ، وَفُلَانٌ دَنَسَ الثَّوْبَ إِذَا كَانَ مَعْمُوصًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : الثَّوْبُ مَثَلٌ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ صَاحِبُ زُورٍ وَكَذِبٍ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ وُصِفَ بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَدْنَسِ طَاهِرُ الثَّوْبِ وَالْمُرَادُ بِهِ نَفْسُ الرَّجُلِ، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الضَّرِيرُ الْمُرَادُ بِهِ أَنْ شَاهَدَ الزُّورِ قَدْ يَسْتَعِيرُ ثَوْبَيْنِ يَتَجَمَّلُ بِهِمَا لِيُوْهَمَ أَنَّهُ مَقْبُولُ الشَّهَادَةِ اهـ .

(١) صحيح البخاري « كتاب النكاح » باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة _ رقم

وَهَذَا نَقَلَهُ الْخَطَّابِيُّ عَنْ نَعِيمِ بْنِ حَمَادٍ قَالَ: كَانَ يَكُونُ فِي الْحَيِّ الرَّجُلُ لَهُ هَيْئَةٌ وَشَارَةٌ، فَإِذَا اخْتِجَ إِلَى شَهَادَةِ زُورٍ لَبَسَ ثَوْبِيَهُ وَأَقْبَلَ فَشَهِدَ فَقَبِلَ لِنَبْلِ هَيْئَتِهِ وَحُسْنِ ثَوْبِيهِ، فَيُقَالُ أَمْضَاهَا بِثَوْبِيهِ يَعْنِي الشَّهَادَةَ ، فَأُضِيفَ الزُّورُ إِلَيْهِمَا فَقِيلَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ .

وَأَمَّا حُكْمُ التَّنْبِيَةِ فِي قَوْلِهِ " ثَوْبِي زُورٍ " فَلِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ كَذِبَ الْمُتَحَلِّيِّ مَثْنِيٌّ، لِأَنَّهُ كَذَبَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا لَمْ يَأْخُذْ وَعَلَى غَيْرِهِ بِمَا لَمْ يُعْطِ، وَكَذَلِكَ شَاهَدَ الزُّورِ يَظْلِمُ نَفْسَهُ وَيَظْلِمُ الْمَشْهُودَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ الدَّوْدِيُّ : فِي التَّنْبِيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَالَّذِي قَالَ الزُّورَ مَرَّتَيْنِ مُبَالَغَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ إِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَجْعَلُ فِي الْكُفْمِ كَمَا آخَرَ يُوهِمُ أَنَّ الثَّوْبَ ثَوْبَانِ قَالَهُ ابْنُ الْمُنِيرِ . قُلْتُ : وَنَحْوُ ذَلِكَ مَا فِي زَمَانِنَا هَذَا فِيمَا يُعْمَلُ فِي الْأَطْوَاقِ وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ الْأَلْيَقُ ؛ وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: هُوَ أَنْ يَلْبَسَ ثَوْبِيَّ وَدِيْعَةً أَوْ عَارِيَّةً يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّهَا لَهُ وَلِبَاسُهُمَا لَا يَدُومُ وَيَفْتَضِحُ بِكَذِبِهِ . وَأَرَادَ بِذَلِكَ تَنْفِيرَ الْمَرْأَةِ عَمَّا ذَكَرْتُ خَوْفًا مِنَ الْفُسَادِ بَيْنَ زَوْجِهَا وَضَرَّتِهَا وَيُورِثُ بَيْنَهُمَا الْبُغْضَاءَ فَيَصِيرُ كَالسَّحْرِ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ . وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي " الْفَائِقِ " : الْمُتَشَبَّعُ أَيُّ الْمُتَشَبَّهِ بِالشَّبْعَانِ وَلَيْسَ بِهِ، وَاسْتَعِيرَ لِلتَّحَلِّيِّ بِفَضِيلَةٍ لَمْ يُرْزَقْهَا ، وَشَبَّهَ بِلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ أَيُّ ذِي زُورٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَرَيَّا بِزِيٍّ أَهْلِ الصَّلَاحِ رِيَاءً ، وَأَضَافَ الثَّوْبِيَّ إِلَيْهِ لِأَنَّهَا كَالْمَلْبُوسِينَ وَأَرَادَ بِالتَّنْبِيَةِ أَنَّ الْمُتَحَلِّيَّ بِمَا لَيْسَ فِيهِ كَمَنْ لَبَسَ ثَوْبِيَّ الزُّورِ ارْتَدَى بِأَحَدِهِمَا وَاتَّرَرَ بِالْآخَرِ كَمَا قِيلَ " إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا " فَلِلْإِشَارَةِ بِالْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ إِلَى أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالزُّورِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ التَّنْبِيَةُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ حَصَلَ بِالتَّشْبَعِ حَالَتَانِ مَذْمُومَتَانِ: فِقْدَانُ مَا يُتَشَبَّعُ بِهِ وَإِظْهَارُ الْبَاطِلِ . وَقَالَ الْمُطَرِّزِيُّ : هُوَ الَّذِي يُرَى أَنَّهُ شَبْعَانٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. أ.هـ.

ما بهذا أمرنا

روى الحافظ ابن عبد البر: عن أم الحسين أنها كانت عند أم سلمة رضي الله عنها، فأتى مساكين، فجعلوا يلحون وفيهم نساء، فقلت: اخرجوا - أو أخرجن - فقالت أم سلمة - رضي الله عنها: ما بهذا أمرنا يا جارية ردى كل واحد - أو واحدة - ولو بتمرّة تضعيها في يدها.

إياكم وخضراء الدمن

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنه ، يقول: سمعت أبي يتحدث، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للناس: "إياكم وخضراء الدمن قيل: يارسول الله! وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت سوء" (١).

(١) قال عنه العجلوني في كشف الخفاء: رواه الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي والعسكري في الأمثال، وابن عدي في الكامل، والقضاعي في مسند الشهاب، والخطيب في إيضاح الملبس، والديلمى من حديث الواقدي عن أبي سعيد مرفوعاً لكن بزيادة قيل: وماذا يا رسول الله؟ قال: "المرأة الحسناء في المنبت السوء" قال ابن عدي: تفرد به الواقدي وذكره أبو عبيد في الغريب، وقال الدارقطني: لا يصلح من وجهه.=

أصل الدَّمَن: ما تُدَمَّنُه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها، أي: تُلبِّدُه في مرابضها،
 فربما نبت فيها النبات الحسن النضير.

شَبَّه المرأة بما ينبت في الدَّمَن من الكلاب، يُرى له غضارة وهو وبيء المَرَعَى
 مُنْتِن الأصل.

وقال أبو عبيد في "غريب الحديث": أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير
 رِشْدَة.

وإنما جعلها خضراء الدَّمَن؛ تشبيهاً بالبقلة الناضرة في دِمْنَة البعير. "اللسان."

وإنما جعلها خضراء الدمن تشبيهاً بالشجرة الناضرة في دمنه البقرة، وأصل الدمن
 ماتدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها فربما ينبت فيها النبات الحسن وأصله في
 دمنة، يقول: فمنظرها حسن أنيق ومنبتها فاسد، قال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ضربه مثلاً للرجل الذي يظهر المودة وفي قلبه العداوة.



= قال ابن الملقن في البدر المنير: حديث: إياكم وخضراء الدمن قالوا: يا رسول الله وما خضراء
 الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء". رواه الواقدي من رواية أبي سعيد الخدري وهو
 معدود من أفرادهِ، وقد علم ضعفه.

وقال عنه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف جداً.. والخلاصة أن الحديث ضعيف.

كاسيات عاريات

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربن بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت (١) المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا " رواه مسلم (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : " ستكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون علي المياثر (٣) ، يأتوا أبواب المساجد نساءؤهم كاسيات عاريات ، علي رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات ، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهم ، كما خدمكم نساء الأمم قبلكم " فقلت لأبي : وما المياثر ؟ قال سروجاً عظاماً . رواه الحاكم (٤) .



(١) البخت : الجمال الطوال الأعناق .

(٢) مشكاة المصابيح . كتاب القصاص . باب ما لا يضمن من الجنايات ٢ / ١٠٤٦ .

(٣) مراكب عظام (وأظنها السيارات اليوم) .

(٤) في مستدرکه - كتاب الفتن والملاحم ٤ / ١٠٩ .

نساء ملعونات

- لعن رسول الله ﷺ : " المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال " (١)
- لعن رسول الله ﷺ : " المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء " (٢)
- لعن رسول الله ﷺ : " الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل " (٣)
- لعن رسول الله ﷺ : " الواصلة والمستوصلة ، والواثمة والمستوثمة " (٤)
- لعن رسول الله ﷺ : " الواثمات والمستوثمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " (٥).



(١) رياض الصالحين - باب تحريم تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء ص ٥٦٤ .
 (٢) المرجع السابق .
 (٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح (المرجع السابق) .
 (٤) متفق عليه - المرجع السابق ص ٥٦٨ .
 (٥) المرجع السابق .

امراة وامراة

امراة في النار

لِسَانِهَا عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى ، مَوْلَى جَعْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّيُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَفِي شَيْءٍ يُؤْذِي جِيرَانَهَا سَلِيْطَةً، قَالَ : " لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ "

وامراة في الجنة

وَقِيلَ لَهُ ﷺ : إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّيُ الْمَكْتُوبَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ وَلَيْسَ لَهَا شَيْءٌ غَيْرُهُ وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا قَالَ : " هِيَ فِي الْجَنَّةِ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي. (١).



(١) رواه الحاكم في المستدرک . كتاب البر والصلة - ٤ / ١٠٦٦

الفساق

عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الفساق هم أهل النار، قالوا: يا رسول الله ! من الفساق ؟ قال: النساء ، قال رجل: يا رسول الله ! أليس أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا ، قال : بلى ، ولكنهن إذا أعطين لا يشكرن وإذا ابتلين لا يصبرن " (١).



(١) رواه الحاكم في المستدرک وقال علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي ٤ / ٦٠٤ .

نصيحة عمرية

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقيني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ابتعت لحما بدرهم فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: قرم أهلي، فابتعت لهم لحما بدرهم، فجعل عمر يردد: قرم أهلي! حتى تمنيت أن الدرهم سقط مني ولم ألق عمر. كذا في الكنز وفي رواية: قال عمر لجابر: أكلما اشتهيتم شيئاً اشتريتموه؟ أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (١) كذا في المنتخب (٢).



(١) سورة الأحقاف _ الآية ٢٠ .

(٢) حياة الصحابة - باب الإنكار علي من لم يزهد في الدنيا وتلذذ بها ٢٨٤/٢

نصائح غالية

أثرت في حياة أم المؤمنين عائشة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأني رسول الله ﷺ وقد أكلت في اليوم مرتين فقال: يا عائشة! أما تحبين أن يكون لك شغل إلا جوفك؟ الأكل في اليوم مرتين من الإسراف، والله لا يحب المسرفين". أخرجه البيهقي.(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جلست أبكي عند رسول الله ﷺ فقال: ما يبكيك؟ إن كنت تريدين اللحوق بي فليكفك من الدنيا مثل زاد الراكب، ولا تخالطين الأغنياء " كذا في الكنز .

وفي رواية: " ... ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقيه " الترمذي والحاكم والبيهقي .

وفي رواية: قال عروة: فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه، ولقد جاءها يوما من عند معاوية ﷺ ثمانون ألفا، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلا اشتريت لنا منه لحما بدرهم؟ قالت: لو ذكرتيني لفعلت. كذا في الترغيب.(٢).

(١) حياة الصحابة_ المرجع السابق ٢٨٢/٢ .

(١) المرجع السابق.

الحذر .. الحذر من غضب الزوج

• غضب (الله ﷻ . والملائكة .. و حور العين) علي من تؤذي زوجها :

أختي المسلمة لا تؤذي زوجك فيغضب عليك ربك وتلعنك الملائكة وتدعو عليك
أختك من الحور العين التي في الجنة كما ورد في صحاح الأحاديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا دعا الرجل امرأته إلى
فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح . " متفق
عليه .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو
امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا حتى
يرضى عنها (١)

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا
إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ! فإنما هو عندك
دخيل (١) يوشك أن يفارقك إلينا " رواه الترمذي وقال حديث حسن (٢)

(١) رياض الصالحين - باب حق الزوج علي المرأة ص ١٦٠ .

تفقد الزوجة حال زوجها

عن عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها) إنها اشترت نمرقه فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهية، فقالت: يا رسول الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ ماذا أذنبت؟ فقال ﷺ ما بال هذه النمرقه؟ قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم احيوا ما خلقتم وقال " إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة " متفق عليه.



(١) أي ضيف.

(٢) المرجع السابق ص ١٦١.

أعظم الناس حقاً

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله ! من أعظم الناس حقاً علي المرأة ؟ قال : " زوجها " قلت : من أعظم الناس حقاً علي الرجل ؟ قال : " أمه " رواه الحاكم ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " ثُمَّ أُمُّكَ " قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " ثُمَّ أُمُّكَ " قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " ثُمَّ أَبُوكَ " ^(٢).

حكاية عجيبة:

أخرج ابن الجوزي في " البر والصلة " عن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام وقد أعجبتني كثرة الحجاج والمعتمرين فقلت: يا ليت شعري من المقبول منهم ومن المردود منهم فأعزّيه؟ فلما كان الليل رأيت في منامي كأن قائلًا يقول: مالك بن دينار تتفكر في الحجاج والمعتمرين، قد والله غفر الله للقوم أجمعين الصغير والكبير والذكر والأنثى والأسود والأبيض، العربي والأعجمي، ما خلا رجلاً واحداً، فإن الله تعالى عليه غضبان وقد رد عليه حجه وضرب به وجهه. قال فتمت

(١) في مستدرکه - کتاب البر والصلة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٤/١٧٥ .

(٢) صحيح البخاري « كتاب الأدب » باب من أحق الناس بحسن الصحبة _ رقم ٥٦٢٦ ، صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب بر الوالدين وأنها أحق به [٢٥٤٨] .

بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل، وخشيت أن أكون ذلك الرجل، فلما كانت الليلة الثانية رأيت في منامي مثل الذي رأيت، غير أنه قيل لي ولست ذلك الرجل بل هو رجل من أهل خراسان من مدينة تدعى بلخ يقال له: محمد بن هارون والله عليه غضبان، وقد رد حجه وضرب به وجهه. فلما أصبحت أتيت قبائل أهل خراسان فقلت لهم: أفيكم البلخيون؟ قالوا: بخ بخ يا مالك تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد ولا أقرأ منه. فعجبت من جميل الثناء عليه وما رأيت في منامي فقلت أرشدوني إليه. فقالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار ويقوم الليل. فعجلت أجول فإذا به قائم خلف جدار وهو راعع وساجد، فلما أحس بهمس قدمي انفتل وقال: من تكون؟ قلت: مالك بن دينار. قال: يا مالك فما جاء بك إلي، رأيت رؤيا؟ قال: اقصصها علي قلت: أستحي أن أستقبلك بها. قال: لا تستح، فقصصتها عليه، فبكى طويلا، وقال: يا مالك هذه الرؤيا ترى لي منذ أربعين سنة يراها في كل سنة رجل زاهد مثلك أني من أهل النار. قلت: بينك وبين الله ذنب عظيم؟ قال: نعم، ذنبي أعظم من السماوات والأرض والجبال.

قلت: حدثني حتى أحذر الناس. قال: يا مالك كنت رجلا أكثر من شرب المسكر، فشربت يوما عند خدن لي - صديق - حتى ثملت وزال عقلي. أتيت منزلي فدخلت فإذا والدتي تحمي تنورا لنا - وهو الفرن بالبيت - قد ابيض فلما رأني أتمايل بسكري أقبلت تعظني تقول: هذا آخر يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس غدا صواما وتصبح أنت سكران، أما تستحي من الله؟ فرفعت يدي فلكزتها، فقالت: تعست. فغضبت من قولها. فحملتها بسكري فرميت بها في التنور، فلما رأني امرأتي، حملتني فأدخلتني بيتا وأجافت الباب في وجهي. فلما كان آخر الليل وذهب سكري دعوت زوجتي لتفتح الباب، فأجابتني بجواب فيه جفاء، فقلت: ويلك ما هذا

الجفاء الذي لا أعرفه منك؟ قالت: قد قتلت أمك ورميت بها في التنور فقد احترقت. فلما سمعت ذلك لم أتمالك أن قلعت الباب وخرجت إلى التنور، فإذا هي كالرغيف المحترق. فقيدت قدمي بهذين القيدين، وكان ملكي ثمانية ألف دينار فتصدقت بها قبل مغيب الشمس، وأعتقت ستا وعشرين جارية، وثلاثة وعشرين عبدا، ووقفت ضياعي في سبيل الله، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار، وأقوم الليل لا أفطر إلا على قبضة حمص، وأحج البيت كل سنة. ويرى في كل سنة رجل عالم مثلك مثل هذه الرؤيا وأنى من أهل النار.

قال مالك: فخرجت من عنده، وجعل يقول: يا فارح الهم، وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، أعوذ برضاك من سخطك، وبمكافأتك من عقوبتك، لا تقطع رجائي ولا تخيب دعائي. قال مالك: فأتيت منزلي فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول: يا مالك لا تقنط الناس من رحمة الله، ولا تؤيسهم من عفوهِ، فإن الله اطلع علي أهل الموقف فغفر لهم، فقال مالك: وحتى محمد بن هارون البلخي؟! فقال الصوت وحتى محمد بن هارون البلخي. استيقظ مالك من نومه سريعا وهب راكضا يحمل البشرى للبلخي.. فلما اقترب من مخيم البلخييين وجد ازدحام شديد عند خيمة محمد بن هارون.. حتى لا يكاد يصل الي بابها.. فقام يسئل عن السبب.. فقالوا: اليوم مات محمد بن هارون البلخي !!!.

أيها المضيع:

لأؤكد الحقوق، المعتاض عن البر بالعقوق، الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه با تباع الشين، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك، حملتك في بطنها تسعة أشهر، كأنها تسع حجج، وكابدت عند وضعك ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنا وأطارت لأجلك وسنا، وغسلت

بيمينها عنك الأذى، وآثرتك علي نفسها بالغذا، وصيرت لك حجرها مهذاً، وأنالتك إحساناً ورفداً، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لآثرت حياتك بأعلى صوتها. هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبتت وهي جائعة، ورويت وهي ضائعة، وقدمت عليها أهلك وأولادك في الإحسان، وقابلت أيديها بالنسيان، وعب لديك أمرها وهو يسير، وظال عمرها وهو قصير، وهجرتها ومالها سواك من نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف، وستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت**

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿ (١)

كثيرك يا هذا لديه يسير	لأمك حق لو علمت كبير
لها من جواها أنه وزفير	فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي
فمن غصص منها الفؤاد يطير	وفي الوضع لو تدري عليها مشقة
وما حجرها إلا لديك سرير	وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
ومن ثديها شرب لديك نمير	وتفديك مما تشتكيه بنفسها
حنوا وإشفاقا وأنت صغير	وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
وأها لأعمى القلب وهو بصير	فأها لذي عقل ويتبع الهوي
فأنت لما تدعو إليه فقير (٢)	فدونك فارغب في عميم دعائها

(١) سورة الأنفال _ الآية ٥١.

(٢) الزواجر ١١٤/٢

أجر المرأة الحامل والمرضع

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: " المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها (وفي رواية: إلى انقضاءها) كالمرباط في سبيل الله، فإذا ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد ". ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد^(١)..

(٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زُرْعَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَمَّارُ بْنُ نُصَيْرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ الْخَوْلَانِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ سَلَامَةَ حَاضِنَةَ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُبَشِّرُ الرِّجَالَ بِكُلِّ خَيْرٍ وَلَا تُبَشِّرُ النِّسَاءَ ؟ قَالَ : " أَصْحَابُكَ دَسَسْنَاكَ لِهَذَا ؟ "

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة: الحديث رقم ٦٠٤٧ (إن للمرأة في حملها إلى وضعها ، إلى فصالها من الأجر كالمتمشحط في سبيل الله، فإن هلكت فيما بين ذلك؛ فلها أجر الشهيد). ضعيف . وأخرجه عبد بن حميد في "المنتخب من المسند" (ق ١/٨٨): حدثنا يعمر بن بشر : حدثنا ابن المبارك : حدثنا قيس بن الربيع عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عمر - قال : أراه - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ... فذكره. قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ علته قيس بن الربيع، وقد تكلموا فيه كثيراً، وكانت فيه غفلة ، وقد شك في رفعه بقوله : "أراه" ، وقد لخص الحافظ أقوالهم فيه ؛ فقال في "التقريب": صدوق ، تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه؛ فحدث به. " وهذا خلاصة ما حققه فيه ابن حبان في (الضعفاء) (٢/٢١٨ - ٢١٩). وسائر رجاله ثقات ، وأبو هاشم هو الرَّمَانِي الواسطي .

ثم رأيت الحديث في "الحلية" (٤/٣٩٨) من طريق أخرى عن ابن المبارك. ومن طريق الطبراني بسنده عن إبراهيم بن إسحاق الصَّيْنِي: ثنا قيس بن الربيع. وقال: غريب تفرد به قيس.

قَالَتْ: أَجَلٌ، هُنَّ أَمْرَتِي قَالَ: " أَمَا تَرْضَى إِحْدَاكُنَّ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ حَامِلًا مِنْ زَوْجِهَا ، وَهُوَ عَنْهَا رَاضٍ أَنَّ لَهَا مِثْلَ أَجْرِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا أَصَابَهَا الطَّلُقُ لَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مَا أُخْفِيَ لَهَا مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ، فَإِذَا وَضَعَتْ لَمْ يُخْرِجْ مِنْهَا جُرْعَةً مِنْ لَبْنِهَا، وَلَمْ يَمْصَّ مَصَّةً إِلَّا كَانَ لَهَا بِكُلِّ جُرْعَةٍ وَبِكُلِّ مَصَّةٍ حَسَنَةٌ، فَإِنْ أَسْهَرَهَا لَيْلَةٌ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِ سَبْعِينَ رَقَبَةً تُعْتَقُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَلَامَةٌ، تَدْرِي لِمَنْ أَعِنِّي بِهَذَا ؟

لِلْمُتَمَتِّعَاتِ، الصَّالِحَاتِ، الْمُطِيعَاتِ لِأَزْوَاجِهِنَّ، اللَّوَاتِي لَا يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ " (١).

(١) رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٢٠/٧)، وأبو نعيم في "معجم الصحابة" (رقم/٧٠٤٩)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٤٧/٤٣)، وابن الجوزي في "الموضوعات" (٢٧٤/٢) وغيرهم: من طريق هشام بن عمار ، حدثني أبي عمار بن نصير ، عن عمرو بن سعيد الخولاني ، عن أنس بن مالك به. ثم قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن النبي إلا بهذا الإسناد تفرد به هشام بن عمار .

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: حديث موضوع ، لوائح الوضع عليه ظاهرة ، آفته الخولاني هذا . قال الذهبي : " حدث بموضوعات " . ثم ساق له هذا الحديث . وأورده ابن الجوزي في " الموضوعات " (٢٧٤/٢) من رواية الطبراني في " الأوسط " ، وقال : " قال ابن حبان عمرو بن سعيد الذي يروي هذا الحديث الموضوع عن أنس ؛ لا يحل ذكره إلا على جهة الاعتبار للخواص " . وأقره السيوطي في " اللآلئ " (١٧٥/٢) . ومن طريق الخولاني هذا رواه ابن منده في " المعرفة " (٢/٣٢٩) ، وكذا الحسن بن سفيان في " مسنده " كما في " الفيض " " انتهى.السلسلة الضعيفة" (رقم/٢٠٥٥)

(٣) عن أنس بن مالك قال: كان بالمدينة امرأة عطارة تسمى الحولاء بنت تويت، فجاءت حتى دخلت على عائشة فقالت: يا أم المؤمنين إني لأطيب كل ليلة وأتزين كأنني عروس أرف ، فأجيء حتى أدخل في لحاف زوجي أبتغي بذلك مرضاة ربي فيحول وجهه عني، فأستقبله فيعرض عني، ولا أراه إلا قد أبغضني، فقالت لها عائشة لا تبرحي حتى يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما جاء قال: "إني لأجد ريح الحولاء فهل أتتكم؟ وهل ابتعتم منها شيئاً؟" قالت عائشة: لا، ولكن جاءت تشكو زوجها، فقال لها: "مالك يا حولاء"، فذكرت له ما ذكرت لعائشة، فقال: " اذهبي أيتها المرأة فاسمعي وأطيعي لزوجك"، قالت: يا رسول الله فما لي من الأجر؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحولاء: " ليس من امرأة ترفع شيئاً من بيتها من مكان أو تضعه من مكان تريد بذلك الصلاح إلا نظر الله إليها وما نظر الله إلى عبد قط فعذبه" قالت: زدني يا رسول الله! قال: " ليس من امرأة من المسلمين تحمل من زوجها إلا كان لها كأجر الصائم القائم المحبب فإذا أرضعته كان لها بكل رضعة عتق رقبة فإذا فطمته نادى مناد من السماء أيتها المرأة استأنفي العمل فقد كفيت ما مضى" فقالت عائشة: يا رسول الله! هذا للنساء فما للرجال، فقال: " ما من رجل من المسلمين يأخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له عشر

حسنات فإذا عانقها فعشرون حسنة فإذا قبلها فعشرون ومئة حسنة
فإذا جامعها ثم قام إلى مغتسله لم يمر الماء على شعرة من جسده إلا
كتب الله له بها عشر حسنات وحط عنه عشر خطيئات وإن الله
عز وجل ليباهي به الملائكة فيقول انظروا إلى عبدي قام في هذه
الليلة الشديد بردها فاغتسل من الجنابة مؤمناً أني ربه أشهدكم أني
قد غفرت له (١).



(١) الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، وقال إسناده واه جدا ٢٧٨/٤ _ وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ حرف الحاء _ ترجمة الحولاء بنت تويت العطارة .

موت في طاعة

خير من حياة في معصية الله ﷻ

قال أحد التجار: كنت في ذات ليله في منزلي.. ففرع عليّ الباب، قارع، وإذا أنا بشاببة جميلة، تخجل البدر، وكأنها الشمس في وسط النهار، فشكت إليّ جوعها، فحادثتها ثم راودتها عن نفسها، فقالت: الموت ولا معصية ربي، ثم رجعت من حيث أتت، وبعد أيام، عادت وتوسلت إليّ فقلت كما قالت أولاً، فبكت ثم دخلت البيت وأشرفت علي الهلاك، ثم قالت: تطعمني لوجه الله، قلت: لا، إلا أن تمكنيني من نفسك، قالت: الموت خير من عذاب الله، فسمعتها تقول وهي منصرفة :

أيا واحدا شمل إحسانه الخلقا	بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
لقد صدمتني شدة وخصاصة	ونازلني ما بعضه يمنع النطقا
كأني ظمآن ترى الماء عينه	فلا قلة تروي ولا شربة تسقي
تنازعتني نفسي إلي نيل أكلة	لذاداتها تفنى وغصتها تبقى
أأعصاك بعد الفضل والجود	وكيف وبالطالعَات أجلب الرزقا
سأتلّفها في نيل حبك سيدي	عساي أستوجب القرب والعتقا

قال: فجزعت لما سمعت من قولها، ودخل في قلبي الإيمان، وقلت لها: عودي وكلي وخذي من المال ما شئت لله. فقالت: اللهم كما أنرت قلبه، وهويت لبه، فأجب دعاءه، ولا ترده خائبا، فكان ما دعت به، ثم تزوجها.

صدقت أيتها المرأة العظيمة، الجليلة، المؤمنة، التقية، حيث قلت: الموت ولا معصية ربي، ما أجمل هذه الكلمة !!!.

وبمناسبة قصتك هذه أرف إلي كل مسلم ومسلمة حديثا لحبيبتنا وقررة عيوننا سيدنا محمد ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: " خذوا العطاء ما دام عطاء فإذا صار رشوة علي الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة ، ألا إن رحى الإسلام دائرة ، فدوروا مع الإسلام حيث دار ، إلا إن الكتاب والسلطان يفترقان فلا تفارقوا الكتاب ، ألا إنه سيكون عليكم أمراء فيقضون لأنفسهم ما لا يقضون إن عصيتموهم قتلوكم ، وإن أطعتموهم أضلوكم ، قالوا : يا رسول الله كيف نضع ؟ قال : " كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشروا بالمناشير وحملوا علي الخشب ، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله " . (١).



أم حارثة

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن حارثة بن سراقة رضي الله عنه قتل يوم بدر، وكان في النظارة ، أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت : يا رسول الله ! أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت ، وإلا فليرين الله ما أصنع . يعني من النياح وكانت لم تُحرم بعد . فقال لها رسول الله ﷺ : " ويحك ! أهبلت ؟ إنها جنان ثمان ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى . كذا في البداية .

وفي رواية: فإن كان في الجنة، صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه البكاء ، قال : أيا أم حارثة ! إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى . أخرجه ابن أبي شيبه كما في الكنز .

وفي رواية : قال : " يا أم حارثة ! إنها ليست بجنة واحدة ولكنها جنان كثيرة وهو في الفردوس الأعلى ، قالت : فسأصبر .^(١)

وفي رواية ابن النجار : فقالت : يا رسول الله ! إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن ، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا ، فقال : يا أم حارث . أو حارثة . إنها ليست جنة واحدة ولكنها جنة في جنات والحارث في الفردوس

الأعلى ، فرجعت وهي تضحك وتقول بخٍ .. بخٍ .. يا حارث !^(٢)

(١) أخرجه الحاكم ٣ / ٢٠٨ ، وابن سعد والطبراني .

(٢) حياة الصحابة ٢ / ٥٧٨ .

نصيحة لكل زوج

خطب صعصعة بن معاوية إلي عامر بن الظرب ابنته عمرة ، وهي أم عاصم بن صعصعة ، فقال : يا صعصعة ! إنك أتيتني تشتري مني كبدي ، فارحم ولدي قبلتك أو رددتك والحسيب كفاء، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر إلى العلانية ، يا معشر عدوان : خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة .

احتواء المواقف

كان هناك رجل متزوج ولديه خدم، وفي يوم من الأيام خرجت الزوجة إلى الحديقة فوجدت أحد الخدم جالسا يبكي، فقالت له: مابالك أراك حزينا قال لها: طردني سيدي قالت له: لماذا ؟ قال لها: لقد كسرت آنية من الزجاج وأنا غافل قالت له: تعال معي إليه، فذهبا معا وحين وصلوا، قال لخدمه: لماذا عدت مجدداً؟ قالت الزوجة: أنا أحضرته، لقد كسر آنية زجاج فطرده قال لها: وما شأنك أنت ؟ قالت: هذا ظلم و جور، فقال لها: سيعود بشرط أن تذهبي أنت إلى أهلِكَ (نعم الزوج مخطأ فلا يجب أن يقول مثل هذا الكلام لزوجته ولكن انظروا فعلت الزوجه الحكيمه بعد ذلك)، فقالت: موافقة.. فقال الزوج: خذي معك أعز ما تملكين، وغداً تذهبين، وحين خيم الظلام خدرته وأخذته معها إلى أهلها.

وفي الصباح حين أستيقظ وجد نفسه في منزلها، فقال: أين أنا، ومن أتى بي إلى هنا؟ فأتته زوجته وقالت: أنا من أحضرتك إلى هنا، قال: لماذا قالت: قلت لي خذي أعز ما تملكين وأنت أعز من أملك، فابتسم وقال تعالى: نرجع إلى البيت.

عقد اللؤلؤ

ذكر الحافظ بن رجب الحنبلي في نيل طبقات الحنابلة في ترجمة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المتوفى في سنة (٥٣٥ هـ) أن الشيخ الصالح أبا القاسم الخراز الصوفي البغدادي قال سمعت القاضي أبا بكر محمد ابن عبد الباقي بن محمد البزار البغدادي الأنصاري يقول: كنت مجاورا بمكة حرسها الله تعالى، فأصابني يوما من الأيام جوع شديد لم أجد شيئا أدفع به عني الجوع، فوجدت كيسا من إبريسم مشدودا بشرابة من إبريسم أيضا فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله! وخرجت فإذا أنا بشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمس مائة دينار وهو يقول هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤة فقلت: أنا محتاج وجائع، فأخذ هذا الذهب، فأنتفع به، وأرد عليه الكيس. فقلت له تعالى إلي! فأخذته وجئت به إلى بيتي فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشربة، وعلامة اللؤلؤ وعدده والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلي خمس مائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علي أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ، وألح علي كثيرا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى. وأما ما كان مني، فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة في البحر لا أدي أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد،

فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلي وقال: علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم كثير من المال. ثم إنني رأيت ذلك المسجد أوراقا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي: تحسن تكتب؟! فقلت: نعم! فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشبان، فكنت أعلمهم، فحصل لي أيضا من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتعت! فقالوا: لابد! وألزموني فأجبتهم إلى ذلك. فلما زفوها إلي مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا في عنقها فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة، من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة! فقلت: ما بكم؟؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد هو أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلما إلا هذا الذي رد علي هذا العقد. وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي والآن قد حصلت... فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين. ثم إنها ماتت، فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان، فحصل العقد لي، فبعته بمائة ألف دينار..... وهذا المال الذي ترونيه معي، من بقايا ذلك المال.



مؤمنات يوافقهن القرآن

عن جابر عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها في بني حارثة ، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤترزات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل ، ويبدو صدورهن وذوائبهن ، فقالت أسماء : ما أقبح هذا ؟ فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)(٢)

وعن مقاتل بن حيان أنه قال: بلغنا أن رجلا من الأنصار وامرأته (أسماء بنت أبي مرثد) صنعا للنبي ﷺ طعاما . فقالت أسماء: يا رسول الله ما أقبح هذا ؟ إنه

(١) سورة النور - الآية ٣١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٢٨٣ - الدر النثور للسيوطي ٥/٤٠ .

ليدخل علي المرأة وزوجها، غلامهما (١)، وهما في ثوب واحد بغير إذن.. فأنزل الله

ﷻ في ذلك الآية: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ أُمَّاتٌ لَكُمْ لَيْسَتَّأَذْنُكُمْ مِنَ الَّذِينَ

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ

صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ

الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ

طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا

اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ

جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ (٢) (٣) .



(١) يعني بها العبيد والإماء .

(٢) سورة النور - الآيات ٥٨، ٥٩، ٦٠ .

(٣) فتح البيان ٦/٣٩٨ - نقلا من روائع البيان للصابوني ٢/٢٠٦ .

امرأة ينزل بسببها القرآن

جميل بنت يسار

جميل بن يسار، أخت معقل بن يسار المزنية، امرأة أبي البداح فطلقها، وفيها نزل قوله تعالى: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن أخبرنا أبو مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بن علي بن عَبْدَ اللَّهِ التكريتي بإسناده عن علي بن أحمد بن متوبة قال: نزلت هذه الآية في أخت معقل بن يسار، قال: أخبرنا مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن أحمد بن جعفر النحوي، حدثنا مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن إسحاق، أخبرني أحمد بن مُحَمَّد بن الحسين، حدثنا أحمد بن حفص بن عَبْدَ اللَّهِ حدثنا أبي، أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن يونس بن عُبَيْد، عن الحسن قال: في هذه الآية حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: كنت زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأكرمتك وأفرشتك فطلقتها ثم جئت تخطبها! لا، والله لا تعود إليها أبداً قال: وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية، فقلت: الآن أفعَل يا رسول الله. فزوّجتها إياه.

وروى ابن جريج، عن الحسن قال: اسمها جميل. وسماها الكلبي في تفسيره جميلاً. وقال الأمير أبو نصر: وأما جميل بضم الجيم وفتح الميم فهي جميل بنت يسار، أخت معقل بن يسار، وهي التي عضّلتها أخواها (١):

مسيكة ومعاذة

جارتنا عبد الله بن أبي ابن سلول

وكان البغاء من عادات الجاهلية المرذولة، حيث كان الرجل يدفع بجواريه وإمائه إلى راغبي المتعة ومبتاعي الرذيلة رجاء الكسب وابتغاء المال.. فكان عبد الله بن أبي بن سلول يدفع بجواريه للزنا حتى يتحصل علي المال، فلما جاء الله بالإسلام رفض الجواري هذا الفعل القبيح كما جاءت الآثار بذلك: روى الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن محمد بن ثابت. أخي بني الحارث بن الخزرج في قوله عزّ وجلّ:

﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مردويه من طرق متعددة، عن الحسن، عن معقل بن يسار، وصححه الترمذي أيضا، وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب الهمزة .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾، قال: نزلت في مُعَاذَةَ جَارِيَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ اسَلُول، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أُسِيرٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُضْرِبُهَا لِتَمَكُّنِهِ مِنْ نَفْسِهَا، رَجَاءُ أَنْ تَحْبِلَ مِنْهُ، فَيَأْخُذُ فِي ذَلِكَ فِدَاءً، وَهُوَ الْعَرَضُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لِّتُبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، وَكَانَتِ الْجَارِيَةُ تَأْتِي عَلَيْهِ وَهِيَ مُسَلِّمَةٌ.

قال الزهري: كانت مسلمة فاضلة، فأنزل الله هذه الآية. ثم إنها عتقت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم بيعة النساء، فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة، أخو بني عمرو بن عوف، فولدت عبد الله بن سهل وأم سعيد بن سهل. ثم هلك عنها أو فارقها فتزوجها الحمير بن عدي القاري، أخو بني خطمة، فولدت له تواماً: الحارث وعدياً ابني الحمير. ثم فارقها فتزوجها عامر بن عدي رجل من بني خطمة أيضاً، فولدت له أم حبيب بنت عامر.

قيل في نسبها: مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبْرٍ بْنِ الضَّرِيرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خُدَارَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.

وقال ابن ماكولا: وأما الضَّرِيرُ بضم الضاد المعجمة، وفتح الراء فمُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبْرٍ بْنِ الضَّرِيرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خُدَارَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. وذكر من أمرها نحو ما تقدم.

أخرجها أبو عمر، وأبو موسى. إلا أن أبا عمر قال: مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ. وقيل: مسيكة. قال الزهري: مُعَاذَةُ. وقال الأعمش، عن أبي سُفْيَانَ، عن جابر اسمها مسيكة قال: والصحيح قول ابن شهاب إن شاء الله تعالى.

(١) سورة النور - الآيتان ٣٣، ٣٤.

وقد روى أبو صالح، عن ابن عباس القصة، وسمى الجارية، مُسَيِّكَةَ، فوافق الأعمش، والله أعلم.

قلت: قول ابن شهاب في نسبها ما ذكرناه إلى خُدارة، يدل على أن الأنصار قد كان يسبي بعضهم بعضاً في الجاهلية، فإن بني خُدرة وخدارة هم من ولد الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن أبي من بني الحُبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج، فكلهم خزرجيون، ومع ذا فقد كانت مُعَاذَةُ من خدارة وهي أمة لعبد الله بن أبي، والله أعلم^(١).

ومما يؤيد أن الأمر حدث مع مسيكة ومعاذة ماورد في تفسير البغوي في تفسير الآية: (**وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ**) قال: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولِ الْمُنَافِقِ، كَانَتْ لَهُ جَارِيَتَانِ: مُعَاذَةُ وَمُسَيِّكَةُ، وَكَانَ يُكْرَهُهُمَا عَلَى الزَّانَا بِالضَّرْبِ بِأَخْذِهَا مِنْهُمَا، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يُوجِّرُونَ إِمَاءَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ قَالَتْ مُعَاذَةُ لِمُسَيِّكَةَ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ لَا يَخْلُو مِنْ وَجْهَيْنِ، فَإِنْ يَكُ خَيْرًا فَقَدْ اسْتَكْتَرْنَا مِنْهُ، وَإِنْ يَكُ شَرًّا فَقَدْ آتَى لَنَا أَنْ نَدَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَرُوي أَنَّهُ جَاءَتْ إِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ يَوْمًا بِبُرْدٍ وَجَاءَتْ الْأُخْرَى بِدِينَارٍ، فَقَالَ لِهَئِمَا: ارْجِعَا فَازْنِيَا، قَالَتَا: وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ، قَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَحَرَّمَ الزَّانَا، فَأَتَيْتَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَشَكَّيْنَا إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ.

فأبطل الإسلام هذا الأمر من أمر الجاهلية، وحمى النساء - حرائر وإماء - من أن يكرهن أحد على البغاء.

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ معاذة.

وهكذا أسهمت هاتان الصحابيتان الجليلتان، "مُسَيِّكَةَ التائبة، ومعاذة"، فى تثبيت دعائم الفضيلة وصناعة مجتمع عفيف برفضهما أن تكونا أداة طيعة فى أيدي العابثين والماجنين من أصحاب النفوس الدنيئة والأخلاق المتردية، وصارتا بذلك رمزاً للعفة والطهر، ومثلاً لنظافة النفس ونقاء الطوية، ويكفيهما عزاً وفخراً أن ينزل فى شأنهما قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.. رضى الله عن العفاف والطاهرات وعن السيدة مُسَيِّكَةَ ومعاذة.

امرأة فرنسية

تسمى مارجريت بوستار ذهبت إلي أول حفل تكريم أقيم علي شرفها بمناسبة انتخابها عضوا في الأكاديمية الفرنسية، وهي متحجة فاجأت الحاضرين في الحفل بالحجاب الذي تحرص عليه كل مسلمة محافظة علي دينها، وحين سئلت عن اختيارها لهذا الزي قالت: إنني مقتنعة به تماماً، فهو يضيف علي المرأة وقاراً وجمالاً وحشمة^(١).



(١) السفور والحجاب د. عبدالودود شلبى .

الصبر على الأزواج

علي المرأة أن تصبر علي إيذاء زوجها لها، ولاسيما إذا كان الرجل صالحا، ولتكن نظرتها إلي الآخرة لتكون له زوجا في الجنة، فعن عكرمة أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديداً عليها ، فأنتت أباهما فشكت ذلك إليه فقال: يا بنية اصبري ! فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده، جمع بينهما في الجنة . أخرجه ابن سعد (١)

وقال عمر رضي الله عنه لامرأة كانت تبغض زوجها حين صارحت زوجها بذلك فقال لها عمر: ما حملك علي هذا قالت: إنه استحلطني فكرهت أن أكذب، فقال عمر: بلى فلتكذب إحداكن ولتتجمل فليس كل البيوت تبني علي الحب ولكن معاشرة علي الأحساب والإسلام كذا في الكنز . (٢).



(١) حياة الصحابة - أخلاق النبي ﷺ معاشرة أصحاب النبي ﷺ ٦٩٢/٢ .

(٢) المرجع السابق .

كلمات وأفعال محظورة

(١) يا خراشي : هذه الكلمة يقولها معظم نساء أهل مصر منذ ألف عام وحتى

الآن، وهي كلمة شركية حيث أنه كان يوجد في مصر شيخ للأزهر (الشيخ محمد الخراشي) وكان قويا ويصدع بالحق، فكان يلجأ إليه أهل مصر في الوقوف بين يدي الظلمة لرد مظالمهم.. ومنذ ذلك اليوم ويتناقلها الناس بدون معرفة معناها.. والأصل أن نلجأ إلى الله في قضاء حوائجنا وحل مشاكلنا.

(٢) باي باي : وهذه الكلمة نقولها لأطفالنا، لو ندري ما معناها وقد تلقيناها عن

الغرب ومعناها في معية البابا، وهي كلمة شركية لأننا في معية الله وحده.

تعلق القلب بغير الله

(شرك)

من المخالفات في جانب العقيدة تعلق قلب المرأة المسلمة بالأسباب دون تعلقها بالمسبب.

من المعلوم أن الأخذ بالأسباب أمر جائز دعت إليه الشرائع السماوية وبينت أنه لا ينافي التوكل على الله بل هو من كمال التوحيد، لكن التعلق بالأسباب من دون الله تعالى هو المنهي عنه. قال صلى الله عليه وسلم: " من تعلق شيئاً وكل إليه . فمن علق قلبه بغير الله تعالى في حصول مطلوبه وكله الله إلى هذا المعلق، ومن صور هذه المخالفة: تعلق قلب المرأة بالطبيب المعالج حين يعالجها دون تعلقها بالله تعالى ظناً منها أنه هو الذي يشفى وينفع وهذا بلا شك خطأ.

أم أبان

بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، قَالَ : خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّ أَبَانَ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ (١) ، فَأَبَتْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : إِنْ دَخَلَ دَخَلَ بِبَاسٍ ، وَإِنْ خَرَجَ خَرَجَ بِبَاسٍ ، قَدْ أَذْهَلَهُ أَمْرُ آخِرَتِهِ عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّهِ بِعَيْنَيْهِ (٢) ، ثُمَّ خَطَبَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فَأَبَتْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : لَيْسَ لِرُؤُوجَتِهِ مِنْهُ الْإِشَارَةُ فِي قَرَامِلِهَا (٣) ، ثُمَّ خَطَبَهَا عَلِيٌّ ، فَأَبَتْ ، قِيلَ لَهَا : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : لَيْسَ لِرُؤُوجَتِهِ مِنْهُ إِلَّا قِضَاءُ حَاجَتِهِ ، وَيَقُولُ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَكَانَ وَكَانَ (٤) ، ثُمَّ خَطَبَهَا طَلْحَةُ ، فَقَالَتْ : زَوْجِي حَقًّا ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : إِنِّي عَارِفَةٌ بِخِلَاقِهِ إِنْ دَخَلَ دَخَلَ ضَاحِكًا ، وَإِنْ خَرَجَ خَرَجَ بَسَامًا ، إِنْ سَأَلْتُ أُعْطِيَ ، وَإِنْ سَكَتُ ابْتَدَأَ ، وَإِنْ عَمِلْتُ شَكَرَ ، وَإِنْ أَدْنَبْتُ عَفَرَ ، فَلَمَّا أَنْ ابْتَنَى بِهَا ، قَالَ عَلِيٌّ " يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنْ أَدْنَبْتُ لِي أَنْ أُكَلِّمَ أُمَّ أَبَانَ ؟ " ، قَالَ : كَلِّمَهَا ، قَالَ : فَأَخَذَ بِسَجْفِ الْحَجَلَةِ

(١) في عيون الأخبار لابن قتيبة: بعد أن مات عنها يزيد بن أبي سفيان.

(٢) وهذا دليل علي ما كان يحمله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من فكر وهم ومسئولية لهذه الأمة حتى عز شأنها ورفع الله قدرها وانتشر الدين في عهده في السهول والجبال .

(٣) كناية عن الضرب، لأنه كان ضراباً للنساء، ففي عيون الأخبار لابن قتيبة: قالت : يدُّ له على قروني ويدُّ له في السَّوطِ .

(٤) وفي عيون الأخبار لابن قتيبة ما يؤيد ذلك: ليس للنساء منه حظٌّ إلا أن يقعد بين شعبهن الأربع لا يصبن منه غيره.. أ.هـ

لأنه كان مشغولاً بالجهد والتضحية ما عنده وقت للمزاح، بل عندما يجلس معهن أي نساءه ، يَقُولُ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَكَانَ وَكَانَ ، يحكى أخبار الجهد والتضحية، وكيف قام الدين وكيف تعب النبي والصحابة في إقامة، وكيف كانت الغزوات، وكيف أحوال أهل الكفر والعناد.

، ثُمَّ قَالَ : " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا عَزِيزَةَ نَفْسِهَا " ، قَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: " خَطَبَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَبَيْتِيهِ " ، قَالَتْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، قَالَ: " وَخَطَبَكَ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَحَدُ حَوَارِيهِ فَأَبَيْتِ " ، قَالَتْ: وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، قَالَ : " وَخَطَبْتُكَ أَنَا وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَبَيْتِ " ، قَالَتْ : وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، قَالَ: " أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَزَوَّجْتِ أَحْسَنَنَا وَجْهًا ، وَأَبْدَلْنَا كَفًّا، يُعْطِي هَكَذَا وَهَكَذَا . " (١) .



المرأة داعية إلى الله وعجل

بمشاركة زوجها بفكرها ومالها ودعائها.. فخديجة ؓ ما حملت السلاح ولكن دفعت نفسها ومالها للدين.. فأول عمل صالح عملته خديجة .. هو الدعوة.. وآخر عمل عملته هو الدعوة.. ماتت قبل فرض الصلوات الخمس .. التشريع الوحيد الذي نزل قبل وفاة خديجة هو تحريم الذبائح لغير الله ﷻ .. ظلت مع الرسول ﷺ عشر سنوات في تاريخ الإسلام، أسلمت في رمضان ، وماتت في رمضان .. كانت تدعو النساء وتنفق على الدعوة الإسلامية.

فالمرأة ينبغي أن يكون لها حظ وافر من ذلك فهي لا تعدو أن تكون بنتا أو أختا أو أما، فإذا كانت بنتا فهي تدعو والديها إن احتاجا الى ذلك، بألطف وأرق عبارة، أسوة بأبينا ابراهيم عليه السلام لما دعا أباه. وإن كانت أختا فهي تدعو إختها وإن كانت أما فتدعو أولادها. وهذا لا يمنعها أن تكون داعية في مكان آخر حيث وجدت.

فالدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

وهي من العبودية لله تعالى ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مَّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢)

(١) سورة يوسف - الآية ١٠٨.

(٢) سورة الحج - الآية ٦٧.

والدعوة ليست محصورة في خطب ودروس لا يتصدى لها إلا العلماء كما قد يظن البعض، بل كل مسلمة تستطيع أن تكون داعية إلى الله بسلوكها وتعاملها مع مجتمعها، وبعملها وهي تبلغ عن ربها ما علمت من دينه، وباحتسابها وهي تنهى عن منكر أو تحت على فعل خير وبكل ما تيسر لها ، دون انتظار النتائج لان النتائج أمرها إلى الله.

وليس هناك حق أجلى ولا أوضح من الحق الذي في أيدي المسلمين كتاب الله وسنة النبي ﷺ، فقد أقسم النبي ﷺ بأن الأمة لن تضل ما تمسكت بهما ، فهذا الذي نراه من الباطل كله يذهب لو قام أهل الحق بما يجب عليهم، لكن المشكل في أن الباطل يمتد، وأهل الحق كثير منهم غافلون وإذا كان هناك ضعف أو شك في الإمكانيات أو خوف من قوة الباطل، فإنه ينبغي أن يمحي من الأذهان، ولا يمنعا من أن نقوم لله ﷻ بما يجب لأن الخطر في القعود والسكوت قال تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (١)

لا بد أن نري ربنا من أنفسنا أننا جديرون بحمل هذا الرسالة وتبليغها للناس، والقيام بما يجب علينا لأننا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وأن لاحتقر أنفسنا أمام أى عدو مهما كان، فلو تأملنا القرآن الكريم ، نجد الله ضرب لنا مثلا عجيبا يلفت أنظار الناس، ففي سورة النمل ذكر

قصة النمل مع سليمان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(١) فلو نظرنا في هذه القصة لشعرنا بالخبيل، فهذه نملة مع كثرة قومها ، حتى سمي الوادي بوادي النمل، وهى واحدة لكنها شعرت بالخطر المحقق بقومها، فلم تهتم فقط بمئات النمل حولها، ولكنها تجاوزت ما هو أكثر من ذلك فإذا هي تنادى جميع النمل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ﴾ تنبههم بالخطر القادم، ولاحظوا أنها ما احتقرت نفسها، ما قالت: ما قدرى في هذا المجتمع، فالنمل كثر جداً لكنها رأت أن عليها واجبا يجب أن تقوم به، فقامت به.

فلم تضعف لما رأت من كثرة الجيش ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ولكنها قامت بواجبها فحذرت من الخطر مع أنها أمام أمة لا تريد بها شرا، فنحن أولى بالتحذير فجيوش الباطل هذه تريد بنا شرا واضحا، فلا يريدون بقاءا للإسلام، قال عز وجل ﴿ وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا ﴿١﴾ .

والمهم هو الإخلاص والعمل، فمتى ما أخلصت الداعية نيتها لله، واستنارت
بهدي الله ، نفع الله بها وبارك في جهودها، وحقق الخير على أيديها، ومن قال هلك
الناس فهو أهلكهم، والله الموفق .



أسئلة تهم المرأة المسلمة

السؤال الأول

س: ماذا تقولون عن الدعوة إلى الله بالنسبة للمرأة ؟ .

ج: الحمد لله هي كالرجل عليها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن النصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم صريح في ذلك، فعليها أن تدعو إلى الله وتأمّر بالمعروف وتنهي عن المنكر بالآداب الشرعية التي تُطلب من الرجل، وعليها مع ذلك أن لا يثنيها عن الدعوة إلى الله الجزع وقلة الصبر، لاحتقار بعض الناس لها أو سبهم لها أو سخريتهم بها، بل عليها أن تتحمل وتصبر، ولو رأت من الناس ما يُعتبر نوعاً من السخرية والاستهزاء، ثم عليها أن ترعى أمراً آخر وهو أن تكون مثلاً للغة والحجاب عن الرجال الأجانب وتبتعد عن الاختلاط، بل تكون دعوتها مع العناية بالتحفظ من كل ما يُنكر عليها، فإن دعت الرجال دعتهم وهي متحجبة بدون خلوة بأحد منهم، وإن دعت النساء دعتن بحكمة وأن تكون نزيهة في أخلاقها وسيرتها حتى لا يُعترض عليها، ويقلن لماذا ما بدأت بنفسها، وعليها أن تبتعد عن اللباس الذي قد تفتن الناس به، وأن تكون بعيدة عن كل أسباب الفتنة من إظهار المحاسن وخضوع في الكلام مما يُنكر عليها بل تكون العناية بالدعوة إلى الله على وجه لا يضر دينها ولا يضر سمعتها .^(١)

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز في كتاب الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة ص ١٠١٠ .

السؤال الثاني

س: هناك مجموعة من أهل الدعوة تخرج من مدينة لأخرى، في أوقات مختلفة من السنة، ويستمر ذلك لعدة أيام أو أسبوع ، كما أنهم يخرجون مرة في السنة إلى باكستان لمدة (٤٠) يوما للدعوة للإسلام ، وتعليم المسلمين تعاليم دينهم ، بحيث يجلس الرجال في أحد المساجد وتجلس النساء في بيت أحدهم ، فهل يستحب خروج النساء للدعوة ، مع العلم أنهن يتركن أطفالهن عند أحد الأقارب وأحيانا يتركونهم عند إحدى النساء اللاتي لا يستطعن الخروج بسبب عدم وجود محرم؟

ج : إذا كان الخارجون للدعوة عندهم علم وبصيرة بما دل عليه الكتاب والسنة في شأن العقيدة وغيرها من الأحكام الشرعية فعملهم طيب وقد أحسنوا في ذلك سواء كانت المدة قليلة أو كثيرة لقول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(١) ولقوله سبحانه ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٢) ولقوله عز وجل ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣).

وقول النبي ﷺ لعلي عليه السلام لما بعثه إلى خيبر لدعوة اليهود إلى الإسلام: " فوالله

لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " متفق عليه.

(١) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

(٢) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

وقد بعث النبي ﷺ الدعوة إلى الله سبحانه إلى اليمن وإلى كثير من قبائل العرب، ولا مانع أن يصطحب الرجل معه زوجته، والله ولي التوفيق (الشيخ / ابن باز رحمه الله) .

السؤال الثالث

س: ما الفرق بين مسئولية المرأة ومسئولية الرجل في الدعوة إلى الله؟

ج: ما كلف الله ﷻ، المرأة بالتضحية التي تذلها، فما بعث الله ﷻ، نية من النساء لتمشي في الشوارع، وتذهب إلى الأسواق وتدعو الرجال والنساء، لأن المرأة ضعيفة، وعورة، وقد يتعرض لها السفهاء بالإيذاء والسوء، وقد يكشف شيء من جسدها.

فهي خلف الرجل تساعد وتسانده وتوازره، كما فعلت زوج النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها .

فالتضحية خاصة بالرجل، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمشترك، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

لكن التضحية: قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا
﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا
ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣).

ولذا أرسل الله سلسلة الأنبياء الكريمة ١٢٤ ألف نبي ورسول ليس فيهم
امرأة ، لأن جهد الأنبياء يحتاج إلي تضحيات، تعجز عنها النساء.
ولكن الصديقة كانت في الرجال والنساء، فمريم (عليها السلام) كانت
صديقة، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة _ الآية ٢٣ .

(٣) سورة يس - الآية ٢٠ .

الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ
ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا
بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (٢)

وقوله تعالى: { انْتَبَذَتْ } والانتباز الاعتزال والانفراد (٣) أي لاتخالط الناس
في وحدها، أي احتجبت عن الرجال، لا ت تري المجتمع، فالمرأة تترقي كلما جعلت
وسيلتها القرار في البيت، ليس القرار عبادة في ذاته ، إنما هي وسيلة، لقوة
عبودية المرأة، قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) سورة المائدة - الآية ٧٥ .

(٢) سورة مريم - الآيتان ١٦ ، ١٧ .

(٣) قال الإمام الرازي: النبذ أصله الطرح والإلقاء النبذ أصله الطرح والإلقاء والانتباز افتعال منه ومنه:
{ فَبَنَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } آل عمران - الآية ١٨٧ ، وانتبذت: تنحت، يقال
جلس نبذة من الناس، ونبذة بضم النون وفتحها : أي ناحية، وهذا إذا جلس قريبا منك حتى لو نبذت
إليه شيئا وصل إليه ونبذت الشيء رميته ومنه النبيذ لأنه يطرح في الإناء، وأصله منبوذ فصرف إلى
فعل ومنه قيل للقيط منبوذ لأنه يرمى به ومنه النهي عن المناذبة في البيع وهو أن يقول: إذا نبذت
إليك هذا الثوب أو الحصة فقد وجب البيع إذ عرفت هذا فنقول قوله تعالى: { إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا } معناه تباعدت وانفردت على سرعة إلى مكان يلي ناحية الشرق ثم بين تعالى أنها مع
ذلك اتخذت من دون أهلها حجابا مستورا وظاهر ذلك أنها لم تقتصر على أن انفردت إلى موضع بل
جعلت بينها وبينهم حائلا من حائط أو غيره ويحتمل أنها جعلت بين نفسها وبينهم سترا (مفاتيح الغيب
- تفسير سورة مريم الآية ١٦).

الأولى وَأَقْمَنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١﴾ .

فالقارر وسيلة، والغاية هي: قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿٢﴾ .

فالقارر في البيت هو مزاج النساء، فتجلس في بيتها وتساند زوجها في الدعوة إلى الله ﴿٣﴾ .

السؤال الرابع

س: لماذا الله ﷻ في القرآن يشوق الرجال للحوار العيون في الجنة ولم يشوق النساء للرجال كذلك؟

ج: عند ذكر الله ﷻ للمغريات الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمسكن والملابس فإنه يعمم ذلك للإثنين (الذكر والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق.

ويتبقى: أن الله ﷻ قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من الحوار العيون و (النساء الجميلات) ولم يرد مثل هذا للنساء، ويرجع ذلك لأسباب منها:

أولاً: أن الله ! (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ﴿٤﴾ .

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .

(٣) هذا السؤال طرحه وأجاب عليه الدكتور نعمان أبو الليل باجتماع طونجي في (دكا - بنجلاديش) .

(٤) سورة الأنبياء _ الآية ٢٣ .

ولكن لا حرج أن نستفيد حكمة هذا العمل من النصوص الشرعية وأصول الإسلام
ثانياً: أن من طبيعة النساء الحياء - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله - عز وجل -
لا يشوقهن للجنة بما يستحيين منه.

ثالثاً: أن شوق المرأة للرجال ليس كشوق الرجال للمرأة - كما هو معلوم - ولهذا
فإن الله شوق الرجال بذكر نساء الجنة ، ففي الحديث : عن أسامة بن زيد رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من
النساء " متفق عليه. (١).

أما المرأة فشوقها إلى الزينة من اللباس والحلي يفوق شوقها إلى الرجال لأنها
مما جبلت عليه كما قال تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ
مُبِينٍ ﴾ (٢).

رابعاً: قال الشيخ ابن عثيمين: إنما ذكر - أي الله عز وجل - الزوجات للأزواج لأن
الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة، فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة
وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج.. بل لهن
أزواج من بني آدم المرأة لا تخرج عن هذه الحالات في الدنيا فهي إما أن تموت قبل
أن تتزوج إما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر إما أن تكون متزوجة
ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة، والعياذ بالله إما أن تموت بعد زواجها إما أن
يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت إما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره
هذه حالات المرأة في الدنيا ولكل حالة ما يقابلها في الجنة فأما المرأة التي ماتت

(١) رياض الصالحين _ باب حق الزوج علي الزوجة.

(٢) سورة الزخرف _ الآية ١٨ .

قبل أن تتزوج فهذه يزوجها الله - عزوجل - في الجنة من رجل من أهل الدنيا لقوله : { ما في الجنة أعزب } ^(١) . [أخرجه مسلم].

قال الشيخ ابن عثيمين: إذا لم تتزوج - أي المرأة - في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر بها عينها في الجنة.

فالنعيم في الجنة ليس مقصوراً على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة.

وقال الشيخ ابن عثيمين: فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال، أي فيتزوجها أحدهم وأما المرأة التي ماتت بعد زواجها فهي - في الجنة - لزوجها الذي ماتت عنه وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهي زوجة له في الجنة وأما المرأة التي مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما كثروا لقوله : { المرأة لآخر أزواجها

(١) تمام الحديث: حدثني عمرو الناقد ويعقوب بن إبراهيم الدورقي جميعاً عن ابن علي واللفظ ليعقوب قالاً حدثنا إسماعيل بن علي أخبرنا أيوب عن محمد قال إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء فقال أبو هريرة أولم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب (صحيح مسلم - باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم - ورقم الحديث: [٢٨٣٤] .

{^(١)}. ولقول حذيفة لامرأته: إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا فلذلك حرم الله على أزواج النبي أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة.

السؤال الخامس

قد يقول قائل: إنه قد ورد في الدعاء للجنائز أننا نقول (وأبدلها زوجا خيرا من زوجها) فإذا كانت متزوجة.. فكيف ندعوا لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها في الدنيا هو زوجها في الجنة وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها؟.

والجواب كما قال الشيخ ابن عثيمين: 'إن كانت غير متزوجة فالمراد خيرا من زوجها المقدر لها لو بقيت وأما إذا كانت متزوجة فالمراد بكونه خيرا من زوجها أي خيرا منه في الصفات في الدنيا لأن التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بعث شاة ببعير مثلا ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت لك بدل الله كافر هذا الرجل بإيمان وكما في قوله تعالى: ويوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات [إبراهيم: ٤٨] والأرض هي الأرض ولكنها مدت والسماء هي السماء لكنها انشقت ورد في الحديث الصحيح قوله للنساء: { إني رأيتكن أكثر أهل النار... } وفي حديث آخر قال : { إن أقل ساكني الجنة النساء } [أخرجه البخاري ومسلم]، وورد في حديث آخر صحيح أن لكل رجل من أهل الدنيا (زوجتان) أي من نساء الدنيا.

فاختلف العلماء - لأجل هذا - في التوفيق بين الأحاديث السابقة: أي هل النساء أكثر في الجنة أم في النار؟

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

فقال بعضهم: بأن النساء يكن أكثر أهل الجنة وكذلك أكثر أهل النار لكثرتهم.
قال القاضي عياض: - النساء أكثر ولد آدم .
وقال بعضهم: بأن النساء أكثر أهل النار للأحاديث السابقة.
وأنهن - أيضا - أكثر أهل الجنة إذا جمعن مع الحور العين فيكون الجميع أكثر
من الرجال في الجنة.
وقال آخرون: بل هن أكثر أهل النار في بداية الأمر ثم يكن أكثر أهل الجنة بعد
أن يخرجن من النار - أي المسلمات-.

قال القرطبي تعليقا على قوله: { رأيتكن أكثر أهل النار } : (يحتمل أن
يكون هذا في وقت كون النساء في النار وأما بعد خروجهن في الشفاعة ورحمة الله
تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال: لا إله إلا الله فالنساء في الجنة أكثر
الحاصل: أن تحرص المرأة أن لا تكون من أهل النار إذا دخلت المرأة الجنة فإن الله
يعيد إليها شبابها وبيكارتها لقوله: { إن الجنة لا يدخلها عجوز... إن الله
تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا.

ورد في بعض الآثار أن نساء الدنيا يكن في الجنة أجمل من الحور العين
بأضعاف كثيرة نظرا لعبادتهن الله.
قال ابن القيم: إن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها، (أي في
الجنة).

والجنة قد تزينت لكن معشر النساء كما تزينت للرجال، (في مقعد صدق عند
ملك مقتدر) فالله الله أن تضعن الفرصة فإن العمر عما قليل يرتحل ولا يبقى بعده
إلا الخلود الدائم، فليكن خلودكن في الجنة - إن شاء الله - واعلمن أن الجنة مهرها

الإيمان والعمل الصالح وليس الأماني الباطلة مع التفريط وتذكرن قوله ﷺ: " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت" (١) .

السؤال السادس

سئل الشيخ الألباني رحمه الله : ماذا للنساء في الجنة مقابل ما للرجال من حور العين؟ .

فأجاب: أما الجواب الشافي فهو الإيمان بالله ورسوله ، هذا السؤال نابع عن الإعجاب بالرأي، ونابع عن البعد عن الإيمان بالله ورسوله، هذا كالمراة تقول " لماذا ربنا خلقني امرأة مركوبة ولم يخلقني رجلا راکبا " ! هذا كلام يقوله مؤمن؟! هذا يعني أمر خطير جدا ، يكفي هذا النوع من النساء أن يُدكَّرن بالنص العام في القرآن الكريم ، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وليس من المفروض أن يعلم الرجال فضلا عن النساء تفاصيل ما ادَّخر الله لهم ولهن من النعيم المقيم في الجنة ، ليس من الضروري أن يعرف الرجال فضلا عن النساء أن يعرف هؤلاء جميعا ما ادَّخر الله لأهل الجنة من النعيم المقيم ، يكفي هذه النسوة أن يذكرن أنهن يلتقين مع الرجال في أكبر نعمة يحظى بها أهل الجنة وهي رؤيتهم لربهم فيها، حينما يتذكرن هذه النعمة فستطغى على ذلك السؤال التافه الذي لا يصدر من انسان يفكر بهذه النعمة الكبرى التي إذا ما حصلت للمؤمنين في الجنة ؛ نساء ورجالا نسوا نعيم الجنة وما فيها ، والحقيقة أن هذا السؤال ينبع من فراغ ذهن النساء - بل وكثير من الرجال - عن بعض الأوصاف التي جاءت مفصلة في السنة

(١) الراوي: أبو هريرة والحديث صححه الألباني.

الصحيحة ، لأن الإنسان حينما يتشبع ببعض الصفات لذات ما ، لا يطمع أن يعرف صفة أخرى في تلك الذات ، أقدم بهذه الكلمة لحديث عبد الله ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاءى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاءى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة " (١).

وعن عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب فيدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن فيتمنى فيقال له لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول

(١) صحيح مسلم _ باب آخر أهل النار خروجاً _ رقم الحديث [١٨٦] .

أتسخر بي وأنت الملك قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه " (١).

وعن أنس عن بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أي رب أدني من هذه الشجرة فلا أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل يا بن آدم لعلني إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول أي رب أدني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا بن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها فيقول لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين فيقول أي رب أدني من هذه

(١) المرجع السابق _ باب آخر أهل النار خروجاً _ رقم الحديث [١٨٦].

لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا بن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها ورب يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا بن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها قال يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك بن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر " (١).

فمن يتذكر هذه النعمة من النساء والرجال يبقى هناك مجال لمثل ذلك السؤال!؟
لكن هو الفقر الذهني والعلمي هو الذي يفسح المجال لهؤلاء الفقراء والمساكين حقا
ليطرحوا مثل ذلك السؤال التافه الباهت الذي لا قيمة له (٢).



(١) المرجع السابق _ باب آخر أهل النار خروجا _ رقم الحديث [١٨٧] .

(٢) تفرغ من " الشريط رقم ٧٨٧ من سلسلة الهدى والنور " .

الصفات الطيبة

إن الله عزيز حكيم، أعز أصحاب النبي ﷺ، بصفات الخير كلها نذكر منها ست صفات ، علي سبيل المثال، وليس الحصر لو أتت فينا لسهل علينا أمر الدين والدنيا وهي:

- ١) اليقين على الله ، وحسن إتباع النبي ﷺ .
- ٢) الصلاة ذات الخشوع والخضوع.
- ٣) العلم مع الذكر.
- ٤) الإكرام وحسن الخلق.
- ٥) تصحيح النية، وإخلاصها لله ﷻ فلي جميع الأقوال والأعمال والأحوال البارزة والخفية.
- ٦) الدعوة إلى الله ﷻ.. وبذل الجهد لدين الله ﷻ، وتفريغ الأوقات وتوفير النفقات.. والخروج في سبيل الله ﷻ.

س: لماذا نتذاكر الصفات الست؟

ج: ١) حتى تأتي فينا الصفات: قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَمْرُ الْبَالْمُبُورِي (رَحْمَةُ اللَّهِ):
 هذه الصفات الإيمانية التي عرفناها عن النَّبِيِّ ﷺ وصحابته الأجلاء رضى الله تعالى عنهم، واختصرت من العلماء والمشايخ في الصفات الستة، فعلينا أن ندعو كل النَّاس من أى بلد وفى كل مكان، للتحلي بهذه الصفات الستة، وهذا الأمر ليس جديدا ، فمشايخنا تفكروا فى حياة النَّبِيِّ ﷺ وجهده، حتى جاؤا بهذه الصفات الستة التى لا بد لكل مسلم أن يتحلى بها ليرضى الله تعالى عنه .

(٢) من خلال مذاكرة الصفات نتمرن ونتدرب عملي علي الدعوة .. لأن مدارس هذه الصفات هي بمثابة التدريب والتعليم على البيانات وتشتمل كل صفة على آيات عديدة وأحاديث نبوية يتحرى الأمير الصحيح منها وتلقين الأحباب لها.

الصفات الستة

من كتاب الله

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَمْرٍ (رَحِمَهُ اللهُ) ونحن لما نتكلم عن الصفات الستة هي ليست من عندنا وليست من جيوبنا كما يظن البعض ، بل هي في كتاب الله تعالى في معرض ذكر قصة موسى عليه السلام ، فالله تعالى قال له : ﴿ إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ فهذا توحيد ، ﴿ فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ فهذا الصلاة ، ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ هذا هو العلم الذي يأتي به الوحي ، وقال ﴿ وَلَا تَنبَأْ فِي ذِكْرِي ﴾ فهذا الذكر ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ ﴾ فلا يعذبهم لكرامتهم عند الله فهذا الإكرام ، ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا ﴾ فهذا الأخلاق ، وكان الإخلاص في جميع الأنبياء وقد شهد الله عز وجل لهم بهذا ، وكذلك الدعوة وفيها يقول تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ وهذه الستة في قصة موسى عليه السلام في سورة طه، هذه الصفات الستة ليست كل الدين ، بل بسببها يأتي عند الإنسان الاستعداد لتقبل الدين والصلاحية لتحمل مسؤولية نيابة النبوة.

الصفات الستة لعلاج أمراض الأمة

• يقول الشيخ إلياس (رحمه الله):

- _ لا إله إلا الله (صفة اليقين وحسن التوكل على الله): لعلاج مرض الشرك بأنواعه.
- _ محمد رسول الله (حسن إتباع النبي ﷺ): لعلاج مرض الابتداع، ومرض اتباع اليهود والنصارى.
- _ صفة الصلاة ذات الخشوع والخضوع: لعلاج مرض الفواحش والمنكرات .
- _ صفة العلم: لعلاج مرض الجهل .
- _ والذكر: لعلاج مرض الغفلة عن الله وأوامره (١).
- _ صفة الإكرام: لعلاج مرض البخل والحرص، والتباغض والتحاسد والتناحر، والأنانية ، وكلها أمراض تفرق الأمة.
- _ صفة الإخلاص وتصحيح النية: لعلاج مرض الرياء والعجب والسمعة .
- _ صفة الدعوة والخروج في سبيل الله: لعلاج مرض حب الدنيا والركون إليها، وكراهية الموت.
- _ وهذا العلاج يحتاجه جميع الناس.. وهذا العلاج نحتاجه يوميا.

(١) العلم والذكر صفتان متلازمتان، لأن الذكر ينير القلب، فيضفي على العلم النور، فيأتي الفهم الصحيح لاستنباط الأحكام، وإلا العلم بدون ذكر يصبح صاحبه من الأئمة المضلين.

البيانات

البيان الأول

اليقين في معرفة رب العالمين

الله جل جلاله قيوم قاهر فوق عباده مستوي على عرشه كما قال ﴿الرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) (٢) بائن من خلقه ، منفرد بتدبير مملكته ، متكلماً

بأمره ونهيه ، بصيراً بحركات العالم علويه وسُفليه ، وأشخاصه وذواته ، سميعاً
لأصواتهم ، رقيب على ضمائرهم وأسرارهم ، وأمر الممالك تحت تدبيره ، يأمر وينهى
، يخلق ويرزق ، يحيى ويميت ، ويقضى وينفذ ، يرضى ويغضب ، يثيب ويعاقب ،

(١) سورة طه - الآية ٥ .

(٢) سئل مالك : كيف استوى ؟ فأطرق مالك وأخذته الرضاء ثم مسح رأسه فقال : " الرحمن على
العرش استوى " كما وصف نفسه ولا يقال له كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعه
، أخرجوه ، فأخرجوا الرجل . وسأله رجل آخر فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول .

وقال عبد الله بن نافع : قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان (تاريخ الإسلام - ١٧٩/٥) .
وقيل لربيعة الرأي : كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ،
وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق . (تاريخ الإسلام - ٥٢/٤) .

وقال علي بن الحسن بن شقيق : قلت لابن المبارك : كيف تعرف ربنا عزوجل ؟ قال : في السماء على
العرش ولا نقول كما قالت الجهمية هو معنا . (تاريخ الإسلام - ٣٠٠/٥) .

وقال الأوزاعي - رحمه الله - كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله سبحانه على العرش ونؤمن بما
ورد في السنة من الصفات .

يعز ويذل ، يُعطى ويمنع ، يرفع ويخفض ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

ويرحم إذا أسترحم ، ويغفر إذا أستغفر ، ويجيب المضطر ، ويكشف الضر ، ويشفي السقيم ، ويجيب إذا دُعي ، ويقيل إذا استقيل ..

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٣) .

﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٤)

موصوفاً بصفات الكمال منعوفاً بنعوت الجلال منزهاً من العيوب والنقائص

والمثال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥) .

(١) سورة آل عمران - الآية ٢٦ .

(٢) سورة النمل - الآية ٦٢ .

(٣) سورة البقرة - من الآية ١٨٦ .

(٤) سورة الشعراء - الآية ٨٠ .

(٥) سورة الشورى - من الآية ١١ .

وهو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه ، يقلب الليل والنهار ، ويداول الأيام بين الناس ، ويقلب الدول يذهب بدولة ويأتي بأخرى ﴿ **وَتَلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ (١).

والرسل من ملائكته عليهم الصلاة والسلام بين صاعد بالأمر، ونازل من عنده بالأمر ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (٢)، ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (٣).

ينفذون أوامره في أقطار الممالك ، وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته .

ما شاء الله كان، في الوقت الذي شاء، على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (٤).

وأوامره وسلطانه نافذة في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار، وفي الجو، وسائر أجزاء العالم وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما شاء وفق حكمة بالغة وإرادة نافذة .

(١) سورة آل عمران - من الآية ١٤٠.

(٢) سورة التحريم - من الآية ٦.

(٣) سورة النحل - الآية ٥٠.

(٤) سورة يس - الآية ٨٢.

حي لا يموت أبداً .. قيوم .. لا ينام ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (١) .

متفرد بالألهمية لكل الخلائق ، حي في نفسه لا يموت أبداً ، قائم لا ينام ، قائم بذاته ، المقيم لغيره ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (٢) ، لا يغفل عن تدبير الخلق ، ولا يعتريه فتور ولا نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣) فالجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٤)

(١) سورة البقرة - الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الروم - من الآية ٢٥ .

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥ .

(٤) سورة مريم - الآية ٩٣ .

ومن عظمته وجلاله وكبريائه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحدٍ عنده إلا بإذنه له في الشفاعة حتى النبي محمد ﷺ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١) .

سميعٌ .. بصير:

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢)

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٣)

البصير .. الذى لكمال بصره ، أحاط بصره جميع المرئيات ، وأبصر جميع المبصرات .. بل يبصر جميع المعدومات، التى سوف تكون فى حيز الوجود ، يبصر الأشياء على ما ستؤول إليه، ويعلم حقائقها، ودقائقها، وما وراءها من المقاصد والغايات .

فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويرى نياط عروقتها ومجارى القوت فى أعضائها.

ويرى ما تحت الأراضى السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ

بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة غافر - من الآية ٢٠ .

(٣) سورة طه - الآية ٤٦ .

(٤) سورة العلق - الآية ١٤ .

السميع .. الذى لكمال سمعه وسع سمعه الأصوات ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، فلا تختلف عليه ، ولا تشتبه عليه ، ولا يشغله سمع عن سمع ، ولا يشغله صوت عن صوت ، ولا يغيب عنه صوت ، ولا يخفى عليه صوت دبيب النملة ، أو حركة الذرة أو ذبذبات الصخور فى أعماق البحار ، أو فى أعالي الجبال ، لا يغيب عن سمعه المعدومات وهى التى لم تدخل فى حيز الوجود بعد ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ

مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (١).

الغيب عنده شهادة ، والسر عنده علانية ، يعلم السر وأخفى من السر .. فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه ، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا .. وكذا .. فى وقت كذا .. وكذا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢).

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٣).

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا

يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴾ (٤).

(١) سورة الرعد - الآية ١٠ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ٥ .

(٣) سورة التغابن - الآية ٤ .

(٤) سورة سبأ - الآية ٢ .

﴿ أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢).

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣).

ولا تغلظه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بالحاح (ذوى الحاجات) الملحين .

أحاط الله - ﷻ - بكل شئ علما وأحصى كل شئ عدداً ووسع كل شئ رحمة وعلماً وعدلاً .. العالم بكل شئ .. ولكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم ، وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .. لا يتقيد علمه بزمان ولا مكان .. ولا يعترى عليه النسيان .. ولم يسبق علمه جهل .. يعلم دبيب الخواطر فى القلوب .. عليم بالجزئيات كما هو عليم بالكلديات .. عليم بدقائق الأمور، وأسرار المقدور، وهو بالظاهر بصير وبالباطن خبير.

(١) سورة المجادلة - الآية ٧.

(٢) سورة يونس - من الآية ٦١.

(٣) سورة لقمان - الآية ١٦.

لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم
مناقيل الجبال وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد حبات الرمال وعدد ما
أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرضاً أرضاً ولا
بحر ما فى قعره ولا جبل ما فى وعره ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

.. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها متى نبتت ومتى سقطت ولما سقطت .. وأين
سقطت وفى أى شئ سقطت .. ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى
كتاب مبين .. ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْبِئِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (٢).

قائم على كل نفس بما كسبت ، مدبر لشئون خلقه وفق حكمة بالغة ، وإرادة
نافذة وقدره منفذة ، فله القدرة التامة ، والمشئنة النافذة والعلم المحيط بما كان وبما
سيكون وبما هو كائن ..

.. وله الغنى المطلق من جميع الكائنات .. وله الحكمة الباهرة التى بهرت
جميع المخلوقات .. وله الكلمات التامات النافذات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر فى
جميع البريات .. قيم الأرض والسموات .. الحى القيوم الذى لكمال حياته ، وقيومته
، لا تأخذه سنة ولا نوم .. ليس فى مخلوقاته شئ من ذاته ، ولا فى ذاته شئ من

(١) سورة الأنعام - الآية ٥٩ .

(٢) سورة الروم - الآية ١٩ .

مخلوقاته، بل هو بائن من خلقه ، مستوٍ على عرشه، عالٍ على كل شيء ، وفوق كل شيء ، له علو الذات ، وعلو القدر، وعلو القهر .

هو العلى الذى لا تدرك ذاته ولا تتصور صفاته فسبحان من لا يدرك ذاته إلا ذاته ولا يحيط الخلق مجتمعين أو متفرقين بصفة من صفاته .

وهو العلى الذى لا يزيده تعظيم العباد علواً، إذ هو عالٍ بذاته وصفاته على سائر خلقه غنى عنهم وهم الفقراء إليه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وهو المتعال عن الأنداد والأضداد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

فلا يدانيه أحد مهما علت رتبته، فهو الذى يمنع عباده ما شاء من فضله ، ويضع من شاء فى أى رتبة شاء ، وهو ولى النعم ومسديها .

تعالى بفضله ورحمته عن الوجود كله .. تمت كلمته صدقاً وعدلاً ، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبيهاً ومثلاً ، وتعالى ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً . ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً وحكمة ورحمة وإحساناً وفضلاً .

له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد ، وله الدنيا والآخرة ، وله الثناء والمجد ، وله الثناء الحسن ، له الملك كله ، وله الحمد كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، شملت قدرته كل شيء ، ووسعت رحمته كل شيء ووسعت نعمته كل حى .

يبدى ويعيد ، لا يفنى ولا يببى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢)، ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ

(١) سورة الشورى - من الآية ١١ .

(٢) سورة القصص - من الآية ٨٨ .

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿^(١)﴾ ، هو الأول (الذى ليس قبله شئ) ، والآخر (الذى ليس بعده شئ) ، والظاهر الذى ليس فوقه شئ ، وهو العالى على كل شئ وهو الغالب الذى لا يغلب ، القاهر الذى لا يقهر ، الظاهر للعقول بالدلائل ، الذى دلت كل الدلائل المادية والمعنوية على وجوده ووحدانيته فى الذات والصفات والأفعال .

والباطن (الذى ليس دونه شئ) .

والباطن (الذى بطن كل شئ أى علم باطنه وخفاياه) .

والباطن (عن إدراك الحواس وتوهمات الخيال) .

والباطن (الذى احتجب بقوة ظهوره عن سائر خلقه فلا تدركه الأبصار) .

الرزاق: الذى يعطى كل كائن حى ما يحفظ به حياته سواء بالأسباب أو بدون

الأسباب أو ضد الأسباب .. ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٢) ..

الوهاب: الذى يعطى من يشاء ، متى شاء ، فى أى وقت شاء ، على الوجه

الذى يشاء .. بغير حساب .. والوهاب الذى يهب العطاء دون عوض ويعطى النعمة

بغير سؤال ويهب ما شاء لمن شاء من المواهب بدون أسباب ﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ**

إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ ^(٣) .

المقيت: الذى يعطى القوت لكل مخلوق حيث كان .

اللطيف: الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

(١) سورة الحديد - الآية ٣ .

(٢) سورة هود - الآية ٦ .

(٣) سورة الشورى - من الآية ٤٩ .

الخالق : خالق الأشياء والأحوال يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحدٍ من خلقه وهو الصمد .

هو الخالق لكل شيء .. المالك لكل شيء .. المهيمن على كل شيء .. المتصرف في كل شيء .. المدبر لكل شيء .. القادر على كل شيء .. الرازق لكل شيء .
الخالق .. المقدر الموجد المبدع .. الخالق الذي أوجد كل شيء من العدم على غير مثال سابق ..

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (٢) .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) .

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

(١) سورة الزمر - الآية ٦٢ .

(٢) سورة الحج - الآية ٧٣ .

(٣) سورة لقمان - الآية ١١ .

(٤) سورة النحل - الآية ١٧ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: " ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي! فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة " متفق عليه (١).

الله ﷻ .. خالق ومستو في خلقه السماوات والذرة وكذلك الفيل والنملة .. الله ﷻ ما استفاد اسم الخالق بعد الخلق فهو " خالق " قبل أن يخلق الخلق والله ﷻ ما استفاد اسم البارئ بعد إحداث البرية فهو " البارئ " قبل إحداث البرية .
الله ﷻ ما خلقنا بحاجة منه إلينا بل خلقنا اقتداراً منه علينا .. الله ﷻ .. ما خلق الخلق بحاجة منه إلى الخلق بل هو غنى عن خلقه .. غنى بذاته .. ليس غنى بالإنسان أو بالملائكة أو السماوات أو الأرض أو الجبال .. الخ ..
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢).

غنى بذاته وكل الذوات محتاجة إلى ذاته سبحانه وتعالى.

البارئ المصور:

البارئ: المصلح الذي يعطي كل شئ ما يناسبه من الخلق والتكوين والتسوية وفق علمه وإرادته وقوته ..

المصور: الذي خص كل موجود بصورة تميزه عما سواه فأحدث الصورة على أي

نحو شاء وعلى أي كيفية أراد ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٣).

(١) رياض الصالحين – باب تحريم الصور.

(٢) سورة فاطر – الآية ١٥.

(٣) سورة الانفطار – الآية ٧.

أسمائه كلها مدح ، وحمد ، وثناء ، وتمجيد ، ولذلك كانت حسنى وصفاته كلها صفات كمال ونعوته كلها جلال وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدلاً ..
 .. كل شئ من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه .. لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ولا ترك الإنسان سدى عاطلاً ..
 .. بل الخلق لقيام توحيدهِ وعبادته وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ليتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته ..

تعرف إلى عبادة بأنواع التعريفات وصرف لهم الآيات ونوع لهم الدلالات ودعاهم إلى محبته من جميع الأبواب ومد بينه وبينهم أقوى الأسباب فأتم عليهم نعمه السابغة وأقام عليهم حجتة البالغة وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته تغلب غضبه فهو عنده فوق عرشه.

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (١).

يغفرُ ذنباً ويفرجُهماً ويكشفُ كرباً ، ويجبرُ كسراً ، ويغنى فقيراً ، ويعلمُ جاهلاً ، ويهدى ضالاً ، ويرشدُ حيراناً ، ويغيثُ لهفاناً ، ويفكُ عانياً ، ويشبعُ جائعاً ، ويكسوا عارياً ، ويشفى مريضاً ويعافى مبتلى ، ويقبلُ تائباً ، ويجزى محسناً ، وينصرُ مظلوماً ، ويقصمُ جباراً ، ويقيلُ عثرةً ، ويستترُ عورةً ، ويؤمنُ خائفاً ويرفعُ أقواماً ، ويضعُ آخرين ..

" إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفضُ القسطَ ويرفعه ، يرفعُ إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابهُ

النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .. " .

" يمين الله ملى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض .. " .

قلوب العباد ونواصيهم بيده ، وأزمة^(١) الأمور بيده ، معقودة بقضائه وقدره .
 يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، رفع السماء بغير عمد ترونها ،
 والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، ويضع السماوات
 على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على
 إصبع وبقية الخلق على إصبع ، ثم يقبض سماواته كلها بيده الكريمة والأرضين
 بيده الأخرى ثم يهزهن هزاً ثم يقول أنا الملك .. أنا الملك .. أين ملوك الأرض .. أنا
 الجبار .. أنا المتكبر .. أين الجبارون .. أين المتكبرون .. أنا الذى بدأت الدنيا ولم
 تك شيئاً .. وأنا الذى أعيدها كما بدأتها .. فالسماوات السبع فى كفه كخردلة فى
 كف أحدكم ..

ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله عز
 وجل ..

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أتقى
 قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيئاً .. ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه

(١) أزمة : جمع زمام.

أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً ..

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم ، حيهم وميتهم ، رطبهم ويابسهم ، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحدٍ منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة (إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) .(

﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (١).

الله ﷻ لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .. متعالٍ ليس شئ أعلى منه .. لا ند له .. لا مساوى له .. لا شبيه له .. لا نظير له .. لا مثيل له .. لا وزير له .. لا ضد له .. كبير وما دونه صغير .. قوى وما دونه ضعيف .. عزيز وما دونه حقير .
الله جل جلاله .. أعلى وأعظم من أن نتخيله .. كل ما خطر ببالك فالله ﷻ فوق ذلك .. لا يقارن بمخلوق .. كل شئ خاضع لأمره .. كل شئ طائع لأمره .. كل شئ خاشع له .. عز كل ذليل .. غنى كل فقير .. مغيث كل ملهوف .. مفرج عن كل مكروب .. كنز الفقراء .. حصن الضعفاء .. أمان الخائفين .. سميع عليم .. سميع بصير .. سميع خبير .. واحد لا يتعدد .. أحد لا يتبعض .
الله ﷻ لا يسأل عنه متى كان ؟..

لأنه هو خالق الزمان والمكان .. وهو الذى بدأ نظام الكون وهو الذى ينهى

نظام الكون ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ** ﴾ (٢).

(١) سورة الروم - من الآية ٢٧ .

(٢) سورة التكوير - الآيتان ١،٢ .

لما ينتهي نظام الزمان يبدأ نظام أهل الجنة (يا أهل الجنة خلوداً بلا موت) .

الله ﷻ أحقُّ من ذكر .. وأحقُّ من عبْد .. وأحقُّ من حُمِدَ .. وأولى من شُكِرَ .. وأنصرُ من أبتغى .. وأرأف من ملك .. وأجودُ من سُئِلَ .. وأعفى من قدر .. ومغفرتَه عن عزته .. ومنعته عن حكمتَه .. وموالاته عن إحسانه وبره وعطفه وكرمه ورحمته .

كلا ولا سعى لديه ضائع

ما للعباد عليه حق واجب

بفضله وهو الكريم الواسع

إن عذبوا فبعده وإن نعموا

الله ﷻ .. هو الملك لا شريك له .. والفرد لا ند له .. والغنى فلا ظهير له .. والصمدُ فلا ولد له .. ولا حاجة له .. والعلی فلا شبيه له .. ولا سمي له ﴿ هَلْ

تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ^(١) . كل شئ هالك إلا وجهه .. وكل ملك زائل إلا ملكه .. وكل

ظل قاص إلا ظله .. وكل فضل منقطع إلا فضله .. ولن يطاع إلا بإذنه ورحمته ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته .. يطاع فيشكر .. ويُعصى فيتجاوز ويغفر .. كل نعمة منه عدل .. وكل نعمة منه فضل .. أقرب شهيد .. وأدنى حفيظ .. حال دون النفوس .. وسجل الآثار .. وكتب الآجال .. القلوب له مفضية .. والسر عنده علانية .. والغيب عنده شهادة .. عطاؤه كلام وعذابه كلام .. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ..

(١) سورة مريم - من الآية ٦٥ .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١).

قل يا محمد ﷺ لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه
وآياته الدالة عليه وعلى قدرته لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابه ذلك ﴿ وَلَوْ جِئْنَا
بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ أي بمثل البحر بحراً ثم آخر وهلم جرا .. بحور تمده ويكتب بها ما
نفدت كلمات الله كما قال الله ﷻ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴾ (٢).

لو أن أشجار الأرض منذ أن خلقها الله ﷻ إلى أن تنقضي الدنيا أقلام والبحر
من وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداداً لتكسرت الأقلام وفنيت وفنى المداد وبقيت
كلمات الله ﷻ قائمة لا يفتنيها شيء ، وكيف تفنى كلماته جل وعلا وهي لا بداية لها
ولا نهاية .. فالمخلوق هو أحق بالفناء لأنه له بداية وله نهاية ، لا يستطيع أحد
أن يقدر قدرة الله ﷻ ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى هو الذي يثنى على نفسه كما
قال ﷻ : " لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك " .

.. إن ربنا كما يقول .. وفوق ما نقول ..



(١) سورة الكهف – الآية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان _ الآية ٢٧ .

البيان الثاني

في صفة اليقين على الله ﷻ

لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ

كل غير الله بغير الله لا يفعل شيئاً ، مثلاً :

- الشمس بدون الله لا تستطيع أن تعطي الحرارة والضوء.
- والعين بدون الله لا تستطيع أن تبصر.
- والأذن بدون الله لا تستطيع أن تسمع.
- واللسان بدون الله لا يستطيع أن يتكلم.
- والرجل بدون الله لا تستطيع أن تمشى.
- واليد بدون الله لا تستطيع أن تبطش.
- والطعام بدون الله لا يستطيع أن يعطي الشبع.
- والماء بدون الله لا يستطيع أن يعطي الرى
- والسحاب بدون الله لا يُعطي المطر.
- والشجر بدون الله لا يعطي الثمر.
- والنحل بدون الله لا يُعطي العسل .
- والجاموس والبقر بدون الله لا يُعطي اللبن.
- والأرض بدون الله لا تُعطي الزرع .

- والدواء بدون الله لا يعطي الشفاء.
- والنوم بدون الله لا يُعطي الراحة.
- والنار بدون الله لا تحرق.
- والأشياء بدون الله لا تُعطي الراح‘
- والسكين بدون الله لا تدبج.
- والبحر بدون الله جلا لا يغرق.
- وهكذا كل الأشياء بدون الله لا تستطيع أن تفعل شئ والله بغير غيره يفعل كل شئ .. يفعل ما يشاء على الوجه الذي يشاء في الوقت الذي يشاء بقدرته وحده ﷻ ولا يحتاج لأحدٍ من خلقه وهو الصمد (١).



(١) قال ابن مسعود ﷺ .. اليقين : الإيمان كله .
وقال بشر : لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوه .
وقال سفيان الثوري : لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقاً إلى الجنة وخوفاً من النار . (تاريخ الإسلام للذهبي - ٤ / ٥٥٨) .

البيان الثالث

في صفة اليقين على الله ﷻ

لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ

■ الكلمة الطيبة لا إله إلا الله:

(١) معنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ (١).

(٢) تحقيق الكلمة الطيبة... لا إله إلا الله.

(٣) مقصد الكلمة الطيبة لا إله إلا الله (٢):

أ _ إخراج اليقين الفاسد من القلب علي الأشياء، وإدخال اليقين الصادق في قلوبنا علي الله وصفاته.

ب _ كيف يتبدل اليقين والعواطف والطريق من :

(١) المخلوق إلى الخالق .

(١) سورة طه - الآية ١٤ .

(٢) وكلمة مقصد : أي ما تُعمله هذه الكلمة في القلب الذي دخلت فيه، فتنوره ، وتخرج منه كل يقين فاسد علي الأشياء والأسباب، وتبدل اليقين والعواطف والطريق : من المخلوق إلى الخالق ومن الأشياء والأسباب إلى الأعمال الصالحة ومن الدنيا إلى الآخرة..

(٢) ومن الأشياء إلى الأعمال الصالحة .

(٣) ومن الدنيا إلى الآخرة .

لأن كل إنسان يمشى تحت يقينه فعندما يتبدل اليقين من الأشياء والمال والذهب والمنصب يأتي في القلب اليقين على ذات الله وقدره الله وخزائن الله وعند ذلك يرى النظام الغيبي ويتيقن على الوعد والوعيد أي الجنة والنار لأن صفات الله ﷻ أعلى وأشرف لا تجتمع مع حب الدنيا في قلب واحد .

الصحابة قبل الإسلام كان يقينهم على الأصنام ولكن لما قالوا لا إله إلا الله تبدل يقينهم على الله ففهموا أن كل الدنيا لا شيء ... والله سبحانه وتعالى كل شيء .
وأنا لا نتربى من الدكان والوظيفة والزراعة ولكن الذي يربينا هو الله ﷻ ...
العزة بيد الله ﷻ ... والذلة بيد الله ﷻ ... والصحة والمرض بيد الله ﷻ ... والغنى والفقر بيد الله ﷻ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٢).

فالعزة والفلاح ليست في الأشياء ولكن هي في الحقيقة من خزائن الله ولكن الإنسان لا يرى إلا السبب الظاهري مثال الإنسان ينظر إلى الحنفية هو يظن أن الماء من الحنفية ولكنها سبب والماء يأتي من الخزان وكذلك يظن أن الكهرباء من

(١) سورة آل عمران - الآية ٢٦ .

(٢) سورة الذاريات - الآية ٥٨ .

اللمبة ولكن الكهرباء من المحول وهكذا الإنسان ينظر إلى الحليب فيظن أنه من الجاموس ولكن الحليب يأتي من خزائن الله ﷻ .
والقمح ليس من الأرض ولكن من خزائن الله ﷻ والربح ليس من الدكان ولكن من خزائن الله ﷻ .

الأسباب مثل العصا - العصا يضرب بها الرجل ولكن المضروب يقول للعصا لا تضربى ...؟ - العصا لا تضرب ولكن الذى يضرب هو صاحب العصا ، كذلك الشفاء ليس من الدواء ولكن الشفاء من خزائن الله ﷻ ، الجاموسة بعد الحليب تقول لصاحبها قل لا إله إلا الله ، والدجاجة تصيح بعد وضع البيضة وتقول لصاحبها قل " لا إله إلا الله " ، والدكان أحياناً يأتي بعكس السبب فيأتي بالخسارة بدل الربح والعلاج ممكن أحياناً يكون سبباً لزيادة المرض وكذلك الطعام .
الجهد للدين فى الظاهر ينقص الدنيا، ولكن فى الحقيقة من أقوى أسباب الرزق .(١)



البيان الرابع

في صفة اليقين على الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

معنى كلمة التوحيد : " لا إله إلا الله " أنه لا معبود بحق إلا الله .

مقصد (لا إله إلا الله) : نتيقن بأن الله قادر على كل شئ بدون المخلوقات ، بدون الأسباب وأن نتيقن بأن المخلوقات مع جميع الأسباب لا يقدرن على شئ بدون إرادة الله ﷻ .

التفصيل : يعنى أن الله ﷻ قادر على إزالة الجوع بدون الطعام ، وقادر على إزالة العطش بدون الماء ، وقادر على إعطاء الشفاء بدون الدواء ، وقادر على خلق الثمر بدون الشجر ، وقادر على خلق الإنسان وتربيته بدون الوالدين ، وقادر على إنبات النبات بدون المطر ، وقادر على إحراق الشئ بدون النار ، وقادر على قضاء الحوائج بدون أى سبب وأى كسب ، وقادر على إعطاء العزة فى صورة الذلة وقادر على إنزال الذلة فى صورة العزة وقادر على إعطاء النجاة فى صورة الهلاك ، وعلى إعطاء الهلاك فى صورة النجاة ، وقادر على إعطاء الغلبة لفئة قليلة بدون السلاح ، وقادر على إتيان الخوف فى صورة الأمن ، والأمن فى صورة الخوف .

وخالصة الكلام : أن العزة والذلة والمرض والصحة والضر والنفع والأمن والخوف والصلح والحرب والفتح والهزيمة والضحك والبكاء والفقر والغنى والحياة والموت ... الخ . كل ذلك بيد الله ﷻ وتصرفه وهو لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا إلى أى سبب والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله فى خلقهم وصفاتهم واستعمالهم والمخلوقات كلها لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا يملكون ضراً ولا نفعاً (١).



(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي - مؤلف حياة الصحابة .

البيان الخامس

في صفة اليقين على الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

الله ﷻ جعل الفلاح التام للإنسانية جمعاء يرتكز على الثروة الداخلية للإنسان لأن الفلاح والخسارة وهي حالة داخلية للإنسان ليس اسم لشئ خارجي ، فالعزة والذلة والراحة والشقاء والاطمئنان وعدمه والصحة والمرض حالات داخلية للإنسان .
فصلاح هذه الأحوال وفسادها ليس متعلقاً بشئ من الأشياء الخارجية فالله ﷻ أعز بعض الناس مع الملك والمال وأعز آخرين مع الفقر ، فالثروة الداخلية هي يقينة وعمله ، فإذا صلح يقين الإنسان فالله سبحانه وتعالى يعطيه حالة الفلاح والطمأنينة وإن كانت الأشياء المادية قليلة .

الله تعالى هو خالق ومالك لكل إنسان وخلق كل شئ بقدرته وهو خالق كل شئ وهو غير مخلوق ، فالمخلوق لا يستطيع أن يفعل شئ فكل خلقه بالقدرة الإلهية هو تحت القدرة دائماً فكل شئ في قبضته سبحانه وتعالى فهو الذي يستعمل هذه الأشياء ويتصرف فيها بقدرته تعالى يستبدل شكل هذه الأشياء وصفاتها أو يتركها كما هي حسب ما يشاء فيجعل من العصا حية ... ومن الحية عصا .

وهكذا ... كل شئ وإن كان الملك والمال أو البرق والهواء فهو في قبضته ﷺ
وتحت تصرفه فمن المكان الذي يرى فيه الإنسان العمار قادر أن يجعل منه الخراب
... والمكان الذي يرى فيه الإنسان الخراب قادر أن يجعل منه العمران .
الله ﷻ قادر أن يربى جميع المخلوقات على التراب وبدون أى شئ من الأسباب
وقادر ﷻ أن يهلك جميع الأشياء مع وجود جميع العدد ووسائل التربية (١) .
علامة وجود لا إله إلا الله في القلب:

توجه القلب إلى الله ﷻ في كل حال، لأن فيه اليقين الصحيح : بأن الذي يجلب
النفع هو الله والذي يدفع الضر هو الله فنتوجه إليه بقلوبنا وأعمالنا في قضاء
حوائجنا الدنيوية والأخروية وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: ﴿
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢).

علامة عدم وجود لا إله إلا الله في القلب:

توجه القلب لغير الله (الأسباب)، اعتقاداً منه بأن الأشياء والمخلوقات بيدها
جلب نفع أو دفع ضر ثم التوجه إليها من دون الله باستعانة أو استغاثة أو دعاء أو
توكل أو خشية أو رجاء أو رغبة أو رهبة أو خوف أو محبة فهذا يقين بغير الله ﴿ فَمَنْ
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا

(١) من رسالة أرسلها الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي مؤلف كتاب حياة الصحابة ، إلى جماعة الحج
والعمرة المتجهة من بلاد الهند إلى الحجاز.

(٢) سورة الأنعام - الآية ١٦٢ .

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

قال الإمام الشافعي: كلما تعلقت بشخص تعلقاً، أذاقك الله مرّ التعلق لتعلم أن الله يغار على قلب تعلق بغيره، فيصدك عن ذاك ليردك إليه.



البيان السادس

في صفة اليقين على الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

المقصد: لا معبود بحق في هذا الوجود إلا الله بمعنى تغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق ومن الدنيا إلى الآخرة ومن الأشياء والأسباب إلى أعمال الدين. فنُخْرِج من قلوبنا اليقين الفاسد على الأشياء والمشاهدات، ونُدخل اليقين الصادق على الله تعالى، وأن الله خلق سبع سماوات بغير عمد وسبع أراضين. يعلم حبات وقطرات الأمطار وأوراق الأشجار، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب حفيظ.

كل شيء من خلق الله.. من الفرش إلى العرش، مُلك الله.. ومن الذرة إلى المجرة مُلك الله.. ومن القطرة إلى البحار والمحيطات مُلك الله.. ومن النملة أو أصغر منها إلى أعظم مخلوق مُلك الله جل جلاله. الفضيلة:

قوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ

لِلْيُسْرَى }، وقوله ﷺ: " من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة"

صحيح الجامع.

وقوله ﷺ لمعاذ: " ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار " متفق عليه.
الحقيقة: توجه القلب .

علامة الحقيقة: تبديل الفكر.

الأهمية: من كان في قلبه مثقال من: (لا اله إلا الله) لا يخلد في النار:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً " قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ . (١).

عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: " يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ " ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : قَالَ أَبَانُ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ،

(١) صحيح البخاري « كتاب الإيمان » باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال رقم [٢٢].

حَدَّثَنَا أَنَسٌ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، مِنْ إِيْمَانٍ مَكَانٍ مِنْ خَيْرٍ .^(١)

أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة^(٢).

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: يقول الله: أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام" قال هذا حديث حسن غريب^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً رجل يخرج منها زحفاً، فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل قال: فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب! قد أخذ الناس المنازل، قال: فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه، فيقول: نعم فيقال له: تمن ، قال: فيتمنى، فيقال له: فإن لك ما تمنيت وعشرة

(١) المرجع السابق رقم [٤٣].

(٢) صحيح مسلم _ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم [١٩٣].

(٣) سنن الترمذي رقم [٢٥٩٤].

أضعاف الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك، قال: فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه " قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح^(١).

وعن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: " إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة يؤتى برجل فيقول سلوا عن صغار ذنوبه واخبثوا كبارها فيقال له عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا قال فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة قال فيقول يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا" قال فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح^(٢).

وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ: " يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال فترش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغناء في حماله السيل ثم يدخلون الجنة" قال هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن جابر^(٣).

(١) المرجع السابق رقم [٢٥٩٥].

(٢) المرجع السابق رقم [٢٥٩٦].

(٣) المرجع السابق رقم [٢٥٩٧].

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: " يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الإيمان" قال أبو سعيد فمن شك فليقرأ { إن الله لا يظلم مثقال ذرة
{ قال هذا حديث حسن صحيح^(١).

طرق التحصيل:

- (١) نكث من قول (لا اله إلا الله).. نتدرب على يقينها.
- (٢) نكث من الجلوس في مجالس فضائل (لا اله إلا الله)..
- (٣) ندعو الناس إلى تحقيق (لا اله إلا الله) في حياتهم.
- (٤) ندعو الله أن يرزقنا والأمة حقيقة (لا اله إلا الله)..

قصص في اليقين والتوكل:

(١) فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ
إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : يَا أَبَا
بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا " (؟). وفي رواية: «اسكت يا
أبا بكر، اثنان الله ثالثهما» أخرجه البخاري^(٢).

وسجل الحق عز وجل ذلك في قوله تعالى: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ
أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ

(١) المرجع السابق رقم [٢٥٩٨].

(٢) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ }.

(٢) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ عَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ
فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكْتَهُمُ الْقَائِلَةَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَنْظِلُونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمْرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمِنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا
عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ (١) فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ
فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللَّهُ
ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية قَالَ جَابِرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَاتِ الرَّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ
تَرَكَنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعْلَقٌ
بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ ، فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ: " لَا " فَقَالَ : " فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ " قَالَ :
" اللَّهُ " .

وفي رواية أَبِي بَكْرٍ إِسْمَاعِيلِي فِي "صحيحه"، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: " اللَّهُ
" . قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: " مَنْ يَمْنَعُكَ

(١) اسمه : غورث بن الحارث.

مني ؟ "فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ. فَقَالَ: " تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ " قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ (١)(٢).

(٣) عن ابن عباس أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَعَمَ الْوَكِيلَ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَلْقَى فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَعَمَ الْوَكِيلَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أَلْقَى فِي النَّارِ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعَمَ الْوَكِيلَ. (٣).

(٤) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي

(١) غريب الحديث: قوله قفل: أي رجع.

والعضاه: الشجر الذي له شوك.

والسمرة بفتح السين وضم الميم: الشجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاه.

واخترط السيف أي سله وهو في يده.

صلتا: أي مسلولا. وهو بفتح الصاد وضمها.

(٢) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

(٣) المرجع السابق.

فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَانظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخِرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ " ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا- وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ- فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: " مَا الَّذِي تَحُوضُونَ فِيهِ ؟ " فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " فَقَامَ عُكَّاشَةُ ابْنُ مُحَصِّنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: " أَنْتَ مِنْهُمْ " ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

(٥) وعندما أراد سعد بن أبي وقاص فتح المدائن وكانت على شاطئ دجلة في العراق وكان النهر في حالة فيضان ، فلم يجد سعد بن أبي وقاص وسيلة لعبور البحر فكون كتيبة سميت كتيبة الأهوال وعبرت النهر وأخلت الشاطئء نسبيا من قوات الفرس، ولما عبرت كتيبة الأهوال النهر وكانوا ستمائة رجل، تبعهم سعد بن أبي وقاص بكامل الجيش وأمر جنده قائلاً: قولوا : نستعين بالله

ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
فجعلوا يمشون على الماء كأنهم يمشون على الأرض!!!!!!
حتى أن الفرس عندما رأوا هذا الموقف قالوا : ديوانا ديوانا أي : مجانين مجانين
وعندما رأوهم لا يغرقون قالوا بالفارسية : والله إنكم لا تقاتلون إنسا بل تقاتلون
جنا!!!! .

(٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِتَمْرَاتٍ
فَقُلْتُ : "ادْعُ اللَّهَ لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ" قَالَ فَصَفَّهَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ ثُمَّ دَعَا فَقَالَ لِي :
"اجْعَلُهُنَّ فِي مَزُودٍ (١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَلَا تَنْشُرْهُ" قَالَ : " فَحَمَلْتُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا
وَسَقَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَأْكُلُ وَنُطْعِمُ وَكَانَ لَا يُفَارِقُ حَقْوِي فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ انْقَطَعَ عَنْ حَقْوِي (٢) فَسَقَطَ (٣) .

(٧) ورواه البهقي في الدلائل ٢٣٥٦ بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُنَّا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَمَعَكَ
شَيْءٌ ؟ « قال : قلت تمرًا في مزودٍ معي ، قال : « جئ به » فأخرجت منه
تمرًا فأتيته - قال فمسه فدعا فيه ثم قال : « ادع عشرة » ، فدعوت عشرة

(١) المزود : الوعاء الذي يُحمل فيه الزاد ونحوه.

(٢) الحَقْوُ: الخصر. وقيل: مَشْدُ الإزار.

(٣) رواه أحمد ٨٢٧٤ وأخرجه الترمذي (٣٨٣٩) وابن حبان (٦٥٣٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة
٤٢٤٥ قال الألباني: إسناده حسن. وقال الحافظ ابن حجر في " فتحه " (١١ / ٢٨١) . و الحديث
صحيح بمجموع طرقه.

فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر المزود ، قال : « يا أبا هريرة ، إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك ولا تكبه » ، قال : فأكلت منه حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها ، وأكلت منه حياة عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان كلها ، فلما قتل عثمان انتهب ما في بيتي ، وانتهب المزود ، ألا أخبركم أكلت منه أكثر من مائتي وسق^(١).

(٨) قال ياقوت في " معجم البلدان " : وفي كتاب سيف: أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي، فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وإن ما بين دارين والساحل مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات، فالتقوا وقتلوا، وسبوا فبلغ منهم الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين .

فقال في ذلك عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذل بحـره
دعونا الذي شق البحار فجاءنا
وأنزل بالكفار إحدى الجلائل ؟
بأعجب من فلق البحار الأوائل^(٢).

وفي الطبراني في الاوسط (٤/١٥): عن أبي هريرة قال لما بعث النبي صلى الله عليه و سلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتها أعجب انتهينا إلى شاطئ البحر فقال سمووا واقتحموا قال فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا فلما قفلنا صرنا معه بفلاة

(١) الوسق : مكيال مقداره ستون صاعا والصاع أربعة أمداد، والمُدُّ مقدار ما يملأ الكفين.

(٢) معجم البلدان (٢/٤٣٢).

من الأرض وليس معنا ماء فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت غزاليها فسقينا واستقينا ومات فدفناه في الرمل فلما سرنا غير بعيد قلنا يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره.

وفي الطبراني الكبير (٩٥/١٨): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما بعث النبي صلى الله عليه و سلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهان أعجب انتهينا إلى شاطيء البحر فقالوا سمووا واقتحموا فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء إلا أسافل أخفاف إبلنا فلما قفلنا صرنا بعد بفلاه من الأرض فليس معنا ماء فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت غزاليها فسقينا واستقينا ومات بعد ما بعثه أبو بكر إلى البحرين لما ارتدت ربيعة فأظفره الله بهم وأعطوا ما منعوا من الزكاة ومات فدفناه في الرمل فلما سرنا غير بعيد قلنا يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره.

وفي مصنف بن أبي شيبة (٤٢٠/١٠): عن زياد بن حدير، قال: سمعت العلاء بن الحضرمي يحدث خاله، أنه كان من دعائه حين خاض البحر: اللهم يا حليم يا علي يا عظيم.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٩٠/ ٦): وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء، وفي قصة العلاء بن زياد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك، روى منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له، فنزلنا منزلا فطلب الماء فلم يجده، فقام وصلى ركعتين وقال، اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب، ولا يكون لاحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه، فتوضأنا منه وتزودنا، وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم

لا، فسرنا قليلا ثم قلت لاصحابي: نسيت إداوتي، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال، يا علي يا حكيم، إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء ، وذكر بقية القصة.



البيان السابع

دعوة الإيمان واليقين

جهد الرسول: هو اسم لمجموعة أعمال، وليس عمل واحد فكما أن الصلاة تطلق

على مجموعة أعمال (تكبير، قراءة، ركوع، سجود، تشهد، ثم تسليم) فلو أن إنسان كبر ثم قرأ وسجد قبل أن يركع لن تحسب صلاة، وكذلك جهد النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة أعمال وعلى الترتيب:

أولاً: الجهد على تصحيح دعوة الايمان واليقين:

إن جميع الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة فقط بيد الله ﷻ.. والله عنده خزائن كل شيء.. خالق الأشياء ومصرف الأحوال .. يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.. وهو الذي جعل فلاحنا وفلاح البشرية كلها ، في امتثال أوامره، وعلى نهج نبيه ﷺ .. وحتى يترسخ فينا هذا اليقين.. لا بد لنا من الجهد.. وهذا الجهد يحتاج منا إلى تفرغ الوقت.. هل أنتم مستعدون ؟.

التفصيل: الله تبارك وتعالى جعل جميع الفوز والفلاح والهداية بيده فقط، ولم يجعلها بيد أحد من خلقه، لا بيد ملك مقرب ولا نبي مرسل وإلا لأعطاها نوح عليه السلام لإبنه وزوجته، ولأعطاها إبراهيم عليه السلام لأبيه، ولأعطاها صلى الله عليه وسلم لعمه.

ونتكلم فيها بالتفصيل.. حتى تأتي فينا هذه الصفات.. وهذه الصفات هي مادة دعوتنا، نتكلم فيها، مثل البائع لا يتكلم عن بضاعة غيره، فنعرض المنهج، وهذا المنهج فيه صلاح حياتنا.

ونخصص وقت في أثناء التعليم، أو أثناء اليوم، بعد أي صلاة نتذاكر بعض علم المسائل مثل (آداب الغسل.. آداب الخلاء.. آداب الوضوء.. آداب المساجد.. مسائل الصلاة.. آداب وتلاوة القرآن وأحكامه.. آداب الزيارة) .

وفي التعليم الانفرادي نتعلم ما شئنا من علم المسائل المهمة والتي نحتاج إليها خلال حياتنا اليومية، سواء من العلماء، أو من كتب أهل السنة المعتبرة.. ويفضل أن نتعلم المسائل الفقهية من العلماء.



البيان الثامن

الفوز والفلاح

هو كل ما يتمناه الإنسان من خير في الدنيا وما بعد الموت، ومضمونه (العزة - الحفاظة - قضاء الحوائج - حل المشاكل - الرزق الطيب) .

(١) **العزة:** فقط بيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ**

جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا**

يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فالعزة فقط بيد الله عز وجل، وليس جزء ولا ذرة من العزة في الأموال ولا في المناصب، ولا في الجاه، ولا في العمارات، ولا في السيارات، ولا في العقارات، ولا الوظائف، ولا الشكل الجميل.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يعز أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان، وعلي أي حال، واجتمع أهل الأرض علي أن يذلوه لأعزه الله عز وجل بقدرته وحده.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يذل أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان، وعلي أي حال، واجتمع أهل الأرض علي أن يعزوه لأزله الله عز وجل بقدرته وحده.

(١) سورة فاطر - الآية ١٠ .

(٢) سورة المنافقون - الآية ٨ .

٢ (الحفاضة : فقط بيد الله ﷻ،.. وليس جزء ولا ذرة من الحفاضة في قوة البدن، ولا في الأسوار العالية، لا في الأقفال الكبيرة، ولا في الأب ولا في الأم ، ولا في العائلة، ولا في القبيلة، ولا في الجيوش المجيشة .. ولكن الحفاضة فقط بيد الله جل جلاله.

فلو شاء الله، ولو أراد الله أن يحفظ أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان ، وعلي أي حال، واجتمع أهل الأرض علي أن يهلكوه لحفظه الله عز وجل بقدرته وحده، كما حفظ النبي محمد (ﷺ) وصحبه في الغار، وكما حفظ إبراهيم من النمرود وحكومته في النار، وكما حفظ يونس في بطن الحوت، وكما حفظ موسى عليه السلام وقومه في البحر وأغرق فرعون وجنوده، وكما حفظ عيسي عليه السلام من اليهود ورفعهم إلي السماء ، وكما حفظ نوح وأتباعه المؤمنين من الطوفان.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يهلك أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان ، وعلي أي حال، واجتمع أهل الأرض علي أن يحفظوه لأهلكه الله عز وجل بقدرته وحده.

٣ (وقضاء جميع الحوائج وحل جميع المشاكل : فقط بيد الله عز وجل وليس جزء ولا ذرة من قضاء الحوائج وحل المشاكل في الأموال، ولا في الدكاكين، ولا في المناصب، ولا في أصحاب المناصب ولا في الأرض، ولكن قضاء الحوائج وحل المشاكل بيد الله عز وجل.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يقضي حاجة أي إنسان، أو يحل مشكلته، في أي زمان، وفي أي مكان، وعلي أي حال.. واجتمع أهل الأرض علي أن يقفوا أمام قضاء حاجته والعمل علي عدم حل مشكلته، لقضي الله عز وجل حاجته، وحل مشكلته بقدرته وحده.

٤ (**الرزق الطيب** : بيد الله عز وجل، وليس جزء ولا ذرة من الرزق الطيب في الوظيفة، ولا في الأرض، ولا في البساتين، ولا في المصانع، ولا في المتاجر ولا في الدكاكين، ولكن بيد الله عز وجل.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يرزق أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان، وعلي أي حال.. واجتمع أهل الأرض علي أن يمنعوا عن هذا الإنسان رزقه لرزقه الله عز وجل بقدرته وحده (اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد) (١).

فأنت تجلس في الدكان ولا تتيقن علي أن الرزق من الدكان، ولكن الرزق من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٢) .

الفوز والظلال :

عطاء من الله **عِزًّا** يبدأ في الدنيا ويترقى ويزداد، ولا يأتي عليه النقصان أبد الآباد.

(١) عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : " اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الشاء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " . رواه مسلم (مشكاة المصابيح _ كتاب الصلاة _ باب الركوع ٢٧٦/١) .

(٢) سورة الذاريات - الآية ٥٨ .

وكل الأغيار والأسباب على غير الإيمان: حطم جميل واستدراج وإمهال، قال تعالى: ﴿

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وكل الأغيار والأسباب مع الإيمان: خدعة وسراب وامتحان .



البيان التاسع

مفهوم السعادة

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَىٰ﴾ (٢) .

السعادة في الدنيا والآخرة .. وقضاء جميع الحوائج في الدنيا والآخرة.. وحل جميع المشاكل في الدنيا والآخرة بيد الله جل جلاله .

وحتى نسعد في الدنيا والآخرة، وتُقضى حوائجنا وتُحل مشاكلنا في الدنيا والآخرة، لا بد أن يرضي الله عنا رضاءً كاملاً، ولا يرضي الله عنا إلا بالدين الكامل، ولا يأتي الدين الكامل في حياتنا إلا بجهد الرسول ﷺ وعلي نهج الرسول صلي الله عليه وسلم.

(١) سورة النحل - الآية ٩٧ .

(٢) سورة طه - الآيات من ١٢٣ : ١٢٦ .

البيان العاش

في دعوة الإيمان واليقين

الله تبارك وتعالى جعل جميع الفوز والفلاح بالدين، وليس بالأموال، ولا بالمناصب، ولا بالزراعة، ولا بالصناعة، ولا بالتجارة، ولا بالقوة ! .

فهذه القيم وسائل وأسباب للعيش وليست مقاصده.

أما المقاصد التي نسعي لتحقيقها والعيش لأجلها بتلك الوسائل والأسباب يكون الفوز والنجاح والسعادة والاطمئنان، مثال: الطالب والمذاكرة والنجاح في الاختبار؛ فالمذاكرة ليست مقصودة لذاتها، ولكن لمقصدها وهو النجاح في الاختبار.

فلو كان الفوز والفلاح بالملك لفاز النمرود، ولو كان بالمناصب لفاز فرعون، ولو كان بالمال لفاز قارون، ولو كان بالزراعة لفاز قوم سبأ، ولو كان بالقوة لفاز قوم عاد؛ ولكن الله تبارك وتعالى جعل جميع الفوز والفلاح في طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١).؛ فكل المال والدنيا لا تدفع

عذاب يوم واحد من عذاب يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ

مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، هذا في الآخرة، وفي الدنيا أخبرنا ربنا جل وعلا

(١) سورة الأحزاب- الآية ٧١ .

(٢) سورة المائدة- الآية ٣٦ .

بأنه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١).

الله تبارك وتعالى جعل قضاء الحاجات بالدين، وجعل صلاح حياة الإنسان وسعادته بالدين، وجعل صلاح الأرض بالدين ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (٢).

الله تبارك وتعالى واحدٌ أحدٌ لم يلد ولم يولد، صمد، له الأسماء الحسنى، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

الله تبارك وتعالى عنده العلم المحيط؛ فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو بكل شيء عليم، عنده علم الليالي والأيام، وعلم الزمان والمكان، وعلم النبات والحيوان، وعلم الإنس والجان، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣)، يعلم الماضي والحاضر، وما خفي وما ظهر، وما سكن وما تحرك، ولا تطلق نظرة ولا تسكب عبرة، ولا تخطى خطوة ولا تُهمس همسة، ولا يُخط حرفاً إلا بعلمه سبحانه. ﴿

(١) سورة طه - الآية ١٢٤ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ٩٦ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ٥٩ .

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^(١) ، ﴿وَأِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى»^(٢)، يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكابيل البحار، وعدد ورق
الأشجار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، وعدد
ذرات الرمال، وعدد فراغات الأفلاك والمجرات التي ملأها سبحانه بالملائكة السجود،
لا توراي منه سماء سماء، ولا أرضاً أرضاً ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره.
الله يرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء،
سبحانه يدبر ويرزق جميع المخلوقات، ولا يختلط عليه صوت دون صوت يسمع
الكل في وقت واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٣)، يعلم ما كان
وما يكون وما لا يكون وما لم يكن ولو كان كيف يكون، سمعه محيط ، بصره محيط
... عمله محيط.

الله تبارك وتعالى عنده خزائن كل شيء، فخزائنه لا تنفذ أبداً ﴿مَا عِنْدَكُمْ
يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ»^(٤) عنده خزائن الأمطار، وخزائن الرياح، وخزائن الشفاء،
وخزائن والهداية، وخزائن الغضب، وخزائن الرحمة، وخزائن البراكين، وخزائن الزلازل،
وخزائن الجنة، وخزائن النار، وخزائن الأرزاق ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

(١) سورة غافر- الآية ١٩ .

(٢) سورة طه - الآية ٧ .

(٣) سورة الشورى- الآية ١١ .

(٤) سورة النحل - الآية ٦٩ .

وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١﴾، فالسمااء لا تمطر بل الله يمطرها بقدر معلوم، والأرض لا تنبت بل الله ينبتها بقدر معلوم ، والحرارة ليست من الشمس بل من خزائن الله تعالى " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٢﴾ .

والله هو الملك . بلا شريك . مالك الملك له كامل التصرف المطلق في الأشياء وفي صفاتها فهي لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه؛ فهو الذي خلق النار وخلق فيها صفة الإحراق فهي لا تحرق إلا بإذنه وأمره ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٣)، وكذلك السكين تذبج وتقطع فقط بأمره وإذنه لذا لم تذبج إسماعيل عليه السلام ، " لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٤﴾ ، الماء من صفاتها الإغراق ولكن الله عطلها ونجا موسى عليه السلام ثم فعلها وأغرق فرعون .
الله تبارك وتعالى حول عصا موسى عليه السلام من عصا كلها منافع إلى حية كلها مضار حين ألقها بإذن ربها .
فسبحانه وتعالى هو المتصرف الوحيد والمطلق في كل خلقه فلا يسكن متحرك ولا يتحرك ساكن إلا بإذنه .

(١) سورة الحجر - الآية ٢١ .

(٢) سورة الكهف - الآية ١٠٩ .

(٣) سورة الأنبياء - الآية ٦٩ .

(٤) سورة الأنبياء - الآية ٢٣ .

يفعل ما يشاء بما شاء وكيف يشاء ومتى شاء وأين شاء، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ

فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

فالله هو القادر الذي يأتي بالشمس من المشرق كل يوم كل يوم، وقبل يوم القيامة يأتي بها من المغرب، ويوم القيامة يجعلها على ارتفاع ميل فوق الخلائق بقدرته .

فله كمال القدرة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾^(٢).

خلق الخلق بغير خلق يُعِينُهُ بل هو يعين الخلق، فليس له معين ولا وزير ولا مشير ولا حاجب ولا مدبر ولا معقب لحكمة، قدرته مطلقة ليس لها نهاية بل هو خالق البداية والنهاية لا ضد له، لا شبيهه، لا مثل له .

بديع السماوات والأرض (يعني خلقها بغير مثال سابق)، خلق الإنسان من صلصال كالفخار بقدرته، حفظ إبراهيم عليه السلام من نار النمرود بقدرته، وسخر الريح لسليمان عليه السلام بقدرته، أخرج الماء لموسى عليه السلام من الحجر بقدرته، ومن بين أصابع محمد عليه السلام بقدرته، وهو الذي يصورنا في الأرحام بقدرته، خلق آدم عليه السلام من طين من غير أب ولا أم بقدرته، وخلق حواء من ضلع آدم عليه السلام بقدرته، وخلق عيسى عليه السلام من غير أب بقدرته، وهو الذي وهب زكريا عليه السلام الولد بقدرته، وأخرج ناقة صالح عليه السلام من الحجر بقدرته.

(١) سورة الأنعام - الآية ١٨ .

(٢) سورة فاطر - الآية ٤٤ .

سبحانه.. سبحانه (يعني تعالى وتنزه عن كل نقص) يبدأ كل شيء بكلمة، وينهي كل شيء بكلمة، ويرحم بكلمة ويعذب بكلمة.

قضاؤه وقدره، من أحوال يجريها علينا وأوامر أمليت علينا فقط... ما بين الرحمة أو الحكمة؛ فهو لا يظلم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١)، يا عبادي أني حرمت الظلم على نفسي... (رواه مسلم.

وما خلق شئ للهو واللعب: "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ" ^(٢) ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾^(٣).

عبادته شرف، والذل له عزة، والافتقار له غنى، فهو قوي لا يضعف، وغنياً مغنياً لا يعدم، وغالب لا يغلب، وحي لا يموت، وقيوم لا ينام، وجبار لا يقهر، ووفي لا يخلف، وعدل لا يحيف، وجواد لا يبخل، وحافظ لا يغيب، ومجيب لا يسام، وقريب لا يغيب ولا يبعد، وصمد لا يحتاج لأحد وكل الخلائق تحتاج إليه، خالق وما سواه مخلوق مالك وما سواه مملوك رازق وما سواه مرزوق .. هذا هو ربنا .. جل جلاله وعظم سلطانه .. تعالى وتقدس سبحانه.



(١) سورة فصلت - الآية ٤٦ .

(٢) سورة الدخان - الآية ٣٨ .

(٣) سورة الطارق - الآيتان ١٣ ، ١٤ .

البيان الحادي العاشر

في دعوة الإيمان واليقين

نشغل في الأسباب الظاهرية، ولكن لا نتكل عليها ونتوكل على الله تعالى.
الاشتغال في الأسباب الظاهرية ليس ممنوع ، ولكن الاتكال على الأسباب
الظاهرية ممنوع ، فنتجرد عن الأسباب والوسائل بحسب الاتكال، لا بحسب
الاشتغال، نشغل في مشاغلنا الكسبية والبيئية ، ونشتغل في الأسباب الظاهرية،
فالله عز وجل ما منعنا أن نشغل في الأسباب الظاهرية .

قال الله ﷻ لنوح **الطَّيِّبِ** : ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ﴾ ^(١) .

وقال لداود **الطَّيِّبِ** : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ ^(٣) .

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ^(٤)

والرسول ﷺ في غزوة أحد لبس درعين من حديد .

(١) سورة المؤمنون - من الآية ٢٧ .

(٢) سورة الانبياء - الآية ٨٠ .

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٩ .

(٤) سورة أنفال - من الآية ٦٠ .

عُلِمَ من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يمنعنا من الاشتغال بالسبب الظاهري فلو جاء علينا الجوع فعلينا أن نأكل، قال تعالى: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ** ﴾ (١).

ونحتاج إلى الزوجة فنتزوج فالله ﷻ يقول لنا ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** ﴾ (٢).

وإذا رزقنا بالمولود فالله يقول: ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ** ﴾ (٤).

من جميع الآيات السابقة عُلِمَ أن الله تعالى ما منعنا من الاشتغال، بالأسباب الظاهرية ولكن الله تعالى منعنا من الاتكال على الأسباب الظاهرية. وكيف يُعَلِّمُ ذلك ..؟ بالامتحان .

قال تعالى: ﴿ **الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ (٥).

-
- (١) سورة البقرة - من الآية ٦٠ .
 - (٢) سورة النساء - من الآية ٣ .
 - (٣) سورة البقرة - من الآية ٢٣٣ .
 - (٤) سورة الطلاق - من الآية ٦ .
 - (٥) سورة العنكبوت - الآية ٢ .

كيف الله ﷻ يمتحن عبده ؟

الله ﷻ يأتي بأوامره ، فالأوامر تصير بمقابلة الأسباب الظاهرية ، فإذا امتثل الإنسان أوامر الله ﷻ وترك السبب الظاهري ، فهذا الإنسان قوى الإيمان ، وإذا ترك أمر الله ﷻ بسبب الاشتغال بالأسباب الظاهرية فهذا الإنسان ضعيف الإيمان .
والإنسان مكلف أن يتحصل سبب ظاهري الذي فيه منافع وأن يتجنب الأسباب الظاهرية التي فيها مشقة، علي سبيل المثال:

(١) يتجنب الجوع ويأكل الطعام .

(٢) يتجنب البرد ويلبس الثياب ليتحصل على الدفء.

(٣) يتجنب الظلمة ويضيء المصباح ليتحصل على النور .

سيدنا موسى ﷺ كان عنده سبب ظاهري " العصا " .

الله تعالى قال له ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (١).

فأجاب موسى ﷺ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى

غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾ (٢) .

فالعصا سبب ظاهري لتربية الغنم وصاحب الغنم ، فجاءت المقابلة ، أمر الله

أمام سبب ظاهري . قال ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ (٣) .

لو يمتثل أمر الله ﷻ يترك سبب نافع ، ولو يشتغل في السبب النافع يترك

أمر الله ﷻ .

(١) سورة طه - الآية ١٧ .

(٢) سورة طه - الآية ١٨ .

(٣) سورة طه - الآية ١٩ .

الآن صار مقابلة أمر الله ﷻ وبين سبب ظاهري الذي فيه منافع ، فسيدينا موسى ﷺ كان في قلبه أن النافع والضار هو الله ﷻ ، والمعز والمذل هو الله ﷻ ، وأن النجاح والخسارة من الله ﷻ ، وأن هذه الأشياء المادية لا تنفعنا ولا تضرنا إلا بمشيئة الله تعالى .

فجميع الأشياء المادية مثالها مثال (العَصَا) فالعصا لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة صاحب العصا ، فعندما تكون العصا على الأرض لا تنفع ولا تضر ، ولكن صاحب العصا أخذ العصا وضرب الشجر وأخذ الثمر وأعطانا الثمر فنحن نشكر صاحب العصا ولا نشكر العصا .

ولو أن صاحب العصا غضب علينا، فأخذ العصا ثم ضربنا فنحن لا نعتب على العصا ونقول لماذا تضربيني يا عصا بل نعتب على صاحب العصا .
فالمالك والمال والتجارة والدكاكين والمزارع والبساتين .. الخ فكل هذا مثل العصا ، والله ﷻ هو الذي يستعمل العصا .

فبعوضة واحدة عرجاء تكفي لإهلاك النمرود .. وذلك بعد إرادة الله تعالى .
سيدينا موسى ﷺ ما خاف عندما ترك العصا، ولكن الامتحان الصعب عندما ألقاها تحولت حية، فهرب موسى ﷺ: ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (٢).

(١) سورة طه - الآية ٢٠ .

(٢) سورة القصص - من الآية ٣١ .

فجاء الأمر من الله: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (١).

فلما جاء أمر الله مقابلة ترك سبب نافع ، فترك السبب النافع وامتنل أمر الله .
ولما جاء أمر الله مقابلة أخذ سبب ضار فتحمل المشقة وأخذ السبب الضار .
فكذلك الله ﷻ يعطينا الأمر :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

أنتم أنفقوا أموالكم مثل ترك العصا ، ثم تحملوا مشقة أنفسكم مثل أخذ الحية ،
فإذا فعلتم ذلك فالله ﷻ يفعل معكم مثل ما فعل مع موسى ﷺ ، فموسى ﷺ
لما كان يلقي عصاه بإرادته فما كانت قوة العصا إلا لتربية الغنم وصاحب الغنم ،
ولما ألقاها بأمر الله ﷻ صارت هذه العصا سبباً لتربية الغنم وصاحب الغنم وتربية
اثنا عشر أسباطاً ، قال تعالى ﴿ فَكُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَا عَشْرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٣) .

(١) سورة طه - الآية ٢١ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٤١ .

(٣) سورة البقرة - من الآية ٦٠ ..

ولما أتبعه فرعون بجنوده ، قال تعالى ﴿ فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾^(١).

ماذا كان رد موسى ﷺ ؟! ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾^(٢).

ماذا كانت النتيجة ؟

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ * وَأَجْنَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣).

فأصبحت العصا سبباً لحفاظة موسى ﷺ وقومه ، وصارت هذه العصا سبباً لإحياء الدين .

قال تعالى ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾^(٤) قيل كانوا حوالى ستون ألفاً وآمنت زوجة فرعون .

فعندما نترك أموالنا النافعة مثل ترك العصا بسبب أمر الله ﷻ ونتحمل مشقة أنفسنا مثل أخذ العصا، فكما وعد الله ﷻ موسى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ

(١) سورة الشعراء - الآيات ٦٠ ، ٦١ .

(٢) سورة الشعراء - الآية ٦٢ .

(٣) سورة الشعراء - الآيات ٦٣ : ٦٥ .

(٤) سورة الشعراء - الآيات ٤٥ : ٤٨ .

سُنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿١﴾ .

فَاللَّهُ ﷻ يُوْعِدُنَا ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾(٣) .



(١) سورة طه - الآية ٢١ .

(٢) سورة الصف - الآيات ١٠ : ١٣ .

(٣) من كتاب الشيخ محمد عمر البالمبوري وبيان منهج التبليغ والدعوة للمؤلف .

البيان الثاني عش

في دعوة الإيمان واليقين

إلى آخر نفس في الحياة نطبق أوامر الله وسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا لا يتحقق إلا بعد الجهد والتضحية.

وما هو اليقين على هذه الكلمة ؟

يتيقن أنه لا نافع ولا ضار إلا الله ، لا معز ولا مذل إلا الله، النفع والضر بيد الله وحده ، وليست بهذه الأشياء والوسائل المنتشرة في الأرض، من أراد الله له الفلاح يفلحه في الفقر والمرض، ومن أراد أن يذله، يذله في أسبابه وقصره وماله مثلما حدث لقارون.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقُ الْكَوْنِ الَّذِي نَرَاهُ حَوْلَنَا مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِيهَا، مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنَجُومٍ، وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا، مِنْ جِبَالٍ وَبِحَارٍ وَثَمَارٍ، وَخَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَخَلَقَ مَا عَلَّمْنَاهُ وَأَخْبَرْنَا عَنْهُ، وَمَا لَمْ نَعْلَمْهُ وَقَدْ غَابَ عَنَّا، وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ هَذَا بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ.

اللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ، خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا نَرَى وَمَا لَا نَرَى، بِأَمْرِهِ كُنْ فَيَكُونُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى النِّظَامِ وَلَا التَّرْتِيبِ، الْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ كَوْنِي سَيَارَةً، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْتِيبٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١)، فالله خلق بعض الأشياء تدريجياً هذه سنته، كما

خلق الإنسان في بطن أمه تدريجياً ، وكما خلق الإنسان أولاً نطفة ثم كان علقة ، فمضغة ، ... خلق الإنسان في ظلمات ثلاث، وفي هذا المكان الضيق الله أعطاه جميع الجوارح التي بها يكمل الإنسان ، وما أعطاه الإنسان في بطن أمه ، لأنه لو أعطاه الأسنان عند الرضاعة يقطع ثدى أمه، والله تَعَالَى ما نسي أى إنسان من الجوارح ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^(١)، يومياً عشرات الملايين من البشر يولدون، وكذلك فى وقت واحد هو ينبت الزرع ويخلق الحيوانات والإنس والجن ، وفى وقت واحد يرزق كل واحد منهم ، فالإنسان ما يستطيع أن يفعل شيئاً فى وقت واحد) .
فهنا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٢)، أى لا معبود بحق إلا أنت ولا مستعان به سواك.

ومن يقر بالشهادة يخرج الإنسان اليقين بكل ما سوى الله، ويأقرار الشهادتين هو عهد مع الله، فإنه لا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا به
الله تَعَالَى له ترتيب أنه من كان فى قلبه الإيمان بالله تَعَالَى وأعماله على طريق النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا يفلح وينجح ، نحن عاهدنا الله تَعَالَى ألا نعبد إلا إياه ولا نطيع إلا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ معناها: لا معبود بحق إلا الله ، إذا أراد العزة لإنسان لا يستطيع أى مخلوق أن يذل هذا الإنسان.

إذاً نحن نقوم بالأعمال فى المسجد، ونتذاكر فى فرعون وقارون وهامان فنعرف ماذا فعل الله لكل من تجبر وتكبر ورفض نداء الأنبياء .

(١) سورة مريم- الآية ٦٤ .

(٢) سورة الفاتحة - الآية ٥ .

فالإيمان بذات الله ألا نعتمد على غير الله ، ولا رجاء بغير الله ، ولا استعانة بغير الله ، ولا نعبد إلا الله ، ولا نسجد إلا الله ، بعد ذلك تأتينا نصره الله ، ونعلم أن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركزوا جهدهم على تعليم الأمة الإيمان ، وأخذوا أضعاف وقت تعليمهم الأعمال .

لما قام رسول الله ﷺ بدعوة النَّاسِ إلى الله ، نفى كل ما سوى الله في قلوبهم .
فما هو الإيمان ؟ هو لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وهذا نفى وإثبات .

سيدنا إبراهيم كان عنده توحيد كامل، وأبوه كان وزيرا، ودعاه إلى التوحيد وكسرا الأصنام ودعا النمرود، ومع هذا دعا الدعاء، وكان خائفا فقال: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ**

أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾^(١)، هذا موحد كبير ويطلب من الله أن يثبته على هذا التوحيد، فهكذا نحن نتضرع إلى الله تَعَالَى ، وندعوه حتى يثبتنا .

الإنسان يقول لفظ الإيمان ولكن القلب ليس فيه حقيقة الإيمان ، في زماننا على اللسان كلام التوحيد ، ولكن توحيد القلوب ضعيف جدا لأنه يعتمد على غير الله ، والذي يكون في قلبه الإيمان والتوحيد لا يكون على لسانه فقط بل في قلوبهم ، وهذا لا يكون إلا بالدعوة والتضحية ، فيصبح الإنسان لا يخاف من جميع القوات الهدامة ، جميع القوات أمام قدرة الله كنسيج العنكبوت ومثل جناح بعوضة قَالَ تَعَالَى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ**

بَيْتًا ﴾^(٢)، وإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله والرجاء من غير الله، بعد ذلك

(١) سورة إبراهيم- الآية ٣٥ .

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٤١ .

تأتينا نصره الله، الله يقول: ﴿الم . أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا
آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (١)،

تقول إنك موحد، يجب أن تخجل، فقط توحيد باللسان لا يكفي، لابد أن يرسخ
في قلوبنا.

من المؤمن؟

الذى يؤمن بالله تعالى وأنه صمد ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من
الله تعالى ، والذى ما آمن بالله تعالى فهو كافر (٢).



(١) سورة العنكبوت- الآيات من ١ : ٣ .

(٢) من كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري .

البيان الثالث عشر

في دعوة الإيمان واليقين

كما أن أهل الهند ضحوا في الأول وتحملوا المشقة، الله أيد بهم الدين بهذه الدعوة المباركة ، فهكذا نحن وأنتم نجتهد ونخرج للناس وندعوهم إلى الله ، ليكون عندهم المجاهدة والإنابة فالله يهديهم .

قاضى الحاجات هو الله تَعَالَى ، ولا بد للإنسان أن يقضى حاجاته حسب أوامر الله وعلى طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالمطلوب من كل واحد ألا يدعو النَّاسَ إلى طريق قومه وعشيرته ، بل يدعو النَّاسَ إلى طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أى بلد كان، مثل سيدنا صهيب رضى الله عنه، وسيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه ، وسيدنا بلال رضى الله عنه، هم من بلاد مختلفه، ولكن اجتمعوا على طريق واحد هو طريق النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو طريق منزه عن العيوب.

الحمد لله الذى أخرج لنا هذه الدعوة لندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونرجع إليها، الحمد لله الذى أخرج هذا العمل لنا لتوحيد الألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته، الله عز وجل علم نبيه أن يركز على الإيمان، والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الصحابة رضى الله عنهم الإيمان واليقين الصحيح وبه تتميز الأشياء ، التوحيد عن الشرك ، إذن نصرف أنفسنا لله ولا نتوجه لغير الله .

فقد ركز النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا اليقين والتوحيد الخالص ، حتى أن الله أراد ربط الإنسان بالتوحيد عن طريق الصلاة، فعند الدخول في الصلاة التكبير، وهكذا عند الركوع ، كل هذا لتوحيد الألوهية، وإذا أتى توحيد الألوهية يأتي توحيد الربوبية ، وكل جهد مثل الحلقات وغيرها هو لهذا اليقين .

ولذا الدعوة إلى أى شيء ؟ إلى الله وحده لا شريك له، وأن نعبد الله وحده، ولذا لو تقابل أهل الشرك الحقيقي مع أهل الشرك المجازى فيغلب أهل الشرك الحقيقي، ومعنى الشرك الحقيقي هو عبادة الأصنام، والمجازى هو الإعتماد على غير الله، وهذا لا يخرج من كلية الإيمان، ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله .

ولذا فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتهد على الناس للإيمان، فبدأ بالدعوة إلى (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ) ، الإيمان بالله كما هو بأسمائه وصفاته، فعلم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الإيمان فعرفوا كبرياء الله وقدرته وخزائنه، وأنه هو السميع يسمع كل الناس لو دعوا الله فى وقت واحد، هو يسمع كلامهم ودعائهم، والله بصير يرى النملة السوداء فى الليلة لظلماء على الصخرة الصماء، وهو عليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، الله قدرته عظيمة، قطرتان من الماء يخلق الإنسان، ونواة صغيرة يخلق نخلة كبيرة .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، مؤاخاة بقطع حبال الجاهلية القائمة على التعصب القبلى، أصبح لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ ، فمن قال الشهادة فله عند الله المقام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١)

فهذه هي حقيقة الإيمان، (آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) فلا يكون شك في أمر الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صدقنا في أقوالنا وأعمالنا ، فهكذا بعد الإيمان لا ريبة (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) بعد ذلك (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فكل الأمة تكون في المجاهدة ، هنا الله تعالى يوفى لنا مواعيدته وذلك حينما يكون عندنا حقيقة الإيمان . ومتى تكون حقيقة الإيمان ؟ يقول تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢) فهنا إما في أعمال الخروج والهجرة، أو أعمال النصر، أو الشغل في المقام.

إذا انتقل العبد من الدنيا مع الإيمان ، فكرم الله تعالى أن يدخله الجنة بسبب كلمة التوحيد والعمل بها، لأن في هذه الكلمة قوة عظيمة تمنعه من النار، فعَنْ عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيْتُ عِثْبَانَ فَقُلْتُ حَدِيثٌ بَلَّغَنِي عَنْكَ قَالَ أَصَابَنِي فِي بَصْرِي بَعْضُ الشَّيْءِ فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَاتَّخَذَهُ مُصَلِّيًّا قَالَ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

(١) سورة الحجرات - الآية ١٥ .

(٢) سورة الأنفال - الآية ٧٤ .

أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشِمٍ قَالُوا وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ وَقَالَ: " أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ " قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ " قَالَ أَنَسٌ فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثُ فَقُلْتُ لِابْنِي اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ. (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ " (٢).

ما معنى اليقين الصحيح ؟

- ١_ أن يكون يقينه على الله، لا يكون يقينه على الأشياء فهذا يكون إيمانه قويا.
- ٢_ أن تكون عاطفته صحيحة (إرضاء الله) .
- ٣_ أن يعمل هذا العمل بالشوق، يعنى أن يتيقن على وعد الله ووعد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأن الله وعد على الأعمال .

(١) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.
 (٢) صحيح البخاري _ كتاب الإيمان _ باب صفة الجنة والنار وقال أبو سعيد قال النبي صلى الله عليه وسلم أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت { عدن } { خلد عدنت بأرض أقيمت ومنه المعدن } في مقعد صدق { في منبت صدق رقم الحديث (٦٢٠١).

٤ - أن يعمل العمل بالإحسان .

٥ - أن يعمل العمل بمجاهدة النفس .

هناك مراحل بعد الموت ، وفي البرزخ يسأل عن عن ثلاثة أسئلة : من ربك ؟ وما دينك ؟ وماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم ؟

وإذا مات العبد تأتي الملائكة في قبره ، ويسألونه فإذا أجاب فتحوا له طاقة من الجنة ، ويوقظونه مرتين في اليوم في الصباح وفي المساء ، ليرى مقعده من الجنة ، فيقول رب أقم الساعة .

ولذلك كان من تمام الاعتقاد أن تعلم من ربك ؟ ما أمرك به ونهاك عنه ؟.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ بُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلِيمٌ أَلَا أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ " فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ : أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ أَمَامَكَ تَعْرِفُ إِلَيْهِ فِي

الرَّحَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ
بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ
يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ
بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا
تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا. رواه الترمذي.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ابتعثه الله عز وجل وأمره أن يدعوهم إلى الله
تَعَالَى ، فقام النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة، فمن أقر بلسانه ودخل الإسلام،
الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام واهتم بتعليمه الإيمان، فرباه على الصفات الإيمانية
وعلمهم الأخلاق، ومن يقر بالشهادتين يخرج الإنسان اليقين بكل ما سوى الله تَعَالَى،
وبإقرار الشهادتين هو عهد مع الله تَعَالَى، فإنه لا يعبد إلا الله تَعَالَى، ولا يستعين إلا به،
ولا إلهَ إِلَّا اللهُ، الفاعل الحقيقي والمدبر الحقيقي هو الله تَعَالَى، فهو يقين بأسماء الله
تَعَالَى وصفاته، وله نصرته الغيبية، فلما قام رسول الله بدعوة النَّاسِ إلى الله، نفى كل
ما سوى الله في قلوبهم، وكان ذلك غريبا عليهم فحكى الله ذلك عنهم حيث قالوا
متعجبين: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (١) وأخبرهم أن

الحياة وقتية عرضية زائلة فقال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (٢).



(١) سورة ص _ الآية ٥.

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٦٤.

البيان الرابع عشر

في دعوة الإيمان واليقين

إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله تبارك وتعالى، والله عنده خزائن كل شيء، والله خالق الأشياء والأحوال، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، وهو الصمد، والله سبحانه وتعالى جعل فوزنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة فقط بالإيمان والأعمال الصالحة، وما جعل الفوز والفلاح في أي شيء آخر من أشياء الدنيا.

فلو أن الله جعل الفوز في الأكثرية لفاز قوم نوح:

فقد اتبعه عدد قليل مع طول عمره وطول دعوته، فقد قيل: أن الذين آمنوا به حوالي أربعة وثمانون من بين رجل وامرأة، ولكن كان الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، ومن عصوه مع كثرتهم كانوا في الخيبة والخسران في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بنار الجحيم ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(١). وقال

تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ

أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

(١) سورة الأنعام _ الآية ١١٦.

(٢) سورة يوسف _ الآية ١٠٣.

سَبِيلًا ﴿١﴾. فما أكثر ما ذم الله عز وجل الكثرة في كتابه ، ومدح القلة فقال :

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ﴿٢﴾.

ولو أن الله جعل الفوز في الملك لفاز فرعون والنمرود بن كنعان:

فأما الأول: عدو الله النمرود:

فكان يملك الدنيا كلها وهو أول جبار في الأرض، وكان أحد ملوك الدنيا الأربعة الذين ذكروا في القرآن وهو من الملوك الكافرين، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية ، واستمر في ملكه أربعمئة سنة وكان قد طغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمال، على إنكار الصانع، فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك، وادّعى لنفسه الربوبية، وعندما فشل نمرود في محاججته، أمر بحرق إبراهيم بالنار والتي تحولت على إبراهيم بردا وسلام.

وعن موته، ذكر ابن كثير وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي. فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك فمكثت في منخريه أربعمئة سنة، عذبه الله بها فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله بها (٣) .

(١) سورة الفرقان _ الآية ٤٤ .

(٢) سورة سبأ _ الآية ١٣ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، تفسير البغوي، فتح القدير للشوكاني.

وقيل: كانت البعوضة لا تهدأ في رأسه إلا إذا ضربه الخدم علي رأسه بالنعال ،
ويستريح قليلاً ثم تعود البعوضة للطنين فيعود ضرب الأحذية على رأسه.. فكتب الله
له الذل والخيبة والخسران في الدنيا والآخرة.
والثاني: عدو الله فرعون:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّهُ
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *
وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا
كَانُوا يُحْذِرُونَ ﴾ (١).

وتبجح وادعي لنفسه الربوبية، حيث قال: [أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى]، ثم ازداد
تبجحه حيث ادعي الألوهية ، فقال: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] ، واستعبد
بني إسرائيل وقتل أبناءهم، [يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ] واستعلي
علي موسى (عليه السلام)، فقال: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا
يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٢).

(١) سورة القصص _ الآيات من ٤ : ٦ .

(٢) سورة الزخرف _ الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

فلما تبين عناده واشتد كفره دعا موسى ربه: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوْلَاءَ قَوْمٍ
مُجْرِمُونَ فَأَسْرِبِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ
مُغْرَقُونَ ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِبِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (٢).

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِبِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ * فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ
فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَوْلَاءَ لَشَرِّذِمَّةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِطُونَ
* وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى
الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي
سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ
أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ (٣).

فأجري الله الأنهار من فوقه، وجعله عبرة لمن أراد أن يعتبر.

(١) سورة الدخان _ الآيات من ٢٢ : ٢٤ .

(٢) سورة طه _ الآيتان ٧٧ .

(٣) سورة الشعراء _ الآيتان ٥٢ ، ٦٦ .

ولو أن الله جعل الفوز في المال لفاز قارون:

ولكن قارون ما امتثل أوامر الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

قد ذكر أن هلاك قارون كان عن دعوة نبي الله موسى عليه السلام واختلف في سببه، فعن ابن عباس والسدي: أن قارون أعطى امرأة بغيًا مالا على أن تبتهت موسى بحضرة الملأ من بني إسرائيل، وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله، فتقول: يا موسى، إنك فعلت بي كذا وكذا.

فلما قالت في الملأ ذلك لموسى عليه السلام، أزعج من الفرق، وأقبل عليها وصلى ركعتين ثم قال: أنشدك بالله الذي فرق البحر، وأنجاكم من فرعون، وفعل كذا [فعل] كذا، لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت؟ فقالت: أما إذ نشدنتني فإن قارون أعطاني كذا وكذا، على أن أقول لك، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه. فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدًا، وسأل الله في قارون. فأوحى الله إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك.

وقيل: إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك، وهو راكب على البغال الشَّهب، وعليه وعلى خدمه الثياب الأرجوان الصَّبغة، فر في جَحْفَلَه ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام، وهو يذكرهم بأيام الله.

فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوه الناس حوله، ينظرون إلى ما هو فيه. فدعاه موسى عليه السلام، وقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا موسى، أما لئن كنت فَضَّلْتَ عَلَيَّ بالنبوة، فلقد فضلت عليك بالدنيا، ولئن شئت لتخرجن، فلتدعون عليّ وأدعو عليك. فخرج وخرج قارون في قومه، فقال موسى: تدعو أو أدعو أنا؟ قال: بل أنا أدعو. فدعا قارون فلم يجب له، ثم قال موسى: أدعو؟ قال: نعم. فقال موسى: اللهم، مُر الأرض أن تطيعني اليوم. فأوحى الله إليه أني قد فعلت، فقال موسى: يا أرض، خذيهم. فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: خذيهم. فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم. ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم. قال: فأقبلت بها حتى نظروا إليها. ثم أشار موسى بيده فقال: اذهبوا بني لاوى فاستوت بهم الأرض. قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ (١)، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

ولو أن الله جعل الفوز والفلاح في القوة لفازت عاد قوم { هود عليه السلام } :
حيث أن الله عز وجل أعطاهم القوة، فانشغلوا في دنياهم، واستخدموا هذه القوة في البناء واتخاذ المصانع والبطش، فنبى الله { هود عليه السلام } أخذ يذكره بالله

وبنعمه عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ
 أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
 آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
 جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ
 بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ *
 قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ
 الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

ولكنهم لم يمتثلوا أمر الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ
 هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا
 فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٢)، اغترؤا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا
 نحن نفدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا .

(١) سورة الشعراء _ الآيات من ١٢٣ : ١٤٠ .

(٢) سورة فصلت _ الآيات ١٥ ، ١٦ .

وَدَلِّكَ أَنَّهُمْ كَانُوا ذَوِي أَجْسَامٍ طَوَالَ وَخَلَقَ عَظِيمٌ . وَقَدْ مَضَى فِي " الْأَعْرَافِ " عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ أَطْوَلَهُمْ كَانَ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَأَقْصَرُهُمْ كَانَ سِتِّينَ ذِرَاعًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ : { **أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ
قُوَّةً** } وَقُدْرَةً ، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ بِإِقْدَارِ اللَّهِ ؛ فَاللَّهُ أَقْدَرُ إِذَا . (١) .

قَالَ تَعَالَى : { **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا** } قَالَ بَعْضُهُمْ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ
الْهُبُوبُ وَقِيلَ الْبَارِدَةُ وَقِيلَ هِيَ الَّتِي لَهَا صَوْتٌ وَالْحَقُّ أَنَّهَا مُتَّصِفَةٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا
كَانَتْ رِيحًا شَدِيدَةً قَوِيَّةً لِتَكُونَ عُقُوبَتَهُمْ مِنْ جِنْسٍ مَا اغْتَرَوْا بِهِ مِنْ قُوَاهُمْ وَكَانَتْ
بَارِدَةً شَدِيدَةً الْبُرْدِ جِدًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { **بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** } أَيِ بَارِدَةٍ شَدِيدَةٍ وَكَانَتْ
ذَاتَ صَوْتٍ مُزْعِجٍ وَمِنْهُ سُمِّيَ النَّهْرُ الْمَشْهُورُ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ صَرْصَرًا لِقُوَّةِ صَوْتِ
جَزِيهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { **فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ** } أَيِ مُتَتَابِعَاتٍ { **سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ
أَيَّامٍ حُسُومًا** } وَكَقَوْلِهِ : { **فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ** } أَيِ ابْتَدَأُوا بِهِذَا الْعَذَابِ فِي
يَوْمٍ نَحْسٍ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ : { **سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ
حُسُومًا** } حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَاتَّصَلَ بِهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا بِعَذَابِ الآخِرَةِ وَلِهَذَا قَالَ :
{ **لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابِ الآخِرَةِ أَخْزَى** } أَيِ أَشَدَّ
خِزْيًا لَهُمْ { **وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ** } أَيِ فِي الآخِرَةِ كَمَا لَمْ يُنصَرُوا فِي الدُّنْيَا وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ يَقِيهِمُ الْعَذَابَ وَيَذَرُهُمْ النَّكَالَ (٢) .

(١) تفسير القرطبي .

(٢) تفسير ابن كثير .

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرَصِرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ (١)

ولو أن الفوز والفلاح في الزراعة وفن العمارة والتشييد لفازت ثمود قوم { سيدنا صالح عليه السلام } : لما وجد { سيدنا صالح عليه السلام } قومه في مزارعهم وحدائقهم مطمئنين آمنين فرحين، قال لهم كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُكْفَرُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا

فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

ولو أن الفوز والفلاح في الزراعة كذلك لفازت قوم سبأ:

فقد أرسل الله الأنبياء إلي قوم سبأ ليدعوهم إلي توحيد الله وشكر نعمته، قال
تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ
رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ
سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ * وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا
فِيهَا لَيَالِيًّ وَآيَامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ *
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي
شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢﴾ .

كَانَتْ سَبَآ مَلُوكِ الْيَمَنِ وَأَهْلِهَا وَكَانَتْ التَّبَاعَةَ مِنْهُمْ وَيَلْقِيسَ صَاحِبَةَ سُلَيْمَانَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ جُمَلَتِهِمْ وَكَانُوا فِي نِعْمَةٍ وَغِبْطَةٍ فِي بِلَادِهِمْ وَعَيْشِهِمْ

(١) سورة الشعراء - الآيات من ١٤١ : ١٥٩ .

(٢) سورة سبأ - الآيات من ١٥ : ٢١ .

وَأَسَاعَ أَرْزَاقَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ وَثِمَارَهُمْ وَبَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ تَأْمُرُهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَيَشْكُرُوهُ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ فَكَانُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ أَعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ فَعُوقِبُوا بِإِرْسَالِ السَّيْلِ وَالنَّفْرِقِ فِي الْبِلَادِ .

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ السَّدِّ أَنَّهُ كَانَ الْمَاءُ يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ جَبَلَيْنِ وَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا سَيُولُ أَمْطَارُهُمْ وَأَوْدِيَّتُهُمْ فَعَمَدَ مُلُوكُهُمُ الْأَقَادِمَ فَبَنَوْا بَيْنَهُمَا سَدًّا عَظِيمًا مُحْكَمًا حَتَّى ارْتَفَعَ الْمَاءُ وَحَكَمَ عَلَى حَافَاتِ ذَيْنِكَ الْجَبَلَيْنِ فَعَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَاسْتَعْلَوْا الثَّمَارَ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْكَثْرَةِ ، حَيْثُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَمْشِي تَحْتَ الْأَشْجَارِ وَعَلَى رَأْسِهَا مِثْلُ أَوْ زَنْبِيلٍ وَهُوَ الَّذِي تُخْتَرَفُ فِيهِ الثَّمَارُ فَيَتَسَاقَطُ مِنَ الْأَشْجَارِ فِي ذَلِكَ مَا يَمْلُؤُهُ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى كُفَّةٍ وَلَا قِطَافٍ لِكَثْرَتِهِ وَنُضْجِهِ وَاسْتَوَائِهِ.

وَكَانَ هَذَا السَّدُّ بِمَارِبٍ بِلُدَّةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ ثَلَاثَ مَرَاجِلَ وَيُعْرَفُ بِسَدِّ مَارِبٍ .
وَلَمْ يَكُنْ بِبِلَدِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الذُّبَابِ وَلَا الْبُعُوضِ وَلَا الْبِرَاعِيثِ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْهَوَامِّ وَذَلِكَ لِإِعْتِدَالِ الْهَوَاءِ وَصِحَّةِ الْمِرَاجِ وَعِنَايَةِ اللَّهِ بِهِمْ لِيُوحِّدُوهُ وَيَعْبُدُوهُ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " : لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ " ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: " جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ " أَي مِنْ نَاحِيَّتِي الْجَبَلَيْنِ وَالْبِلْدَةَ بَيْنَ ذَلِكَ " **كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ** وَاشْكُرُوا لَهُ بِلُدَّةٍ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ " أَي غُفُورٍ لَكُمْ إِنْ اسْتَمَرَرْتُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ .

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى " **فَأَعْرَضُوا** " أَي عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَعَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

قيل: بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا، وَقِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ نَبِيٍّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى " : فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيِّلَ الْعَرِمِ " الْمُرَادُ بِالْعَرِمِ الْمِيَاهُ وَقِيلَ الْوَادِي وَقِيلَ الْجُرْدُ وَقِيلَ الْمَاءُ الْغَزِيرُ.

وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ابْنَ عَبَّاسٍ وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ بِإِرْسَالِ الْعَرِمِ عَلَيْهِمْ بَعَثَ عَلَى السَّدِّ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ يُقَالُ لَهَا الْجُرْدُ نَقَبْتُهُ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ وَقَدْ كَانُوا يَجِدُونَ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ سَبَبَ خَرَابِ هَذَا السَّدِّ هُوَ الْجُرْدُ فَكَانُوا يَرِصُدُونَ عِنْدَهُ السَّنَانِيرَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ فَلَمَّا جَاءَ الْقَدَرُ غَلَبَتْ الْفَأْرُ السَّنَانِيرَ وَوَلَجَتْ إِلَى السَّدِّ فَنَقَبَتْهُ فَانْهَارَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ الْجُرْدُ هُوَ الْخُدُّ نَقَبَتْ أَسَافِلَهُ حَتَّى إِذَا ضَعُفَ وَوَهِيَ وَجَاءَتْ أَيَّامَ السُّيُولِ صَدَمَ الْمَاءُ الْبِنَاءَ فَسَقَطَ فَانْسَابَ الْمَاءُ فِي أَسْفَلِ الْوَادِي وَخَرِبَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْأَبْنِيَّةِ وَالْأَشْجَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَنَضَبَ الْمَاءُ عَنِ الْأَشْجَارِ الَّتِي فِي الْجَبَلَيْنِ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ فَيَسَبَتْ وَتَحَطَّمَتْ وَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَشْجَارُ الْمُثْمِرَةَ الْأَفِيقَةَ النَّضِرَةَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَبَدَّلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَعَطَاءُ الْخُرَاسَانِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَهُوَ الْأَرَاكُ وَأَكْلَةُ الْبَرِيرِ " وَأَثَلُ " قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ الطَّرْفَاءُ وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ شَجَرٌ يُشْبِهُ الطَّرْفَاءَ وَقِيلَ هُوَ السَّمَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ " وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ " لَمَّا كَانَ أَجُودَ هَذِهِ الْأَشْجَارِ الْمُبَدَّلِ بِهَا هُوَ السِّدْرُ قَالَ " وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ " فَهَذَا الَّذِي صَارَ أَمْرَ تَيْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ إِلَيْهِ بَعْدَ الثَّمَارِ النَّضِيجَةِ وَالْمَنَاظِرِ الْحَسَنَةِ وَالظَّلَالِ الْعَمِيقَةِ وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ تَبَدَّلَتْ إِلَى شَجَرِ الْأَرَاكِ وَالطَّرْفَاءِ وَالسِّدْرِ ذِي الشُّوكِ الْكَثِيرِ وَالثَّمَرِ الْقَلِيلِ ; وَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ الْحَقَّ وَغُدُولِهِمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ وَلِهَذَا.

يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْغِنَةِ وَالْعَيْشِ الْهَنِئِ الرِّغِيدِ وَالْبِلَادِ
الْمَرْضِيَّةِ وَالْأَمَاجِنِ الْأَمِنَةِ وَالْقُرَى الْمُتَوَاصِلَةَ الْمُتَقَارِبَةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ مَعَ كَثْرَةِ
أَشْجَارِهَا وَزُرُوعِهَا وَثِمَارِهَا بِحَيْثُ إِنَّ مُسَافِرَهُمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَمَلِ زَادٍ وَلَا مَاءٍ بَلْ حَيْثُ
نَزَلَ وَجَدَ مَاءً وَثَمَرًا وَيُقِيلُ فِي قَرْيَةٍ وَيَبِيتُ فِي أُخْرَى بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي
سَيْرِهِمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا " قَالَ وَهَبُ
بْنُ مُنَبِّهٍ هِيَ قَرْيٌ بِصَنْعَاءَ وَكَذَا قَالَ أَبُو مَالِكٍ وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ
وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَالسُّدِّيَّ وَابْنَ زَيْدٍ وَغَيْرَهُمْ يَعْنِي قَرْيَةَ الشَّامِ
يَعْنُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ فِي قَرْيَةٍ ظَاهِرَةٍ مُتَوَاصِلَةٍ وَقَالَ الْعَوْفِيُّ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الْقَرْيَةُ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بَيْنَ الْمَقْدِسِ وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْهُ أَيْضًا هِيَ قَرْيَةُ
عَرَبِيَّةٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ " قَرْيَةُ ظَاهِرَةٌ " أَيْ بَيْتَةٌ وَاضِحَةٌ يَعْرِفُهَا الْمُسَافِرُونَ
يُقِيلُونَ فِي وَاحِدَةٍ وَيَبِيتُونَ فِي أُخْرَى وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ " أَيْ
جَعَلْنَاهَا بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ الْمُسَافِرُونَ إِلَيْهِ " سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ " أَيْ
الْأَمْنِ حَاصِلٍ لَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا.

﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بَطَرُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ وَأَحْبَبُوا مَفَاوِزَ وَمَهَامِهِ يَحْتَاجُونَ فِي قَطْعِهَا إِلَى الزَّادِ
وَالرَّوَاحِلِ وَالسَّيْرِ فِي الْحَرُورِ وَالْمَخَافِ كَمَا طَلَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُخْرِجَ
اللَّهَ لَهُمْ مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَائِنِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا
فِي عَيْشِ رَغِيدٍ فِي مَنْ وَسَلَوَى وَمَا يَشْتَهُونَ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ وَمَلَابِسٍ مُرْتَفِعَةٍ

وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ إِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ " وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ " وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا " وَقَالَ تَعَالَى : " وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ " فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ " أَيِ بِكُفْرِهِمْ " فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ " أَيِ جَعَلْنَاهُمْ حَدِيثًا لِلنَّاسِ وَسَمَرًا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ مِنْ خَبْرِهِمْ وَكَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ وَالْأُلْفَةِ وَالْعَيْشِ الْهَنِيِّءَ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ هَهُنَا وَهَهُنَا .

. والقحط الذي أصاب أرض قبيلة سبأ، والشتات الذي مزق غالبية أهلها، كان عقابا من الله . تعالي . لتحول تلك الغالبية . تحت إغراء الشيطان . من التوحيد إلي الشرك، ومن عبادة الله . تعالي . بما أمر إلي عبادة الشمس والقمر والكواكب، ومن الشكر لله علي سابغ نعمه إلي التمرد والاستعلاء والبطر، وفي ذلك يقول الحق . تبارك وتعالى: "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين، وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وريك علي كل شيء حفيظ" .

ولو أن الله جعل الفوز بالتجارة لفاز قوم شعيب:

الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا شعيب إلى أهل مدين وهم قوم كفار يعبدون الأيكة، وهي شجرة من الأيكة حولها غيضة ملتفة بها، وكانوا من أسوأ الناس

معاملة يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما، فبعث الله فيهم رجلاً منهم (شعيب عليه السلام)، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفعال القبيحة، فأمن بعضهم وكفر أكثرهم، حتى أحل الله بهم العذاب وأنجى المسلمين منهم، قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ
 أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا
 تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ
 تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَن هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ
 رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَيْنًا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿١﴾ .

أخذتهم صيحة واحدة.. صوت جاءهم من غمامة أظلمت جعلت كل واحد فيهم
 يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره.. لم يستطع أن يتحرك أو يجري
 أو يختبئ أو ينقذ نفسه.. جثم في مكانه مصروعا بصيحة .

فكانوا في الخيبة والخسران والذين اتبعوا شعيبا في الفوز والفلاح.
 فالله سبحانه وتعالى لم يجعل الفوز في أي شيء من هذه الأشياء، ولكنه
 سبحانه جعل الفوز فقط بالإيمان والأعمال الصالحة، بامثال أمره وعلى طريق نبيه

صلى الله عليه وسلم، قال تعالى ﴿ **والعصر** * إن الإنسان لفي خسر * إلا

الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر^(١). وقال

تعالى (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)^(٢)

والله عنده خزائن كل شيء، فخزائن جميع الأشياء فقط بيد الله تبارك وتعالى، خزائن {العزة، الهداية، العذاب، العلم، الأرزاق} فجميع خزائن النعم والنقم بيد الله تبارك وتعالى، فجميع نعيم الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من نعيم رجل واحد من أهل الجنة، ونعيم أهل الجنة وأهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من خزائن نعيم الله الغيبية، وكذلك جميع عذاب أهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من عذاب رجل واحد من أهل جهنم، وعذاب أهل جهنم وأهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من خزائن عذاب الله الغيبية، قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾^(٣) وفي الحديث القدسي عن أبي ذرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يَرَوِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي

(١) سورة العصر.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٧١.

(٣) سورة الحجر - الآية ٢١.

أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي
أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي
فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ
وَأَخْرُكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ
مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرُكُمْ
وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ
ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرُكُمْ وَإِنْسَكُمْ
وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ
مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ
الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا،
فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا
نَفْسَهُ». قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. رَوَاهُ
مُسْلِمٌ. وَرَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَيْسَ لِأَهْلِ الشَّامِ حَدِيثٌ
أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ (١).

والله خالق الأشياء والأحوال، فالله سبحانه وتعالى خالق جميع الأشياء: الله خالق السموات، الله خالق الأرض، الله خالق الليل، الله خالق النهار، الله خالق الشمس، الله خالق القمر، الله خالق النجوم....الخ، قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ**

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

والله سبحانه وتعالى خالق جميع الأحوال كذلك: حال العزة وحال الذلة وحال الغنى وحال الفقر وحال الصحة وحال المرض....الخ، فجميع الأحوال التي تأتي علينا هي من الله وليست من ذات الأشياء، فالأشياء لا تملك شيئاً.

والله سبحانه وتعالى خلق الأرض وجعل فيها صفة الإنبات، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطينا الثمر بدون النبات مثلما أعطى مريم عليها السلام، قال الله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**

﴾ (٢) لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

والله سبحانه وتعالى خلق البحر وجعل فيه صفة الإغراق: ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يغرق بدون البحر مثلما أغرق قارون في اليابسة، قال تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ**

(١) سورة الزمر - الآية ٦٢ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ٣٧

اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصِّرِينَ ﴿١﴾، لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا

يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد

والله سبحانه وتعالى خلق النار وجعل فيها صفة الإحراق، ولكن الله سبحانه

وتعالى قادر على أن يأخذ صفة الإحراق من النار مثلما فعل مع إبراهيم عليه

السلام ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢) لماذا؟ لأن الله

يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

والله سبحانه وتعالى خلق الطعام وجعل فيه صفة الإشباع، ولكن الله سبحانه

وتعالى قادر على أن يشبع بدون الطعام مثلما فعل مع أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي

كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٣) رباهم بدون الطعام والشراب ،

لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد

والله خلق الفم وجعل فيه صفة الكلام، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن

ينطق بدون اللسان، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا

اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤)

لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

والله سبحانه وتعالى خلق الحديد وجعل فيه صفة البأس الشديد ولكن الله

سبحانه وتعالى قادر على أن يأخذ منه البأس مثلما فعل مع داود عليه السلام، قال

(١) سورة القصص _ الآية ٨١.

(٢) سورة الأنبياء _ الآية ٦٩.

(٣) سورة الكهف _ الآية ٢٥.

(٤) سورة فصلت _ الآية ٢١.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ

الْحَدِيدَ﴾ (١) فأصبح مثل العجين بيده، لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا

يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد

فلو أن جميع أهل الدنيا أرادوا عزة إنسان والله سبحانه وتعالى أراد أن يذل هذا

الإنسان لا يكون له إلا الذلة، فإذا كان أمر الله هكذا فما هو المطلوب منا.

المطلوب هو امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى على طريق النبي صلى الله عليه

وسلم، يعني امتثال أمر الله في الحال لتكون نصرة الله معنا، فالله سبحانه وتعالى

أنزل دينه كاملاً لفلاح الإنس والجان في الدنيا والآخرة، فالذي يكون عنده الدين

الكامل تكن نصرة الله معه والذي يكون عنده الدين الجزئي أو أجزاء من الدين يأخذ

الأجر والثواب ولكن لا تكن نصرة الله معه، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢) وقال تعالى

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ

الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ

أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤) .



(١) سورة سبأ - الآية ١٠ .

(٢) سورة المائدة - الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ٣٨ .

(٤) سورة الحاقة - الآيات من ٤٤ : ٤٨ .

البيان الخامس عشر

في دعوة الإيمان واليقين

وذبذ الشك والإعتماد على غير الله

لما قام رسول الله بدعوة النَّاس إلى الله، نفى كل ما سوى الله فى قلوبهم، وكان ذلك غريبا عليهم فحكى الله ذلك عنهم حيث قالوا متعجبين: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (١)، وأخبرهم أن الحياة وقتية عرضية زائلة فقال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (٢).

إن حقيقة الإيمان ألا تجعل لله ندا ولا صنما ولا شريكا ، فالصنم كان امتحانا للمشركين، أما فى زماننا هذا فالصنم هى مشاغل الدنيا وأسبابها التى ابتلينا بها فهى الإمتحان، لأن ذلك لا يعبد فيه المسلمون صنما، ولكن أسبابا يعتمدون عليها ، ومشاغل قدموها على أمر الله فشاركوا الله مع غيره، أو اتخذوا أسبابهم ندا، واليقين لا يرسخ فى القلب إلا بالدوام على المذاكرة ، بأن نذكر الله بألسنتنا وفى قلوبنا ومع النَّاس ، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك، لكن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود(٣).

(١) سورة ص _ الآية ٥ .

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٦٤ .

(٣) من كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري.

البيان السادس عشر

في دعوة الإيمان واليقين

قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ (١)، فى الظاهر نرى الربا فيه زيادة والصدقة فيها نقصان، ولكن هنا يوجد أمران: النظر والخبر، فعلينا أن نختار طريق الخبر الذى نصدق فيه بكل ما يخبرنا به الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نختار طريق النظر، لأن النظر لا يعطى نتيجة إلا فى الماديات، أما الغيبات فمحلها الخبر اليقيني عن رب العالمين.

نحن نشتغل فى الأسباب المادية بموافقة الأسباب الغيبية، ولكن إذا خالفنا الأسباب الغيبية، تكون فى الأسباب الظاهرية الضرر والهلاك، مثل المال الذى عند قارون، والملك الذى عند فرعون والنمرود، والوزارة التى عند هامان لكن لو وافق الأمر الأسباب الغيبية ولو كانت مخالفة للأسباب الظاهرية، ولو رأينا فيها الضرر فنحن ننفذ الأمر ففيه نصره، فسيدنا موسى عليه السلام الله تَعَالَى أعطاه العصا وهى سبب ظاهرى، وجاء أمر الله: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (٢)، ورغم المنافع التى هددها سيدنا موسى، ورغم النفع الظاهرى الله تَعَالَى أمره بإلقائها، فعنا تقابل بين المنافع التى فيها وبين فقدائها بعد الأمر بتركها، فنفذ موسى عليه السلام الأمر بتركها، فهنا انقلبت حية، وليست حية عادية بل قال الله تَعَالَى فيها: ﴿فَأَلْقَاهَا

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٦.

(٢) سورة طه _ الآية ١٩.

فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿١﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا
 وَ لَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (٢) ، فهنا هرب سيدنا موسى ولم ينظر خلفه (وَ لَمْ يُعَقِّبْ) فهنا جاء
 أمر آخر من الله تَعَالَى : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ (٣) ، والنتيجة ، ﴿ سَنُعِيدُهَا
 سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (٤) ، فالإنسان إذا قام بأمر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد فهنا
 الإيمان ، لذلك أمر آخر (وَاضْمُمْ يَدَكَ) وأمر ثالث (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 طَغَى) وكل هذا خلاف النفس والطبيعة الإنسانية، لكن إذا قام الإنسان بامتثال
 أوامر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد ، فالله تَعَالَى يوفى له وعده خلاف المشاهد وخلاف
 الظاهر .

يقين المشاهدات بالنظر ونحن يقيننا بالخبر، المشاهدة تقول: الأرض تنبت،
 والحقيقة أن الله هو الذى ينبت، وهو الرزاق والأرض تنبت بأمره وقدرته تعالى.
 إن من طبيعة الإنسان الإبتعاد عن الضار، لكن لو أن أى ضار طرف فى
 الصراع مع أوامر الله تَعَالَى ، فلا بد من ترك مقتضيات الأشياء ونضحى بها لأمر الله
 تَعَالَى ومراده، فالنار نحن نبتعد عنها ونتجنبها مخافة الإحراق، ولكن لو وجد صراع
 بين أمر الله تَعَالَى وبين مقتضيات الطبيعة وهو الإحراق بالنار، فلا بد من التضحية
 بالموروث وبالشىء المجرب، والإعتماد على أمر الله تَعَالَى، فهذا هو الذى فعله

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٦ .

(٢) سورة القصص _ الآية ٣١ .

(٣) سورة القصص _ الآية ٢١ .

(٤) سورة القصص _ الآية ٢١ .

سيدنا إبراهيم عليه السلام، ما ترك أمر الله تَعَالَى بسبب أمر النار، بل صمم على أمر الله تَعَالَى حتى ألقاه النمرود في النار، وكان له النصر في النهاية.

وسيدنا موسى عليه السلام ، الله تَعَالَى أمره بإلقاء عصاه ، مع أنها ذات نفع له فقال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي * وَلِي فِيهَا مَأْرِبٌ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (١) ، فهنا سيدنا موسى عليه السلام: (وَلى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)، فهنا هرب لما عاين الحية، ولكن جاء أمر أشد من الأول وهو (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) فهنا صراع بين مقتضيات البشرية وبين أمر الله تَعَالَى، فقد موسى عليه السلام أمر الله تَعَالَى فبشره الله تَعَالَى : (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)، فرأى أن السعادة في امتثال أمر الله تَعَالَى ببصيرة نور النبوة ، ولذلك سيدنا موسى عليه السلام ، الله تَعَالَى أراد أن يرينا امتثال أمره فأمره أن يأخذها من فيها - على ما ورد في التفسير - على خطرها المعلوم ، فأخذها سيدنا موسى عليه السلام ، وهكذا كل أمر بين أخذ المنافع أو المضار وتركها، وبين أمر الله تَعَالَى، يقدم أمر الله تَعَالَى، فالزكاة أخذ من المال ، وهو نقص في الظاهر، ولكن الله تَعَالَى أمر بذلك فهي نفع .

ولذلك لما أخذ سيدنا موسى عليه السلام العصا كانت فيها نصره الله خلاف المشاهد، ولكن بأمر من الله تَعَالَى يأخذها فيأتي منافع تنفيذ الأمر، والله تَعَالَى

ينصر الإنسان إذا نفذ أوامر الله تعالى وامتثل للأمر خلاف المشاهد، بل باليقين على وعد الله تعالى الذي يأتي خلاف الطبيعة.

لا نترك الأسباب بالكلية ولا نعتمد عليها بحيث تمنعنا عن أداء واجبنا نحو الدين ، ولا نرتاب في رزق الله تعالى لنا أو نصرتنا ، فهذا شرط من شروط الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١).

وهذا هو الفرق الذي بيننا وبين الصحابة رضي الله عنهم، كانوا مستعدين لتنفيذ أمر الله تعالى ولو خالف ذلك أمورهم الحياتية وأسباب معيشتهم، مثلما حدث لهم في غزوة بدر، وتبوك، وذلك الإمتثال للأمر والنظر إلى موعود الله تعالى ولو خالف الأسباب والأحوال سماه الله تعالى في قرآنه بالتجارة المنجية فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) (٣).

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٥ .

(٢) سورة الصف _ الآيات من ١١ : ١٢ .

(٣) من كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله) .

البيان السابع عشر

في دعوة الإيمان واليقين

إن جميع الفوز و الفلاح (فقط) بيد الله جل جلاله .. والله عنده خزائن كل شيء وهو خالق كل شيء، يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يحتاج لأحد من خلقه، وهو الصمد، وهو الذي جعل فوزنا وفلاحنا في الدين الكامل فوزنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة فقط بالدين الكامل. ما هو الدين الكامل؟..

هو إمتثال جميع أوامر الله على طريقة النبي محمد صلى الله عليه و سلم في الليل والنهار (على مدار ساعة) في كل حال . بالدين الكامل نصره الله موعودة. بأجزاء الدين نصره الله غير موعودة (أجر وثواب ممكن).

كيف يأتي في حياتنا الدين الكامل؟..

هناك طريق واحد، مثل الفم هو طريق واحد للكلام، هكذا يوجد طريق واحد به يحيا فينا وفي جميع الأمة الدين الكامل، وهو ((جهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم و على مناجاه)).

وبسبب ختم النبوة كل فرد من هذه الأمة (مسئول ومبعوث) لإقامة جهد النبي محمد صلى الله عليه و سلم.

ما هو جهد جهد النبي صلى الله عليه و سلم؟

هو مجموعة من الأعمال: مثل الصلاة هي مجموعة من الأعمال (تكبير الإحرام، قراءة الفاتحة، ركوع سجود تسبيح إلى آخره...) إذا نقص أي عمل من أعمال الصلاة، فالصلاة غير كامل، وهكذا جهد النبي صلى الله عليه و سلم.

وأهم الأعمال في جهد النبي صلى الله عليه و سلم :

- ١ - الدعوة إلى الله تعالى .
 - ٢ _ والجلوس في حلقات الفضائل .
 - ٣ _ القيام بالعبادات على نهج صحيح وأهمها الصلاة .
 - ٤- ذكر الله وتلاوة القرآن والأدعية المأثورة والدعاء.
 - ٥ - معاملة الناس والتعاون معهم بسلوك وأخلاق النبي صلى الله عليه و سلم.
- هذه الأعمال تقوم بها مجموعة من الناس، وتحيي بيئتها في المسجد، فتكون بداية جماعة المسجد.
- فكل فرد من جماعة المسجد يقوم بنفسه بهذه الأعمال ويقيم غيره عليها
- بالصفات التالية:

- ١ _ يقين صحيح.
- ٢ - بطريقة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٣ - باستحضار الفضائل .
- ٤- بتوجه القلب إلى الله.
- ٥- بعاطفة إرضاء الله.
- ٦ - وبمجاهدة النفس..

وهذه الصفات نطبقها في صلاتنا، فإذا جاءت في الصلاة تنتشر في الحياة.

فهذه المجموعة يكون من الناس يكون فكرهم واحد، ومقصدهم واحد، وعاطفتهم

واحدة، وهمهم واحد، وكلامهم واحد، وقلوبهم مجتمعة.
هذه الجماعة إذا كانت بالصفات التي ذكرناها وبنفس الروابط تكون (نصرة الله
معها ويد الله مع الجماعة) لو جميع القوات اجتمعوا لإيذائهم لا يستطيعون إلا إذا
أراد الله صرفه لهم لتربيتهم.



شروط لا إله إلا الله

قال الشيخ حافظ الحكمي:

والانقياد فادر ما أقول
وفقك الله لما أحبه (١).
العلم واليقين والقبول
والصدق والإخلاص والمحبة

- الأول: العلم المنافي للجهل.
- الثاني : اليقين المنافي للشك.
- الثالث: الإخلاص المنافي للشرك والرياء.
- الرابع: المحبة المنافية للبعض.
- الخامس: القبول المنافي للرد.
- السادس: الانقياد المنافي.
- السابع: الصدق المنافي للكذب أو النفاق.
- الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله. (٢).



(١) في منظومته سلم الوصول.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

توحيد الربوبية والألوهية

توحيد الربوبية: أفراد الله عز وجل بالخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والملك ، والتدبير ، وسائر ما يختص به من أفعال .

توحيد الألوهية: هو أفراد الله تعالى بالعبادة: (الحب والخوف والرجاء والصلاة والزكاة والدعاء والنذر والطاعة.. وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي يحبها الله ويرضاها).

توحيد الأسماء والصفات: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو وصفه به رسوله، من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى - من غير تأويل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي قال : " توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب - جل جلاله - بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة ، والجلال ، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه ، أو أثبتته له رسوله - من جميع الأسماء ، والصفات ، ومعانيها ، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، ولا تمثيل . ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله - - من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله (١).

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ١٠/٣ مجموعة ابن سعدي.

أقوال المشايخ

في مسألة التوحيد

(علاوة علي ما بيناه في البيانات السابقة)

يقول الشيخ محمد عمر بالمبوري (حفظه الله):

الدنيا دار الأسباب، ولكن الله مسبب الأسباب، يرى في هذه الدنيا الشيء من الشيء والولد من الأب، ولكن في الحقيقة الله - سبحانه وتعالى - هو المؤثر في الأشياء، نحن نرى أن الحب من الثمر ولكن الأصل أن الله خالق الحب والنوى ولكن ترى الأشياء من الأشياء، ولكن الله هو مسبب الأسباب، ولكن نحن لا نرى قدرته. الله سبحانه وتعالى قادر على تعمير حياة الإنسان وتدميرها، والله ليس بحاجة إلى أي سبب ولما أراد الله تعمير حياة يوسف، عمرها في السجن، ولما أراد الله تدمير حياة فرعون وقارون ودمر حياتهم في العزة والملك. الحمد لله الذي أخرج هذه الدعوة لندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ونرجع إليهما، الحمد لله الذي أخرج هذا العمل لتوحيد الألوهية، والربوبية، وأسماء الله وصفاته.

الله عز وجل علم نبيه أن يركز على الإيمان والنبي علم أصحابه الإيمان واليقين الصحيح، وبضدها تتميز الأشياء، التوحيد ضد الشرك، نصرف أنفسنا لله ولا نتوجه لغير الله، سواء صنم يعبد، أو قبر يزار، بل كل هذا شرك، ولكن الشرك، شرك دون شرك، وكفر دون كفر، وكذلك اليقين.

ولذلك ركز النبي على هذا اليقين والتوحيد الخالص، حتى أن النبي أراد ربط الإنسان بالتوحيد عن طريق الصلاة، فعند الدخول في الصلاة التكبير، وهكذا الركوع، كل هذا لتوحيد الألوهية، وإذا أتى توحيد الألوهية، يأتي توحيد الربوبية، وكل جهد مثل الحلقات وغيرها هو لهذا اليقين. (١).

ولكن الدعوة إلى أي شيء؟ إلى الله وحده لا شريك له.

وكما نعبد الله وحده ونعترض على أهل الأصنام فكذلك نحن ننكر عبادة غير الأصنام، وكذلك ننكر على الذين عندهم الشركيات.

لو تقابل أهل الشرك الحقيقي، مع أهل الشرك المجازي، فيغلب أهل الشرك الحقيقي، ومعنى الشرك الحقيقي، هو عبادة الأصنام، والمجازي الاعتماد على غير الله، وهذا لا يخرج عن كلية الإيمان ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله الأسباب.

حقيقة الإيمان أن نتيقن على ذات الله ولا نتأثر إلا به، والله أمر نبيه: ﴿ يَا

أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ

فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (٢) ، فقدم لفظة ربك على

التكبير وهذا يفيد الحصر، أي لا تكبر غير ربك.

معية الله بالصفات الإيمانية الصبر والتقوى والإحسان، وهذا هو زبدة الإيمان،

وأنا أقول إن الإيمان بذات الله أن لا نعتمد على غير الله، ولا رجاء بغير الله، ولا

(١) وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة _ ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك.

(٢) سورة المدثر _ الآيات من ١ : ٧.

استعانة بغير الله، ولا نستعين إلا بالله، ولا نعبد إلا الله، ولا نسجد لغير الله، ولا نركع للأصنام ولا نقوم لغير الله، فإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله، والرجاء من غير الله، بعد ذلك تأتينا نصره الله (١).

ويقول الشيخ زين العابدين (رحمه الله):

عرفنا أن محمداً وجميع الأنبياء ركزوا جهدهم على تعليم الأمة، وصبروا وأخذوا أضعاف مدة تعليمهم في الإيمان على تعليم الأعمال فما هو الإيمان؟

الإيمان هو لا إله إلا الله، وهذا نفي وإثبات، فالإنسان إذا كان قلبه متعلق بالأسباب والقوة، وقوة السلاح، وقوة الأشياء المادية، وقوة الملك والمال، ويجد قلبه متأثراً بالأحجار سواء أحجار الجاهلية، أو الأحجار الإلكترونية، فكلها أحجار، فإذا رأى الإنسان ذلك، يجتهد ويخرج من هذه الشركيات، حتى يكون قلبه متعلق بالله الأحد، الذي يفعل ولا يستعين بأحد، والصمد الذي يفعل ولا يحتاج إلى شيء.

قوم ثمود كانوا أساتذة العالم في البناء، والله أخرج لهم ناقة من الجبل، ويروى أنها كانت حامل ووضعت حملها، كل ذلك ليعلم الله خلقه بأنني أنا الخالق، أخلق الولد بدون أب، والناقة من الجبل، وعيسى من غير أب، وآدم من غير أب وأم، كل ذلك لبيان قدرة الله، لأن الإنسان كثيراً ما يربط بين الأسباب، ويعتقد أن فيها النفع والضر، فهذا معنى لا إله إلا الله، نخرج من قلوبنا الاعتماد على غير الله، فالله إذا شاء يخلق العزة مع قلة العدد، تلك الإرادة التي علمها رسول الله ابن عباس: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك رفعت

الأقلام وجفت الصحف، الأمة بحاكمهم ومحكومهم لا تأثير لهم في شيء. الخلاق هو الله صاحب الإرادة هو الله، فإذا خلى قلب الإنسان من كل المخلوقات فعند ذلك يأتي اليقين، فيجد قلبه متقبلاً اليقين.

المادة الأولى في مدرسة النبي هو الإيمان بأسماء الله وصفاته، الإيمان بأن الله هو النافع والضار، هو الذي يضل وينفع ويمنع ويهدي، وإذا صلح اليقين بهذه الصفات يصبح عنده حقيقة الإيمان بأسماء الله وصفاته" أ. هـ. (١).

ويقول الشيخ أحمد اللات:

هكذا المؤمن لا يترك أمر الله، ولا يسأل إلا الله، ولا يرجو إلا الله، فرعون اجتهد حتى لا يأتي موسى، وكان يقتل الأطفال، ولكن الله إذا أراد أن يحفظ الإنسان فمن يستطيع أن يضره؟ وكذلك الذي يريد الله له الحياة فمن يستطيع أن يميته؟ فالله - سبحانه وتعالى - يبين هذا حتى يقوي الإيمان في قلوب الناس إلى يوم القيامة. جميع الأنبياء ونبينا دعوا إلى الإيمان والعمل، ففلاح الإنسان بلا إله إلا الله محمد رسول الله، فهي من جزئين فالإنسان يخرج من بيته ويتحمل الشدائد حتى يخرج من قلبه جميع الأشياء، ويدخل اليقين على الله، لا يكون في قلوبنا أي يقين على غير الله، سواء الشمس والقمر والملائكة وجبريل، هكذا يأتي في قلوبنا اليقين الخالص، فالله خالق بدون معونة أحد، يستطيع بقدرته أن يفعل كل شيء بقدرته. إذا أتى الإيمان في قلوبنا، كيف أن الله هو الرازق، هو المانع، كيف نؤمن بصفات الله وأسماءه، هو رب العالمين هو ذو القوة المتين" أ. هـ. (٢).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

ويقول الشيخ عبد الوهاب (١):

أول ما اجتهد عليه الأنبياء هو الإيمان، من الأشياء إلى رب الأشياء، وكانوا يقولون قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فلاحكم بيد الله وقوتكم بيد الله، وكل شيء من خزائن الله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) الروح من الله، الحياة من الله، الموت من الله، وكل شيء محتاج إلى أمر الله، ولا يستطيع الإنسان أن يستعمل أي حاجة إلا بأمر الله، الله أعطى النور للشمس، ولكن الشمس لا تمشي بأمرها بل بأمر الله، والله قادر على كل شيء هو الأحد، هو الصمد، ومعنى الصمد الذي لا يحتاج إلى شيء، ولهذا المقصد نجتهد حتى ندخل في قلوب الناس الاعتماد على الله، فتتحرك للعالم حتى نبين لهم ذلك، نحن لا نستطيع أن نحصر قدرة الله لأن عقلمنا محصور" أ. هـ. (٣).

ويقول الشيخ جمشيد (٤):

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٥)

{ وَالْعَصْرِ } الواو للقسم إن للتأكيد، والجملة الاسمية هنا للتأكيد، فأتى الله بكل هذه

التأكيدات، قال تعالى: { وَالْعَصْرِ } أي الدهر أو وقت العصر { إِنَّ الْإِنْسَانَ } أي

(١) أمير الدعوة والتبليغ بدولة باكستان.

(٢) سورة المنافقون _ الآية ٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) من علماء الدعوة والتبليغ بمركز الدعوة برايوند باكستان.

(٥) سورة العصر.

جميع الناس { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } للإيمان ثلاثة جهود، التصديق

بالجنان، والعمل بالأركان، وإقرار اللسان.

ويقول الشيخ ظهير:

اليقين الصحيح هو أن يعلم الإنسان أنه محتاج إلى أمر الله، كذلك الأشياء في نفعها وضرها محتاجة إلى أمر الله، هذا هو اليقين الصالح وهذا هو مفهوم لا إله إلا الله، أي سوى الله لا يضر ولا ينفع، إنما النفع والضرر هو من الله جل جلاله هذا هو اليقين الصالح" أ. هـ. (١).

ويقول الشيخ الأنصاري (حفظه الله):

والإيمان الذي يتحصل بغير التضحيات يكون ضعيفاً جداً ويخالطه الخوف والرعب من غير الله ولا يمكن لهذا الإيمان أن يعلم صاحبه الاعتماد والتوكل على ذات الله وحده في أداء الدعوة فمرة تراه يتوجه إلى الملك ومرة إلى المال وتارة إلى القوم والعشيرة وأخرى إلى الحكومات والوزارات فيبقى دائماً متذبذب، وكلما رأى شيئاً توجه إليه. وصاحب الدعوة يرجو ويأمل المدد والعون من غير الله كيف يتمكن من أن يوجه الناس إلى ذات الله تعالى؟ لهذا فالصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين تعلموا من الرسول ﷺ الدعوة إلى أثناء تعليمهم هذا كانوا يتحملون المصائب والشدائد التي تلاقىهم (٢).

ويقول أيضا: ليس لنا مقصد في هذه الدنيا إلى أن يرضى الله ﷻ عنا ويكون

(١) المرجع السابق.

(٢) الفهم العميق في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

معنا ، لذا نجتهد حتى يتعلق القلب بالله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) الصلاة.. الصيام.. الحياة.. الممات.. مقصدها واحد وهو رضاء الله ﷻ .

والعبودية: هي أن ينقطع القلب عن غير الله ﷻ ويثق به، ولا يتوجه في جميع الأحوال إلا إلى الله ﷻ.

فعندما يكون القلب مملوءً بعظمة الله ﷻ ، فلا يتوجه إلى أي باب، إلا إلى باب الله ﷻ .. لا إله إلا الله .. والإله: ما يُلْهِينا عن غيره، وتألّه القلوب وتُحبه وتعظمه.

ماذا يقول الكفار ؟

يقولون: ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِمَاءً وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٢) فدعوة الأنبياء.. أن يدخل في القلب محبة الله ﷻ وعظمة الله ﷻ، وأن يخرج منه غير الله ﷻ نهائياً، فيصونوا القلب عن الخلائق: ﴿ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ (٣) مائلاً إلى الله عن غيره .

ولكن هذا الشيء صعب.. كيف يعلم أنه لله ﷻ أم لغيره ؟ الله ﷻ أعطانا الميزان " التضحية " وبهذا الميزان يفهم الإنسان هل قلبه مشغول بالله أم بغيره.. نحن فهمنا أن التضحية بذبح البقرة والشاة.. ولكن التضحية أن تكون مستعد أن تضحي بمالك ونفسك من أجل الله ﷻ وليتضح الأمر أبين ما بينه الله ﷻ في القرآن الكريم عن

(١) سورة الأنعام - الآية ١٦٢ .

(٢) سورة ص - الآية ٥ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ٦٧ .

سيدنا إبراهيم عليه السلام .. هل يميل إبراهيم عليه السلام إلى قبيلته وقومه أم إلى الملائكة؟
لما أخذوه وأجمعوا أن يلقوه في النار، وجمعوا الحطب ودبروا فالله تعالى أتى
بشيئين :

النظام الظاهري: القوم والقبيلة والحكومة والكون كله.. مخالف لإبراهيم عليه السلام حتى
والده.

والنظام الغيبي: نظام السماء موافقاً لسيدنا إبراهيم عليه السلام فنزلت الملائكة.. ونزل

جبريل عليه السلام .. وملك الرياح .. وملك المياه .. الخ وعرضوا على إبراهيم عليه السلام
النصرة، فلم يتأثر إبراهيم عليه السلام من الموافقة أو المخالفة بل قلبه يتوجه إلى الله
تعالى: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) اليقين دخل في القلب أن هذه الأشياء
الظاهرية ليست شئ.. في حالة اضطرارية ولكن ما توجه إلى الملائكة.. وما توجه
إلى قومه ولكن توجه إلى الله تعالى .

ولا يستطيع أن يقول هذا القول، إلا من كان في قلبه حقيقة الإيمان، وبهذه
القصة الله تعالى يخبرنا لو تقومون بهذا الطريق؛ تجدونني معكم في كل مكان (٢).

توحيد الصفات والأسماء:

يقول الشيخ زين العابدين (حفظه الله):

وكيف علم النبي أصحابه الإيمان بجزئية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذه
ليست كلمة باللسان فقط بل يقين خالص لا خدعة فيه، يكون يقيناً واحداً بذاته،
واحداً بصفاته، منه تنزل الأحكام وإليه تصعد الأعمال.

(١) سورة آل عمران - الآية ١٧٣.

(٢) المرجع السابق.

المادة الأولى في مدرسة النبي هو الإيمان بأسماء الله وصفاته، الإيمان بأن الله هو النافع، هو الضار، هو الذي يضل ويمنع ويهدي، وإذا صلح يقين الإنسان بهذه الصفات يصبح عنده حقيقة الإيمان بأسماء الله وصفاته، وهو في سائر أعماله يكون مخلصاً لله، هذا الإنسان الذي آمن بأسماء الله وصفاته، يعلم أن الله معه يسمعه ويراه فإذا صلى الإنسان ولم يؤمن بأسماء الله وصفاته، فصلاته تكون ضعيفة وغير صحيحة، كذلك الإنسان إذا ترسخ في قلبه أسماء الله وصفاته، فيكون مراقب الله، أعماله خالصة وهو غير محتاج إلى أن يتلفظ بنيته، لأن هذه النية رسخت في قلب من رسخ في قلبه الأسماء والصفات.

نستطيع أن نحلف بالله، لا سعادة لنا إلا بالإيمان، وأن الإيمان والعمل الصالح هو الذي ينقصنا، ولا تنقصنا الأسباب، ونستحضر أسماء الله وصفاته.

الله له صفاته ومن صفاته السمع، ونحن نسمع ولكن سمع الله يليق به (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ^(١) وكذلك له البصر، ونحن لنا البصر، ولكن بصر الله ليس كبصرنا (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ^(٢) ومن صفاته العدل والإعطاء" أ. هـ ^(٣).

(١) سورة الشورى - الآية ١١ .

(٢) سورة الشورى - الآية ١١ .

(٣) وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة _ ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك للشيخ خالد عبد الرحمن .

الاتباع

لسيد الخلق

محمد رسول الله ﷺ

قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢).

وعن أبي هريرة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي " قِيلَ : وَمَنْ أَبِي ؟ قَالَ : أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي " رواه البخاري (١).

(١) سورة الفتح - الآية ٢٩ .

(٢) سورة النساء - الآية ٦٤ .

وعن أبي رافع وغيره رفعه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيته عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه " . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي في دلائل النبوة . وقال الترمذي حسن صحيح (٢) .

وعن المقدم بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله ألا لا يجل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه " رواه أبو داود وروى الدارمي نحوه وكذا ابن ماجه إلى قوله : " كما حرم الله " (٣) .

وعن العرياض بن سارية : قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الإعتصام بالكتاب والسنة ٥١/١ .

(٢) المرجع السابق ٥٧/١ .

(٣) المرجع السابق ٥٧/١ .

رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا قال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه إلا أنهما لم يذكر الصلاة (١)

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " رواه في شرح السنة وقال النووي في أربعينه : هذا حديث صحيح روينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح (٢).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. متفق عليه " (٣).

■ معنى (محمد رسول الله):

أ - طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(١) المرجع السابق ٥٨/١.

(٢) المرجع السابق ٥٩/١.

(٣) المرجع السابق ٥١/١.

ب _ هداية ورحمة للعالمين.

■ المقصد من (محمد رسول الله):

أ _ تحويل العادات إلي عبادات.

ب _ إخراج طرق الأغيار اليهود والنصارى والمشركين والمجوس والملحدين من حياتنا، وإدخال حياة النبي ﷺ في حياتنا، من معاشرات وأخلاق ومعاملات.

ج _ كل الطرق تؤدي إلى الهلاك والفساد والخسران، إلا طريق الرسول ﷺ فإنه يؤدي إلى الفوز والفلاح والنجاح، فكيف تكون حياتنا مطابقة لحياه الرسول ﷺ في الصورة والسيرة والسريرة.

د _ قبول الأعمال.

■ مقتضيات محمد رسول الله ﷺ:

(١) تصديقه ﷺ فيما اخبر والإعتقاد بان ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى

وان ما سواه هو الباطل قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(١).

(٢) الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقليين إنسهم وجنهم.

(٣) الإيمان بكونه خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

(٤) الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

(٥) الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم

على البيضاء ليلاً كنهارها.

(١) سورة النجم - الآيتان ٣ ، ٤ .

(٦) النصيحة له: وذلك يتحصل بتعظيمه ونصره حياً وميتاً وإحياء سنته وتعليمها والإقتداء به في أقواله وأفعاله ومحبته ومحبته أتباعه .

(٧) الإيمان بعصمته ﷺ .

(٨) طاعته صلى الله عليه وسلم .

(٩) اتباع سنته صلى الله عليه وسلم .

(١٠) محبته صلى الله عليه وسلم .

(١١) كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

■ توحيد الطاعة والاتباع:

هو أن نفرد رسول الله ﷺ بالاتباع، فلا نتبع إلا إياه اتباعاً صادقاً، لأن طاعته طاعة لله وحده لا شريك له، فهو المبلغ عن الله.

فالطاعة هي لله ابتداءً.. أما طاعة رسول الله ﷺ، فهي طاعة لله، كما ثبت بالبرهان القاطع، واتباع أمره، هو اتباع لأمر الله.

فهذا التوحيد هو فعل العبد المبني على اعتقاده انفراد الله بالسيادة، والحاكمية، وانفراده بحق التشريع، وتصديقه أن مراد الله إنما يعرف بالوحي إلى الرسل والأنبياء.

وهذا هو معنى: (أشهد أن محمداً رسول الله).

وهو ما نسميه توحيد الطريق: لا طريق إلا طريق رسول الله ﷺ.

■ ما الفرق بين طاعة النبي واتباع النبي والتأسي بالنبي؟

أولا : الطاعة:

(١) الطاعة لله تعالى ورسوله ﷺ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(١).

طاعة الرسول ﷺ فيما يبلغ عن ربه.

(٢) الطاعة لله تعالى والرسول وأولي الأمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا ﴾^(٢). طاعة العلماء في أحكام الشرع من طاعة الرسول ﷺ ، وقال تعالى: ﴿

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٣).

إن الله سبحانه تعالى أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم أصحاب سلطان، ولم يأمر

باتباعهم لأنهم قد يكونوا ظالمين غير متبعين لهديه سبحانه وتعالى فنكرهم،

ونهي عن طاعتهم في المعصية، ففي الحديث:

إن الشيطان له أتباع وهو مذموم ومنهي عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾^(٤). وليس له طاعة لأنه لا

(١) سورة - الآية .

(٢) سورة النساء - الآية ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٣٢ .

(٤) سورة البقرة - الآية ١٦٨ .

سلطان له ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْغَاوِينَ ﴾^(١). وفي قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ إدانة للعاصين
والكافرين لأنهم غير مجبورين علي المعصية أو الكفر فهم فعلوا ذلك اتباعا
وليس طاعة للشيطان .

وقد يقول قائل : ما دام الاتباع هو الطاعة الناتجة عن الحب فهل أحد يحب
الشيطان؟

بالطبع لا أحد يحب الشيطان ولكن العاصين والكافرين يحبون الشهوات التي
هي من خطوات الشيطان ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾^(٢).

والطاعة ليست دليل حب فقد يأتي الإنسان بالطاعة وهو كاره كما في قوله
تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَارِهُِونَ ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿ أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾^(٤).

الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَةٌ وَالْإِتِّمَامُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ طَاعَةٌ، فَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ طَاعَةَ
العبد وهو كاره لها!!؟

ثانيا: الاتباع:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

(١) سورة الحجر- الآية ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران- الآية ١٤ .

(٣) سورة التوبة- الآية ٥٤ .

(٤) سورة هود- الآية ٢٨ .

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ .

والإتباع دليل حب، تأمل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ

وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَبَ أَعْمَاهُمْ ﴾ (٢) لاحظ التضاد بين (اتبعوا - كرهوا).

والاتباع يكون في حسن الأداء وفي طريقة الأداء فيما أمرنا الله تعالى به أو نهانا عنه والكمال في الأداء نعرفه من رسول الله ﷺ فهو الذي شرّعه لنا.

ثالثاً: التأسّي:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ

يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣)

والتأسّي يتعلق بما تكرهه النفس وما تكرهه النفس إما بلاء أو فتنة أو

امتحان.

فإذا فعلنا ما فعله الرسول من أوامر فهذه طاعة وإذا فعلنا ما فعله من حيث

حسن أداء الأوامر فهذا اتباع وإذا فعلنا ما فعله الرسول من حيث عكس ما تشتهي

نفسه فهذا تأسّي. يقول تعالى (واتقوا الله) فيما فرض عليكم و(ابتغوا إليه

الوسيلة) أي تقرب إليه بشيء تتقنه.

(١) سورة آل عمران - الآية ٣١.

(٢) سورة محمد - الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٢١ .

لماذا نتأسى بالرسول ؟

وما هي الأسباب التي تدعونا للتأسى به ؟

الله تعالى أعد رسوله إعداداً كاملاً حتى صار قدوة وأسوة، فالقدوة في كل شيء حتى في النوم والدخول والخروج والجماع....ألخ.

والأسوة في الشدائد، أي تتأسى به فيما تكرهه نفسك وما تحبه.

هناك أسوة حسنة وأسوة سيئة والرسول ﷺ أسوة حسنة لأنه يتصرف عكس ما تشتهيئه نفسه فبدل أن ينام يقوم الليل فتتورم قدماه ﷺ وبدل أن يغضب يعفو عن غضبه.

ومواصفات الرسول التي تجعلنا نتأسى به وردت في سورة الشرح:

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي

أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (١).

هذه النعم الاعدادية التي أعد الله تعالى بها النبي ﷺ وهي تحوي جميع المحاسن التي تجعل صاحبها كاملاً { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } متى ينشرح

صدرك؟ عندما تعرف شيئاً كنت تجهله قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢). فالذي ينشرح صدره للإسلام هو الذي يعرفه

ويشرحه ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

(١) سورة الشرح- الآيات من ١ : ٤ .

(٢) سورة الزمر- الآية ٢٢ .

يُضِلُّهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ
اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

أكرم كلمة في كتاب الله تعالى الكلمة المشتقة من فعل عِلِمَ وعلِمَ وتعلّم وعلماء.
ما من صغيرة ولا كبيرة في هذا الكون إلا وللرسول ﷺ رأي صائب فيها، لأن رب
العالمين علّمه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
﴿٢﴾. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣﴾. فالله تعالى شرح صدره ﷺ بالمعارف
والعلوم التي لا يستطيع أحد أن يكتسبها وكان هذا التعلّم يومياً وما من قضية أو
حركة من حركات اليوم للإنسان أو المخلوقات إلا وللنبي ﷺ فيها رأي أثبتت صحته
لكنه لم يكن ليخبر به في عهده لأن عقول الناس في ذلك الوقت لم تكن لتستوعب
ما يعلمه الرسول ﷺ من ربه.

وأول اعداد معرفي كان في قوله تعالى (اقرأ) ومنذ ساعتها قرأ ﷺ صفحة الكون
وهذه القراءة أكسبته معارف وعلوماً ليس بوسع أي مخلوق آخر معرفتها بفضل الله
تعالى وفضل الله تعالى عليه عظيم لأنه مستمر.

والناس عادة تتأسى برجل له معارف وعلوم وحكمة.

وقال تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ الوزر هو
الجبل أو الملجأ الحصين. والوزر في الآية هو كناية عن الهموم الثقيلة التي تنوء
به ولا يستطيع لها حملاً كأن تكون فقيراً ولديك عيال كثيرون وليس لديك ما تنفقه

(١) سورة الأنعام - الآية ١٢٥.

(٢) سورة النساء- الآية ١١٣.

(٣) سورة القلم - الآية ٤.

عليهم فهذا وزر عليك وحمل لا تستطيع أن تحمله .

والرسول ﷺ أنيط به هذا الكون وهو ﷺ خاتم الأنبياء .

إذن كان ﷺ مهموماً ويستولي عليه الحزن الشديد وكان من الضعف الانساني

بحيث ينهار أمام كارثة، كيف يستوعب ما يُعَلِّم ما يُعَلِّم ما تعلم، ولذا قال تعالى : {

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } والله تعالى لم يفعل هذا إلا مع الرسول ﷺ فعند كل شدة

تعرض لها الرسول ﷺ ففي بدر تدخل الله تعالى مباشرة وأنزل الملائكة تحارب معه،

وعندما كادت له قريش أخرجه الله تعالى وكم لاقى من أهله وأقاربه وأعمامه وما

فعله أبو لهب فيأتي فيتدخل الله تعالى ﴿ فَلَآ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ

﴾ (١)، وكلما أذى ﷺ ، الله تعالى يدافع عنه ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٢).

وكل الأنبياء دافعوا عن أنفسهم أما الرسول ﷺ فتولى الله تعالى الدفاع عنه.

من العرض السابق تبين أن الأتباع أشمل وأعم من الطاعة وأن الأتباع

هو طاعة ناتجة عن الحب وقد أمر الله سبحانه وتعالى باتباع نبيه كما في

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(٣).

(١) سورة فاطر - الآية ٨.

(٢) سورة الحجر - الآية ٩٥.

(٣) سورة الأنفال - الآية ٦٤.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١). وغير ذلك من الآيات.

وختاما قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾^(٢). فالمؤمن الحق يحب النبي، ويضحى بحياته فداء لحياة النبي. أيقدم المؤمن حياة النبي على حياته وحب النبي على حب نفسه ثم بعد ذلك لا يطيعه؟!

- برهان: محمد رسول الله: إتباع السنة في كل شيء.
- يقولون : فى هذا الزمن لا تنفع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل أحدهم الخلاء فيستجى بيده اليسرى ويأكل بيده اليسرى وكأنه لا يفرق بين فيه وفرجه.
- تارك السنة يعاقب : أكل رجل بشماله عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: "كل بيمينك ، قال لا أستطيع قال لا استطعت (ما منعه إلا الكبر (فما رفعها إلى فيه (شلت يده). رواه مسلم عن عمرو بن الأكوخ (٣) .
- الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ .
- الحياة لا تسير بدون نهجه.

(١) سورة آل عمران - الآية ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٦ .

(٣) رياض الصالحين - باب السنة وآدابها .

- الرسول ﷺ هو العبد النموذجي الذي يريده الله قدوة للعالمين .
- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) ووراء ذلك رضا الله ﷻ .
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٢).
- الإلتباع الكامل دليل الحب الكامل : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) حقيقة الإلتباع
- فيما أحب وفيما أكره .. مثل الوضوء قبل النوم يكون ثقيل على النفس .
- الذي يسخر بالسنة ولو كانت بسيطة يخرج من الملة .
- والذي يقول أنا عارف أنها سنة ولما أقتنع بها أعملها هذا متردد ويخشى عليه النفاق .
- تارك السنة ملعون : فعن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبوت ليعز من أذله الله ويذل من

(١) سورة الأحزاب - الآية ٢١ .

(٢) سورة الفتح - الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ٣١ .

أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ،
والتارك للسنة " (رواه البيهقي ورزين في كتابه والترمذي في القدر والطبراني في
المعجم والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي) (١).

■ التحذير من ترك سنن رسول الله ﷺ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ
قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ
فُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ؟ (٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ
ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ" فُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ "فَمَنْ؟". (٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ فَيَقِيلَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومَ فَقَالَ وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَائِكَ؟ (٤).

(١) صحيح البخاري _ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) صحيح البخاري _ كتاب الاعتصام.. وصحيح مسلم _ كتاب العلم _ باب اتباع سنن اليهود
والنصارى.

(٣) صحيح مسلم.

(٤) صحيح البخاري _ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة.

وفي رواية أبي واقد الليثي عند الترمذى - " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"... عند الترمذى... وعند أحمد: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْلِ "... (١). (بالضم والمشهور في معظم الروايات بالفتح....

قال ابن حجر في الفتح: قوله: "لَتَتَّبِعَنَّ سُنَّةَ" بفتح السين للأكثر. وقال ابن التين قرأناه بضمها.... وقال المهلب بالفتح أولى لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهو الطريق .

معنى السنن:

والسُّنَّةُ: الطريقة، والسنن أيضاً سُبُلٌ ومناهج وعادات.... والسُّنَّةُ الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السُّنَّةِ؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق... وسنن الطريق وسننه وسننه وسننه: نهجه... فالسنن: جمع سنة، والأصل فيها الطريقة والسيرة. وإذا أُطِقَتْ في الشرع فإنما يُرادُ بها ما أمرَ به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه ونَدَبَ إليه قولاً وفِعْلاً، مما لم يُنطق به الكتاب العزيز. ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسُّنَّةُ، أي القرآن والحديث وسنة النبي: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو: سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً} (٢). (الفتح/٢٣)،.

(١) مشكاة المصابيح - باب الإيمان بالقدر - ١ / ٣٨

(٢) مشكاة المصابيح - باب الإيمان بالقدر - ١ / ٣٨

معنى اتباع السنن:

جاء في الروايات السابقة : أَلْفَاظُ "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ" ... "لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةً" ...
 لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ " ، " تَأْخُذُ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا" ... وهذه الألفاظ بمجموعها تدل
 على المراد شرعا باتباع السنن بحيث يمكن أن نقرب المعنى فنقول:
 أخبر الرسول بما يكون من أمته بعده من اتباع سبل ومناهج وعادات أمم الكفر في
 الأرض، سواء كانوا متمثلين في أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لأنهم كانوا
 المشهورين بالديانات السماوية ، أو في فارس والروم ، لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر
 ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلادا ، والناس إنما يقلدون من كان هذا حاله ،
 وليس المراد الحصر ، فما هي إلا أمثلة وأسماء وإن تغيرت أو تسمت بأسماء آخر ،
 وهذا يظهر في قوله (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون
 قبلها) والأخذ هو السيرة ، يقال أخذ فلان بأخذ فلان أي سار بسيرته ، والمعنى
 تسير بسيرة الأمم قبلها ، سواء في دينها ، كاليهود والنصارى ، أو في دنياها:
 كفارس والروم ، فحيث قال فارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس
 وسياسة الرعية، وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمر الديانات
 أصولها وفروعها، وهكذا فنحن نشاهد تقليد أجيال الأمة للأمم الكفر في الأرض، فيما
 هي عليه من أخلاق ذميمة وبدع محدثة وعادات فاسدة، تفوح منها رائحة النتن،
 وتمرغ أنف الإنسانية في مستنقع من وحل الرذيلة والإثم، وتندثر بشر مستطير ، ثم
 إن هذا الإلتباع ليس هامشى أو عرضى بل هو اتباع دقيق لاتفوتهم منه فائتة ،
 عبر عنه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى بقوله: " لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ

قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ
لَسَلَكَتُمْوهُ"....وفي لفظ " لو دخلوا"... " لدخلتموه..." وهذا كناية عن شدة
الموافقة لهم في عاداتهم، رغم ما فيها من سوء وشر، ومعصية الله تعالى ومخالفة
لشرعه. و(جُحْر الضَّب) ثقبه وحفرته التي يعيش فيها، والضب دويبة تشبه
الحرذون تأكله العرب، والتشبيه بجحر الضب لشدة ضيقه ورداعته، وبتن ريحه
وخبثه، وما أروع هذا التشبيه الذي صدق معجزة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم، فوق ذلك التتبع والإتباع الممقوت من أمة المسلمين لأمم الكفر البائدة
الفاسدة ، وصدق ربنا جل وعلا إذ يقول عن نبيه صلى الله عليه وسلم "وَمَا يَنْطِقُ
عَنْ الْهَوَى..."
قال ابن حجر في الفتح:

وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه " لا تترك هذه الأمة
شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه " .

ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح " لتركن سنة
من كان قبلكم حلوها ومرها " .

قال ابن بطال: أعلم صلى الله عليه وسلم أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور
والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أندر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر،
والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائما عند خاصة من
الناس ، قلت: وقد وقع معظم ما أندر به صلى الله عليه وسلم وسيقع بقية ذلك. أ.هـ.

قال المناوي في فيض القدير: " لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا مِثْلٌ "

هذا لفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام لأن نوره قد بهر الأنوار وشرعته نسخت الشرائع ، وهذا الإخبار من معجزاته فقد اتبع كثير من أمته سنن فارس في شيمهم ومراكبهم وملابسهم وإقامة شعارهم في الحروب وغيرها وأهل الكتابين في زخرفة المساجد وتعظيم القبور حتى كاد أن يعبدها العوام وقبول الرشا (الرشوة) وإقامة الحدود على الضعفاء دون الأقوياء وترك العمل يوم الجمعة والتسليم بالأصابع وعدم عيادة المريض يوم السبت والسرور بخميس البيض وأن الحائض لا تمس عجيناً إلى غير ذلك مما هو أشنع وأبشع ، وقوله: (حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتم) مبالغة في الإتيان فإذا

اقتصروا في الذي ابتدعوه فستقتصرون وإن بسطوا فستبسطوا حتى لو بلغوا إلى غاية لبلغتموها حتى كانت تلك الأمم تقتل أنبياءها فلما عصم الله رسوله ، من أمة الإسلام من قتلوا خلفاءهم تحقيقاً لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال الحراني: وجمع ذلك أن كفر اليهود أضل من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً ولا قولاً وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم يجتهدون في أصناف العبادة بلا شريعة من الله ويقولون ما لا يعلمون ، ففي هذه الأمة من يحذو حذو الفريقين ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينة يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ، قضاء الله نافذ بما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بما سبق في علمه ، لكن ليس الحديث إخباراً عن جميع الأمة لما تواتر عنه أنها لا تجتمع على ضلالة.أ.هـ

■ الله ختم على كتف النبي ﷺ وقال له توجه حيث شئت فإنك منصور ... فالنصرة بإتباع السنة .

■ الذي يقول عن السنة مثل العمامة واللحية قشور فلا حظ له في الهدى الظاهر لأن الدين ليس فيه قشور، هم عابوا على السنة لأنهم لم يفعلوها .

■ **تارك السنة ضال** : فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: نزل القرآن وسن رسول الله ﷺ السنن ثم قال : اتبعونا . فو الله إن لم تفعلوا تضلوا.

وعن أبي قلابه قال ، إذا حدثت رجل بالسنة فقال دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال (١).

■ علامة إتباع السنة يوضع لك القبول في الأرض لأنك تتبع سيد المقبولين رضي الله عنه (٢).

■ **كيف تأتي فينا صفة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:**

(١) نحقق الاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم في صورته وسيرته وسريته.

(٢) نكثر من الجلوس في مجالس فضائل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣) ندعو الناس إلى تحقيق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٤) ندعو الله عز وجل أن يرزقنا والأمة حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه

وسلم .

(١) تاريخ الإسلام - الذهبي - ٣ / ٣٤٣ .

(٢) من كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله للمؤلف.

■ قصص في الإتياع :

١ _ عَنْ عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ (١).

٢ _ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال لأبيه : سمعت الناس يقولون مقالةً فآليتُ أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف، فوضع رأسه ساعةً ثم رفعه فقال: "إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإني إن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف". قال عبد الله: فو الله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر . فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ﷺ أحدًا وأنه غير مستخلف. (٢).

٣ _ وعن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقَبَّلَهُ، فقال: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ (٣).

وقال رضي الله عنه بعد أن قَبَّلَ الحجر الأسود: "ما لنا وللرمل، إنما كنا راعينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه (٤).

(١) صحيح البخاري « كتاب الحج » باب ما ذكر في الحجر الأسود.

(٢) خرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (٢٠٥/١٢) "تووي" والإمام أحمد في المسند (٤٧/١) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في "الصحيح" كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (٥٤١/٣) ، "فتح".
ومسلم في "الصحيح" كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (١٦/٩) ..

(٤) رواه الإمام البخاري في " " الصحيح " كتاب الحج، باب الرمل (٥٥٠/٣) فتح برقم (١٦٠٥).

٤ _ وعن يعلى بن أمية قال: كنت مع عمر رضي الله عنه فاستلم الركن، قال يعلى: وكنت مما يلي البيت، فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود وحدرت بين يديه لأستلم، فقال: ما شأنك؟ قلت: ألا تستلم هذين؟ قال: ألم تطف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: بلى، قال: رأيته يستلم هذين الركنين - يعني الغربيين -؟ قلت: لا، قال: فليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى، قال: فانفذ عنك (١).

٥ _ وعن يعقوب بن زيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في يوم الجمعة وقطر عليه ميزاب العباس، وكان على طريق عمر إلى المسجد، فقلعه عمر، فقال له العباس: قلعت ميزابي، والله ما وضعه حيث كان إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، قال عمر: لا جرم أن لا يكون لك سلم غيري ولا يضعه إلا أنت بيدك. قال: فحمل عمر العباس على عنقه فوضع رجله على منكبي عمر، ثم أعاد الميزاب حيث كان، فوضعه موضعه، وفي رواية: فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس (٢).

٦ _ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجة عند هذا الأمير تستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لي عيينة، فلما دخل قال: يا ابن

(١) أخرجه أحمد في (المسند) (٢٢٢/٤) والبيهقي في (السنن) (٧/٥) وعبدالرزاق في (المصنف) حديث رقم (٨٩٤٥).

(٢) أخرجه خرجه أحمد في (المسند) (٢١٠/١) وابن سعد في (الطبقات) (٤/٢٠) وأخرج الحاكم في (المستدرک) قصة طويلة متضمنة لما في هذا الأثر ٣/٣٣١.

الخطاب، والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همم بأن يقع به فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١). وإن هذا من الجاهلين. فو الله

ما جاوزها عمر حين تلاها عليه. وكان وقافاً عند كتاب الله (٢).

٧ _ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ ، فَزَرَعَهُ ، فَطَرَحَهُ ، فَقَالَ : " يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ؟ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . - رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣) .

(٨) وَعَنْ نَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْطَنَعَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ . فَكَانَ يَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ إِذَا لَبَسَهُ . فَصَنَعَ النَّاسُ . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَزَرَعَهُ . فَقَالَ : "إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الْخَاتَمَ وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ" فَرَمَى بِهِ . ثُمَّ قَالَ : "وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَدًا" فَنبذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ . وَلَفِظَ الْحَدِيثُ لِيَحْيَى . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه رأى في يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ، يَوْمًا وَاحِدًا ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اصْطَنَعُوا الْخَوَاتِيمَ مِنْ وَرَقٍ

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في (الصحيح) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٣ / ٢٦٤) (فتح) برقم (٧٢٨٦٩).

قوله "" :فتستأذن لي عليه"" أي: في خلوة، وإلا فعمركم كان لا يحتجب إلا وقت خلوته وراحته، ومن ثم قال له: سأستأذن له عليه، أي: حتى تجتمع به وحدك. فتح الباري (١٣/٢٧٢)..

(٣) مشكاة المصابيح _ كتاب اللباس _ باب الخاتم ٢ / ١٢٥٣ .

وَلَبِسُوهَا فَطَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمَهُ، فَطَرَحَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ (١).

(٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَتْ قُرَيْشٌ خَارِجَةَ بِنْتُ كُرْزٍ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ طَلِيعَةً ، فَرَجَعَ حَامِدًا يُحْسِنُ الشَّنَاءَ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ أَعْرَابِيٌّ قَعَقَعُوا لَكَ السَّلَاحَ فَطَارَ فُؤَادُكَ فَمَا دَرَيْتَ مَا قِيلَ لَكَ وَمَا قُلْتَ ، ثُمَّ أَرْسَلُوا عُرْوَةَ بِنْتُ مَسْعُودٍ فَجَاءَهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذَا الْحَدِيثُ ؟ تَدْعُو إِلَى ذَاتِ اللَّهِ ، ثُمَّ جِئْتَ قَوْمَكَ بِأَوْبَاشِ النَّاسِ ، مَنْ تَعْرِفُ وَمَنْ لَا تَعْرِفُ ، لِنَقْطَعِ أَرْحَامَهُمْ وَتَسْتَحِلَّ حُرْمَتَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَقَالَ : إِيَّيَّيْ لَمْ آتِ قَوْمِي إِلَّا لِأَصْلِ أَرْحَامِهِمْ ، يُبَدِّهُمُ اللَّهُ بِدَيْنٍ خَيْرٍ مِنْ دِينِهِمْ ، وَمَعَايِشَ خَيْرٍ مِنْ مَعَايِشِهِمْ ، فَرَجَعَ حَامِدًا يُحْسِنُ الشَّنَاءَ ، قَالَ : قَالَ إِيَّاسٌ عَنْ أَبِيهِ : فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي يَدِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ فَقَالَ : يَا عُمَرُ ، هَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي إِخْوَانَكَ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا لِي بِمَكَّةَ مِنْ عَشِيرَةٍ ، غَيْرِي أَكْثَرُ عَشِيرَةٍ مِنِّي ، فَدَعَا عُثْمَانَ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ عُثْمَانُ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَتَّى جَاءَ عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ ، فَعَتَبُوا بِهِ وَأَسَاءُوا لَهُ الْقَوْلَ ، ثُمَّ أَجَارَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ابْنُ عَمِّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى السَّرْجِ وَرَدِفَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ ، مَا لِي أَرَاكَ مُتَخَشِّعًا ؟ أَسْئِلُ ، قَالَ : وَكَانَ إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : هَكَذَا إِزْرَةٌ صَاحِبِنَا ، فَلَمْ يَدْعُ أَحَدًا بِمَكَّةَ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَبْلَغَهُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَلَمَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ قَائِلُونَ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ ، نَزَلَ رُوحُ الْقُدُسِ ، قَالَ : فَتَزْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَمْرَةٍ فَبَايَعْنَاهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ : فَبَايَعَ لِعُثْمَانَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، فَقَالَ النَّاسُ : هَنِيئًا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَنَحْنُ هَاهُنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ مَكَثَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطُوفَ (١).

وفي رواية: قالت له قريش: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ وأقام عثمان بمكة ثلاثا يدعو قريشا. وقال المسلمون - وهم بالحديبية، قبل أن يرجع عثمان - : خلص عثمان من بيننا الى البيت فطاف به، فقال رسول الله ﷺ: " ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون " ، وقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه قال: " ذلك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف " ، وعند ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع - مرفوعا - " لو مكث كذا كذا سنة ما طاف حتى أطوف " فلما رجع عثمان الى رسول الله ﷺ قال المسلمون له: اشتفت من البيت يا ابا عبد الله !! فقال عثمان: بئس ما ظننتم بي ! فوالذي نفسي بيده لو مكثت مقيما بها سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله ﷺ

(١) مصنف ابن أبي شيبة .

ولقددعتني قريش إلى أن أطوف بالبيت فابيت. فقالوا: كان رسول الله ﷺ أعلمنا وأحسننا ظنا. (١).

وعن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : كان عثمان بن عفان ، يأتزُرُ إلى أنصاف ساقيه ، وقال : " هَكَذَا كَانَتْ إِزْرَةُ صَاحِبِي " ، يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..(٢).

حرص الشيخ إياس علي اتباع السنة:

مما يدل علي حرصه علي السنة :

- (١) كان أحد الأحباب الذين يقومون بخدمته، يصب عليه ماء الوضوء، فعند غسل اليدين إلي المرفقين ، صب عليه الماء من عند المرفق ، فصاح الشيخ (رحمه الله) قائلا : أتريدُ أن تهلكني ، إن من السنة أن نبدأ بمقدم الأعضاء
- (٢) كان الشيخ إياس (رحمه الله) يحضر الصلاة خلال مرضه ،الذي توفي فيه متهاديا بين رجلين ، اندفاعا وراء التشبه بهيئة النبي ﷺ ، في حضوره المسجد في مرض وفاته ، التي صورتها الأحاديث : " فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض " (٣) حتى كان يعز علي الشيخ أن يحدث خلاف ذلك يوما .

(١) السيرة الحلبية ٧٠١/٢ .

(٢) الشمائل للترمذي .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٣

(٣) وحكي أن الأحباب حملوه يوماً وهو مريض من حجرته ، وأدخلوه المسجد ، فلما وصل أمام باب المسجد قدم الرجل اليمني وأخر اليسري ، فهو محمول ولكن في قلبه إتباع السنة .

(٤) وفي آخر يوم من حياته _ وهو أشغل يوم في حياة الإنسان _ دعا ابن أخيه المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى ، وأكد عليه الوصية أن يتبع ويتقصى من دواوين السنة ومجاميعها كل جزء يتعلق بحياة النبي ﷺ ، سواء كان من الأعمال أو الأقوال أو الأخلاق والعادات وكرر عليه التأكيد أن ينفق في نشره بما يستطيعه من الجهد وما يمكنه من السعي ، وما يملكه من الوقت (١).

(٥) ومما يدل علي حرصه علي السنة أنه كان يؤكد في كلامه دائماً علي يقين الكلمة (لا إله إلا الله) وحسن إتباع النبي ﷺ ، وجعلهما المبدأ الأول في الصفات الستة ، ويرى في إتباع النبي نصره الله تبارك وتعالى .

(٦) ومما يدل علي حرصه علي السنة كتاب حياة الصحابة الذي ألفه ابنه الشيخ يوسف الذي تربي علي والده الشيخ إلياس ، فقد أورد فيه باباً كبيراً لصاحب السنة ﷺ في محبة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه وإجلاله وتعظيمه ، ووجوب اتباعه وامتنال أمره ، والتهديد علي من خالف أمره .

(٧) وكان يرى أن الأحوال القلبية ، التي تمر بقلب الإنسان ، لا بد أن يتأثر بالأحوال والحوادث البشرية العامة في الحدود الشرعية ، فكان النبي ﷺ يحزن طبعاً بصفته بشراً ، بالحوادث والعوامل التي تسبب الحزن .. كما كان يتكيف بكيفية السرور والحمد والشكر في مواطن السرور والغبطة ، وقد ينشأ سوء

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ .

فهم لبعض الناس ، فيفهمون أنه لا بد لاكتمال الروحانية والريانية ، وللترقى في مدارج الكمال ، أن يتحلل البشر من جميع الإحساسات ، والكيفيات ، والانفعالات البشرية ، فلا يحزن أبدا من المحزنات ، ولا يسر من المضحكات.

وهذا هو الشيخ السرهندي يعيب علي شيخ جليل أعرب عن عدم تأثره من نعي وفاة ابنه ولم يعر ذلك اهتماما ، ولم يبد أي حزن يحزنه الثاقل ، يقول السرهندي : إنه لما تُوفي إبراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ سمعه الناس يقول : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، وإنا لفرأقك يا إبراهيم لمحزونون.

وأظن أنا أنه ربما ما بلغه نقد الشيخ السرهندي ، لكنه كتب إلي والده هذا نفس المعنى ، مما يدل علي كمال إتباعه للسنة ، وفهمه العميق الدقيق لروح الشريعة.

وكتب عند ولادة ابن له: إن ذلك لنعمة كبرى من الله جل وعلا ، لا بد الاغتباط بها من صميم القلب ، وإن لم يتأت السرور طبعاً وعفوا ، وانطلاقاً من القلب ، فلا بد من اصطناعه ، وإبدائه شكراً لله العزيز القدير^(١). (٢).

(١) المرجع السابق ص ١٠٣.

(٢) من كتاب الأمراء الثلاثة للمؤلف.

حرص الشيخ ابن باز (رحمه الله) علي اتباع السنة:

سئل الامام ابن باز رحمه الله عن هذا الحديث: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ ، لِيَنْعَلَهُمَا جَمِيعًا ، أَوْ لِيُخْلَعَهُمَا جَمِيعًا ". وفي رواية : " أَوْ لِيُخْفِيَهُمَا جَمِيعًا ". متفق عليه.

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلٍ أَحَدِكُمْ ، فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا " رواه مسلم.

فقال: ظاهر النهي التحريم ، فقال السائل : قد تكون النعل في مكان والاخرى قريبة منها ؟ ، فقال لا يلبسهما الا جميعا ، فقال السائل : ولو خطوة واحدة ؟ فقال رحمه الله : احرص عليئنا لا تعصي الله تعالى ولو بخطوة واحدة.



ختاما

إخواني وأخواتي في الله:

أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام الجزء الثاني من موسوعة (صلاح البيوت في جهد الرسول) والتي أهديتها لكل من ذكره الله عز وجل في هذه الآية (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) سائلا الله تعالى أن ينفعنا بها والمسلمين عامة وأهل التبليغ خاصة.. وأن ينير بها حياتنا.. ويصلح بها بيوتنا.. ويثري بها حلقاتنا.. وأن يجعلها لنا ذخرا يوم القيامة.

أخوكم في الله

أبو علي

محمد علي محمد إمام

٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦



المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) مختصر تفسير القرآن العظيم لأبن كثير - الصابوني - طبعة دار التراث العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- (٣) صفوة التفاسير - الصابوني - مكتبة الغزالي - دمشق .
- (٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة
- (٥) أسباب النزول للسيوطي .
- (٦) روائع البيان - تفسير آيات الأحكام للصابوني - طبعة مكتبة الغزالي - دمشق سوريا .
- (٧) رياض الصالحين للنووي - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأول ١٤١٢ هـ .
- (٨) مشكاة المصابيح - للخطيب التبريزي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ .
- (٩) صحيح البخاري - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٠) صحيح مسلم شرح النووي - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة .
- (١١) سنن النسائي - طبعة دار الحديث بالقاهرة .
- (١٢) سنن الترمذي - طبعة دار ابن الهيثم بالقاهرة .

- (١٣) مستدرك الحاكم - طبعة بيروت - لبنان .
- (١٤) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطي - مكتبة التراث الإسلامي
بالقاهرة
- (١٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحى الدمشقي - طبعة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٦) البداية والنهاية لابن كثير - طبعة دار ابن رجب .
- (١٧) تاريخ الإسلام للذهبي - طبعة دار الغد العربي بالقاهرة .
- (١٨) سير أعلام النبلاء للذهبي .
- (١٩) زاد المعاد لابن القيم - طبعة دار القلم للتراث بالقاهرة .
- (٢٠) حياة الصحابة للكاندهلوي - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- (٢١) صفة الصفوة - لابن الجوزي - دار ابن الهيثم بالقاهرة .
- (٢٢) الرحيق المختوم للمباركفوري - دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية -
طنطا - مصر .
- (٢٣) المستطرف في كل فن مستظرف - مكتبة الإيمان بالمنصورة .
- (٢٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي - طبعة دار الكتب
العلمية - بيروت - لبنان .
- (٢٥) السفور والحجاب د. عبدالودود شلبي - هدية مجلة الأزهر .
- (٢٦) لباس المرأة المسلمة لابن تيمية .
- (٢٧) تحرير المرأة من أوهام المتجاهلين د. محمود عماره - هدية مجلة الأزهر
رجب ١٤٢٦ هـ .

- ٢٨) أداب الزفاف في السنة المطهرة للألباني - المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
- ٢٩) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان للصقلي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- ٣٠) كتاب النظرات للمنفلوطي - مكتبة النهضة بغداد .
- ٣١) كتاب حديث القرآن عن الرجل والمرأة - لفضيلة الشيخ / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف .
- ٣٢) الإسلام عقيدة ومنهج - للشيخ محمد متولي الشعراوي - مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .
- ٣٣) الفقه الواضح - د. محمد بكر إسماعيل - طبعة دار المنار بالقاهرة.



فهرس الجزء الثاني

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٤	نماذج من أدب أولاد الصحابة
٤	_ سمرة بن جندب ؓ
٤	_ عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)
٥	_ عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ
٧	الهمة العالية لشباب سلف الأمة
٧	_ الزبير بن العوام ؓ
٩	_ علي بن أبي طالب ؓ
٩	_ أسامة بن زيد ؓ حب رسول الله ﷺ وابن حبه
١٠	_ زيد بن ثابت (رضي الله عنه)
١١	_ عمرو بن سلمة ؓ
١٢	_ عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)
١٢	_ عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)
١٣	_ عبد الله بن عباس
١٢	_ الإمام الشافعي (رحمه الله)
١٤	_ الإمام سفيان الثوري (رحمه الله)
١٤	_ الإمام الأوزاعي (رحمه الله)
١٤	_ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رحمه الله)
١٥	_ الإمام أحمد بن حنبل ؓ

١٥	_ الإمام أبو نعيم الأصبهاني
١٥	_ الإمام الصابوني المفسر المحدث:
١٦	_ الإمام تقي الدين أبو عبد الله اليونيني الحنبلي
١٦	_ الإمام ابن تيمية (رحمه الله) :
١٦	_ الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) :
١٦	_ كافر الأخشيدي (رحمه الله)
١٨	النبوغ
١٩	نصائح غالية في تربية الأبناء (من الآباء للأبناء):
١٩	_ من وصايا لقمان الحكيم لابنه:
٢٤	_ من وصايا نبي الله داود لابنه سليمان عليهما السلام
٢٥	_ من وصايا نبي الله سليمان بن داود لابنه
٢٦	_ وصية علي بن أبي طالب لابنه محمد بن الحنفية
٢٩	_ وصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن
٢٩	_ من وصايا الحسن بن علي لابنه
٣٠	_ من وصايا أنس بن مالك خادم رسول الله لابنيه
٣١	_ من وصايا سعد بن أبي وقاص لابنه
٣١	_ من وصايا معاذ بن جبل لابنه
٣٢	_ من وصايا العباس بن عبد المطلب لابنه
٣٣	_ وصية عبد الله بن مسعود لابنه
٣٣	_ وصية عمير بن حبيب لابنيه
٣٤	_ وصية عقبة بن عامر لابنيه
٣٤	_ وصية عدي بن الخيار لابنه

- ٣٥ _ وصية زين العابدين علي بن الحسين لابنه
- ٣٦ _ من وصايا محمد بن علي الباقر لابنه جعفر
- ٣٧ _ وصية جعفر الصادق لابنه موسى
- ٣٨ _ وصية عبد الله بن الحسن لابنه محمدا
- ٣٩ _ من وصايا عبد الملك بن مروان لبنيه
- ٣٩ _ وصية عروة بن الزبير لبنيه
- ٤٠ _ وصية طاووس بن كيسان لابنه
- ٤٠ _ وصية عمر بن عبد العزيز لابنه
- ٤١ _ من وصايا وهب بن منبه لابنه
- ٤١ _ من وصايا أكثم بن صيفي لبنيه
- ٤٢ _ وصية خالد بن صفوان لابنه
- ٤٢ _ وصية عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي لابنه سفيان
- ٤٣ _ وصية علقمة العطاردي لابنه
- ٤٤ _ وصية أبي الأسود الدؤلي لابنه
- ٤٤ _ وصية سعيد بن العاص لابنه
- ٤٥ _ عبد الله بن الأهمم لابنه
- ٤٦ _ وصية أسماء بن خارجة لابنته عند الزواج
- ٤٦ _ وصية ضيغم لبنيه
- ٤٧ _ من وصايا يحيى بن خالد لابنه جعفر
- ٤٧ _ وصية سعد الخير لابنه
- ٤٨ _ وصية المنصور لابنه المهدي
- ٤٨ _ وصية أديب لابنه

- ٤٨ _ من وصايا أحد الحكماء لابنه
- ٤٩ _ من وصايا أحد الأعراب لابنه
- ٥٠ _ وصية رجل لبنيه
- ٥٠ _ من وصايا المهلب لبنيه
- ٥١ _ وصية الحارث بن عباس السلمي لابنه
- ٥٢ _ وصية مسعر بن كدام لابنه
- ٥٢ _ وصية أبي الأخفش الكناني لابنه
- ٥٢ _ وصية الهيثم بن صالح لابنه
- ٥٣ _ وصية أبي حازم سلمة بن دينار لابنه
- ٥٣ _ وصية عتبة بن أبي سفيان لابنه
- ٥٤ _ وصية زيد بن أسلم لابنه
- ٥٤ _ وصية عبيد الله بن أبي المهاجر لبنيه
- ٥٤ _ وصية الأشعث بن قيس لبنيه
- ٥٥ _ وصية محمد بن السعدي لابنه عروة
- ٥٥ _ وصية سليمان بن طرخان التيمي لابنه
- ٥٦ _ وصية أبي قيس ابن معد يكرب لابنه
- ٥٦ _ وصية مسلم بن قتيبة لابنه
- ٥٧ _ وصية خال سهل بن عبد الله له
- ٥٨ _ وصية عبد الله بن شداد لابنه
- ٦١ _ عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده
- ٦١ _ وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده
- ٦٢ _ وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده

٦٢	_ وصية المهلب بن أبي صفرة لابنه عبد الملك
٦٢	_ وصية عمير بن حبيب لبنيه
٦٣	_ وصية عمر بن هبيرة لبعض بنيه
٦٣	_ وصية أبو الأسود الدؤلي لابنه
٦٣	_ كتاب ظاهر بن الحسين لابنه عبد الله
٧٥	وصايا الأمهات للأبناء:
٧٥	_ وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس
٧٧	_ وصية أم الإمام محمد بن المنكدر له
٧٧	_ وصية أم الإمام مالك بن أنس له
٧٨	_ وصية أعرابية لابنها
٧٨	_ وصية امرأة عابدة لابنها
٧٩	_ وصية أم أعرابية لابنها وقد أراد سفرها
٨٠	_ وصية أم لابنها
٨٠	_ وصية أم لابنها
٨٠	_ وصية أم لابنها عند سفره
٨١	_ وصية أعرابية لابنها
٨٢	_ وصية عابدة لابنها
٣٨	رياضة الصبيان
٨٤	مرحلة ما قبل التكليف:
٨٤	_ س: هل يؤمر الطفل بعمل الفرائض والطاعات قبل سن البلوغ؟
٨٥	_ س: وهل يثاب علي فعل الطاعات قبل سن البلوغ؟
٨٨	القدوة المفقودة

٩٠	التعليم في الصغر
٩٢	تعريض الأولاد لرحمة الله
٩٣	الصبر على تربية الأولاد
٩٥	وقرن في بيوتكن
٩٨	الخلوة
١٠٠	مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية
١٠٤	آداب الطريق للمرأة
١١١	أدلة حجاب المرأة المسلمة
١١١	_ الآيات الواردة في الحجاب
١١٥	_ سرعة استجابة نساء النبي ونساء المؤمنين في امتثال الأمر
١١٧	_ الأحاديث والآثار
١٢١	_ كيفية الحجاب
١٢٣	_ هل الأمر بالحجاب خاص بأزواج النبي أم هو عام؟
١٢٤	_ مفسدة كشف المرأة وجهها أمام الرجال
١٢٥	_ قول الشيخ ابن عثيمين في الحجاب الشرعي
١٢٦	_ شروط خروج المرأة
١٣١	_ الحجاب قمة الفكر والرقي
١٣٢	_ فوائد
١٣٣	_ قالوا
١٣٤	_ الاختلاط
١٣٥	_ لؤلؤة مكنونة
١٣٥	_ كلمة لكل فتاة

١٣٧	زينة المرأة الحياء:
١٣٧	_ حياء أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها
١٣٧	_ حياء فاطمة الزهراء رضي الله عنها
١٣٨	_ حياء أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها
١٣٩	_ حياء فاطمة بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها
١٣٩	_ حياء أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنها)
١٤٠	_ حياء امرأة تستفتي أبا حنيفة النعمان
١٤٠	_ حياء ابنة شعيب
١٤٣	نصيحة الشيخ الألباني للنساء
١٤٧	إلى عشاق الموضة
١٥٠	دعوة لكل مؤمن
١٥٠	_ هل تدري ما كان يفعل النبي ﷺ في بيته ؟
١٥١	_ ليلة في بيت النبي
١٥٤	_ ليلة أخري في بيت النبي
١٥٦	_ في بيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق
١٦٤	_ ومن حسن العشرة
١٦٦	_ فض النزاع
١٦٩	حياة البساطة في بيت سيد الخلق (محمد صلي الله عليه وسلم
١٦٩	_ طعام النبي صلي الله عليه وسلم
١٧٨	_ اللباس النبي صلي الله عليه وسلم
١٧٩	_ السكن:

١٧٩	_ بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٥	_ فراش النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٦	الزينة
١٩٣	القناعة
١٩٨	النبي يمزح مع النساء
٢٠٤	حق الزوجة
٢٠٦	حق الزوج
٢٠٨	الخدمة:
٢٠٨	_ خدمة المرأة لزوجها وأولادها
٢١٢	_ خدمة المرأة لجيرانها
٢١٢	_ خدمة المرأة للضيوف
٢١٥	تعدد الزوجات
٢١٥	_ شروط التعدد
٢١٦	_ الحكمة من إباحة التعدد
٢١٧	_ حول التعدد وشروطه
٢١٩	_ تعدد زوجات النبي
٢٢٧	_ زوجات النبي ﷺ حسب ترتيب الزواج
٢٣٣	حليمة السعدية
٢٣٥	رفقا بالقوارير
٢٣٦	أفراحنا

٢٣٧	بنات الصالحين
٢٣٩	قدرة المرأة العقلية:
٢٤٠	_ ومما يذكر في نكاح المرأة:
٢٤٠	شن وطبقة
٢٤١	المرأة والشيطان
٢٤٢	المرأة والملك والصيد
٢٤٤	جرأة وشجاعة
٢٤٧	ثمار الورع والتقوى
٢٥٢	تأملات
٢٥٣	الرضا
٢٥٤	صرخة إلى الآباء
٢٥٤	حسن الأخلاق
٢٥٥	كما تدين تدان
٢٥٨	مكارم الأخلاق
٢٥٩	قصة وعبرة
٢٦٠	إنصاف البنات
٢٦٠	أم عطية الأنصارية
٢٦١	أم الدرداء الصغرى
٢٦١	رفيدة الأنصارية

٢٦٢	تلميذة عائشة
٢٦٢	أم البنين
٢٦٣	خولة بنت الأزور
٢٦٧	من الذاکرات
٢٦٨	صوامة قوامة
٢٦٩	غيرة عائشة
٢٧١	ثلاثة وثلاثة
٢٧١	أربعة وأربعة
٢٧٢	خمس بخمس
٢٧٣	نسيان الجميل
٢٧٧	المرأة السوء
٢٨٠	أحاديث في النساء
٢٨٧	أخبار النساء
٣٠١	البسوس
٣٠٢	أريد زوجة صالحة
٣٠٣	المرأة الصالحة
٣٠٤	اظفر بذات الدين

٣٠٥	موجبات الجنة
٣٠٦	من جميل ما يروى في الحلم:
٣٠٦	_ حلم صفية بنت حيي بن أخطب زوجة رسول الله ﷺ
٣٠٧	من جميل ما يروى في الشعر
٣٠٧	الضعيفين
٣٠٨	لاحت أعلام الهداية
٣٠٩	أدوات تجميل
٣٠٩	أطيب الطيب
٣١٠	لا ضرر ولا ضرار
٣١٢	ما بهذا أمرنا
٣١٢	إياكم وخضراء الدمن
٣١٤	كاسيات عاريات
٣١٥	نساء ملعونات
٣١٦	امرأة وامرأة
٣١٧	الفساق
٣١٨	نصيحة عمرية

٣١٩	نصائح غالية
٣٢٠	الحذر الحذر من غضب الزوج
٣٢١	تفقد الزوجة حال زوجها
٣٢٢	أعظم الناس حقاً
٣٢٢	أجر المرأة الحامل والمرضع
٣٣٠	موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله
٣٣٢	أم حارثة
٣٣٣	نصيحة لكل زوج
٣٣٣	احتواء المواقف
٣٣٤	عقد اللؤلؤ
٣٣٦	مؤمنات يوافقهن القرآن
٣٣٨	امرأة بسببها ينزل القرآن:
٣٣٨	_ جميل بنت يسار
٣٣٩	_ مُسيكة ومعادة
٣٤٢	امرأة فرنسية
٣٤٣	الصبر على الأزواج

٣٤٤	كلمات وأفعال محظورة
٣٤٥	أم أبان بنت عتبة
٣٤٧	المرأة الداعية إلى الله
٣٥١	أسئلة تهم المرأة المسلمة
٣٦٥	الصفات الطيبة
٣٦٦	الصفات الستة من كتاب الله
٣٦٧	الصفات الستة لعلاج أمراض الأمة
٣٦٨	البيانات
٣٦٨	البيان الأول: في صفة اليقين في معرفة رب العالمين
٣٨٥	البيان الثاني: في صفة اليقين علي الله
٣٨٧	البيان الثالث: في صفة اليقين علي الله
٣٩٠	البيان الرابع: في صفة اليقين علي الله
٣٩٢	البيان الخامس: في صفة اليقين علي الله
٣٩٥	البيان السادس: في صفة اليقين علي الله
٤٠٧	البيان السابع: في صفة اليقين علي الله
٤٠٩	البيان الثامن: في الفوز والفلاح
٤١٣	البيان التاسع: في مفهوم السعادة
٤١٤	البيان العاشر: في صفة اليقين علي الله

- ٤٢٠ البيان الحادي عشر: في صفة اليقين على الله
- ٤٢٧ البيان الثاني عشر في دعوة الإيمان واليقين
- ٤٣١ البيان الثالث عشر في دعوة الإيمان واليقين
- ٤٣٧ البيان الرابع عشر في دعوة الإيمان واليقين
- ٤٥٨ البيان الخامس عشر في دعوة الإيمان واليقين
- ٤٦٠ البيان السادس عشر في دعوة الإيمان واليقين
- ٤٦٣ البيان السابع عشر في دعوة الإيمان واليقين
- ٤٦٦ _ شروط لا إله إلا الله
- ٤٦٧ _ توحيد الربوبية والألوهية
- ٤٦٨ _ أقوال المشايخ في مسألة التوحيد (علاوة علي ما بيناه في البيانات السابقة)
- ٤٧٧ صفة الإتياع (محمد رسول الله)
- ٤٧٩ _ معنى محمد رسول الله
- ٤٨٠ _ المقصد من : محمد رسول الله
- ٤٨٠ _ مقتضيات: محمد رسول الله
- ٤٨١ _ توحيد الطاعة والاتباع
- ٤٨٢ _ ما الفرق بين طاعة النبي واتباع النبي والتأسي بالنبي
- ٤٨٨ _ برهان (محمد رسول الله)
- ٤٨٩ _ تارك السنة ملعون
- ٤٩٠ _ التحذير من ترك سنته صلى الله عليه وسلم
- ٤٩٥ _ تارك السنة ضال
- ٤٩٥ _ كيف تأتي فينا صفة اتباع النبي

٤٩٦	_ قصص في الإتياع
٥٠١	_ حرص الشيخ إلياس علي إتياع السنة
٥٠٤	_ حرص الشيخ ابن باز علي اتبع السنة
٥٠٥	وختاماً
٥٠٦	المراجع
٥٠٩	الفهرس



Emam2030@gmail.com

تليفون المؤلف

٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨ _ ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦ _ ٠٥٠ / ٦٨٢٤٥٣٦

ترقبوا صدور الجزء الثالث

من كتاب صلاح البيوت

